# تأملات وتعليقات على
# رسالة القديس بولس الرسول الأولى
# إلى تيموثيئوس

للقديس يوحنا ذهبي الفم

## مترجمة لأول مرة للفرنسية بواسطة

M. FELIX ROBIOU

**تحت إشراف M. JEANNIN**

**أستاذ علم البلاغة بكلية SAINTDIZIER**

**سنـة 1867**

**تقديـم**

**نيافة الأنبا بسنتي**

**أسقف حلوان والمعصرة**

**نقلته إلى العربية**

**سعاد سوريال المحامية**

**الحاصلة على درجة بكالوريوس في العلوم اللاهوتية**

**عـام 1992**

**دار يوسف كمال للطباعة**

www.orthodoxonline.org

تقديم الكتاب

***(شهية هي أقوال القديسين وأخبارهم مثل الماء للغروس الجدد)***

هكذا هي نظرة كنيستنا لأقوال الآباء القديسين وتفاسيرهم.

فكم هو مشبع للروح أن تتغذى كلمة الله ذا "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله"

وكم يزداد الشبع إذا شرحت الكلمة وفسرت بواسطة قديس عظيم ناسك، وأسلوبه رائع وجذاب ولقب لأجل ذلك بذهبي الفم.

الرب يعوض المترجمة الأستاذة/ سعاد سوريال المحامية على جهدها وتعبها في ترجمة وإعداد هذا الكتاب.....

أرجو أن يكون شبعاً لأرواحنا ببركة القديسة العذراء مريم والدة الإله وبركة القديس بولس الرسول وتلميذه القديس تيموثاوس..... وبركة القديس يوحنا ذهبي الفم.

27 فبراير 1991م
20أمشير 1707 من
الأسبوع الثالث من
الصوم الكبير المقدس

بسنتي
بنعمة الله
أســـقف حلـــوان

والمعصرة

www.orthodoxonline.org

**الإهـــداء**

إلى زوجي

إلى روحك الوديع الهادئ وقلبك النقي الذي يؤهلك لمعاينة الله ولدخول الفردوس.

أهدى يا زوجي الحبيب هذا الكتاب الذي أنجزته معونة الله بإرشاد روحه القدوس.

وحقاً فإنك جدير بهذا الإهداء فالذي أعانني الله فيه إنما هو ثمرة من ثمار تشجيعك لي على البحث والدارسة.

www.orthodoxonline.org

## كلمة شكر وتقدير

إنني أتقدم بالشكر من أعماق قلبي لكل من ساهم في صدور هذا الكتاب وأخص بالذكر نيافة الحبر الجليل الأنبا بسنتي أسقف المعصرة وحلوان الذي دأب على ألا يرفض طلباً لأبنائه مهما كلفه ذلك من جهد فرغم مشغولياته الكثيرة تفضل مشكوراً بمحبته الغامرة بتحرير كلمة التقديم التي شرف بها الكتاب بعد أن راجع البعض من فصوله وإبداء الملاحظات اللازمة.

كما أشكر بكل تقدير وإعزاز نيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس الأسقف العام لكنائس مصر القديمة الذي تكرم بعدم رفض رغبتي في مراجعة الكتاب بأكمله بعد علمه أن ظروف نيافة الأنبا بسنتي حالت دون ذلك.

كما أشكر الأستاذ نبيل فخري بشارة المدير ببنك مصر بالإسكندرية الذي تكرم بمراجعة الترجمة للتأكد من مطابقتها من حيث المعاني للنص الفرنسي، والحق أن في مراجعته هذه قام بعمل ترجمة كاملة قمت بمقارنة الكثير منها بما ترجمته فوجدت الترجمتين تكاد أن تكونا متطابقتين من حيث المعاني الأمر الذي طمأنني وأراحني.

المترجمة

www.orthodoxonline.org

# مقدمة للمترجمة

www.orthodoxonline.org

# نبذة عن القديس بولس الرسول
## للمترجمة

أما القديس بولس الرسول كاتب الرسالة فهو عبراني من سبط بنيامين (رو 11: 1؛ في 3: 5)، ولد في طرسوس عاصمة ولاية كيليكية[1] من أبوين يهوديين حوالي سنة 5 أو 6 ميلادية، بالاسم العبراني شاول، كما دعى أيضاً بولس وهو اسم روماني، فقد كانت أسرته تتمتع بحقوق المواطنة الرومانية كما كانت هناك عادة منتشرة أن يحمل بعض الأشخاص أسمين أحدهما عبراني والآخر يوناني أو روماني، وقد أفصح عن أسمه الروماني (بولس) لأول مرة عندما دعاه الوالي سرجيوس بولس ملتمساً أن يسمع كلمة الله (أع 13: 7- 9). وربما أفصح عن هذا الاسم أمام الوالي ليفخر بجنسيته الرومانية. ويلاحظ منذ ذلك الحين فصاعداً لم يُعرف إلاّ بهذا الاسم حتى نهاية حياته.

تعلم القديس بولس الشريعة اليهودية عند رجلي غمالائيل الذي كان أشهر علماء الشريعة في زمانة (أع 22: 3) ومن ثم أقام من نفسه محامياً لإثبات الشريعة اليهودية، وجندياً محارباً ضد كنيسة المسيح. وبينما هو يتشدد في اضطهاد المسيحيين اختارته النعمة الإلهية فتحول عن طريقه وكرس نفسه بكل قوة لخدمة المسيح. وقد قال عنه ذهبي الفم إن التأمل في رجوع بولس ورسوليته يعطي الرجاء لكل من هو بعيد عن الإيمان ولا يترك عذراً لأي إنسان يرفض الإيمان المسيحي.

وللقديس بولس الرسول أربع عشرة رسالة وبينها أربع رسائل تسمى أصطلاحياً بالرسائل الرعوية. وجه اثنتين منها إلى تلميذه تيموثيئوس أسقف أفسس، والثالثة وجهها إلى تلميذه تيطس، والرابعة الموجهة إلى صديقه فليمون. وقد سميت بالرسائل الرعوية لأنها تبرز أكثر من غيرها أخص واجبات الكهنوت بكل درجاته.

وعلى ذلك فالرسالة التي هي موضوع هذا الكتاب، هي أولى الرسائل المعروفة بالرسائل الرعوية.

(2) أع 9: 11؛ 21: 39؛ 22: 3.

# لمحة سريعة عن القديس
# يوحنا ذهبي الفم

وُلد بإنطاكية سنة 347م، من أسرة شريفة. كان يوحنا مازال شاباً حين مات والده. فاهتمت أمه التقية بتربيته. بعد أن انتهى من دارسة علوم عصره عُرض عليه منصب قاضٍ لكنه لشغفه بالدين توحد في أحد الأديرة القريبة من إنطاكية حيث عكف على الصلاة ودراسة الكتاب المقدس.

اضطر للعودة إلى المدينة لاعتلال صحته. وهناك رسم شماساً فقساً ليقوم بخدمة الوعظ. ولما أرادوا رسامته بطريركاً على القسطنطينية دبروا حيلة حتى فازوا به وسيم سنة 397م عُرفت عنه شجاعته وصراحته في الحق مما أثار عليه الملكة الشريرة أفدوكسيا التي لم تحتمل توبيخه لها فنفته ومات في منفاه سنة 407م بعد أن خلف للكنيسة تراثاً رائعاً من العظات وتفاسير لبعض الأسفار المقدسة مازال معظمها باقياً حتى الآن. ولفصاحته النادرة وقوة تأثير كلماته لقبته الكنيسة بذهبي الفم.[2]

وهذا الكتاب الذي أعانني الرب على ترجمته وتقديمه لأخوتي القراء هو واحد من كتب تفاسيره للأسفار المقدسة، تلك الكتب العديدة التي كتبها في القرن الرابع ومطلع القرن الخامس باللغة اليونانية التي وضع بها ذهبي الفم كل مؤلفاته، وكانت هذه الترجمة الفرنسية على يد M. Felix Robiou تحت إشراف M. Jeannin.

ليسانس في الآداب وأستاذ علم البلاغة Saint Dizier وذلك في سنة 1867م.

[2] بستان الرهبان لآباء الكنيسة القبطية الطبعة الثانية قام بمراجعته وتنقيحه لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف والبهنسا صفحة 460 إيداع رقم 1525/ 1977.

## مقدمة

بدأ القديس يوحنا ذهبي الفم تأملاته وتعليقاته على رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثيئوس بمقدمة أوضح فيها أن تيموثيئوس كان أحد تلاميذ بولس الرسول. شهد له القديس لوقا أنه كان شاباً حديث السن جديراً بالإعجاب. وذلك بناء على شهادة الأخوة الذين في لسترة وإيقونية (أع 16: 2). وقد أصبح في وقت واحد تلميذاً ومعلماً (أع 16: 4)، وكان على حذر نادر في اختيار الأقوال المناسبة بعد سماعه بولس يكرز بالإنجيل دون إصرار على الختان، وبعد أن علم أن القديس بولس كان قد عارض القديس بطرس في هذا الشأن، فقد رأى أن لا يهاجم هذا الطقس في عظاته، بل أيضاً يخضع له هو نفسه، إذ أن القديس بولس، كما قيل "***أخذه وختنه***" (أع 16: 3)، فأنه على الرغم من حداثة سنه فقد استأمنه على تدبير كل شئونه، لأن المعجزات التي كانت تتم بواسطته تشهد على صدق إيمانه. وما أظهره بولس من تعاطف نحوه كان كافياً ليبين ما كان عليه تيموثيئوس من خلق. فقد شهد له في رسائله عندما قال: "***وما اختباره فأنتم تعرفون أنه كولد مع أب خدم معي لأجل الإنجيل***" (في 2: 22) وفي رسالته إلى أهل كورنثوس كتب "***لذلك أرسلت إليكم تيموثيئوس الذي هو أبني الحبيب والأمين في الرب***" (1كو 16: 10، 11) وأيضاً قال في رسالته إلى العبرانيين "***أعلموا أنه قد أطلق الأخ تيموثيئوس***" (عب 13: 23) وهكذا في كل مكان نجد العبارات الدالة على حبه له.

وإذا وجه سؤال لماذا لم يكتب بولس سوى لتطيس وتيموثيئوس مع أن سيلا ولوقا كانا ضمن تلاميذه المشهورين، هو نفسه يوضح ذلك بقوله "***لوقا وحده معي***" (2تيمو 4: 11). كليمنضس كانا أيضاً واحداً من مرافقيه، لأنه يقول عنه "***مع كليمنضس وباقي العاملين معي***". إذاً لماذا لم يكتب سوى لتيطس ويتموثيئوس، لأنه كان قد أستأمنهما بعض الكنائس، بينما قد أصطحب هؤلاء معه. قد خصص تيطس وتيموثيئوس للمناصب البارزة. وهكذا كان سمو تيموثيئوس في الفضيلة، لم يدع حداثته أن تكون حائلاً. لذلك كتب له قائلاً "***لا يستهن أحد بحداثتك***" (1تيمو 4: 12) وفيما بعد قال "***عظ الحديثات كأخوات***" (1تيمو 5: 2).

حيث أنه أينما توجد الفضيلة، فإن كل شئ آخر يصير ثانوياً ولا يجب أن يكون هناك حائلاً. وفي الواقع أنه في حديثه عن الأساقفة قد تناول عدة أمور ولم يشغل نفسه قط بسنهم. وإذا كان قد كتب "***أن يطاع من أولاده***" وأن يكون "***بعل امرأة واحدة***" فهو لا يقصد بذلك أنه يجب أن يكون متزوجاً وأباً لعائلة، بل يعني أنه إذا كانت هذه هي حالته الاجتماعية، فيجب عليه أن يدبر بيته حسناً لأن الذي لا يعرف كيف يدبر بيته فكيف يؤتمن على العناية بكنيسة الله؟ ولماذا إذاً يبعث الرسول بهذه الرسائل إلى تلميذه مكلف بالتعليم؟ ألم يكن من الواجب أن يمده أولاً بالمعلومات الكافية التي تساعده على القيام بهذه المهمة؟

نعم، هذا صحيح، إلا أنه كان محتاجاً لتعليم مختلف عن تعليم التلاميذ وصالح لمن يعلم، ولاحظوا كيف تؤكد هذه الرسالة بأكملها أن الرسول بولس يعطي التعليم الذي يناسب المعلم. إذ يحثه في مستهل رسالته ألا يهمل الذين يعلمون تعليماً جديداً. ولكن ينذرهم ألا يعلّموا هذه التعاليم.

www.orthodoxonline.org

**الموعظة الأولى**

"بولس رسول يسوع المسيح، بحسب أمر الله مخلصنا وربنا يسوع المسيح رجائنا، إلى تيموثيئوس الابن الصريح في الإيمان"

(1: 1-4)

**التحليل**

**أولاً:** وظيفة الرسول، جلال هذا المقام، البنوة حسب الإيمان.

**ثانياً:** الإيمان ليس في حاجة إلى امتحان.

**ثالثاً:** ضد التعاليم الخاطئة وعلى الأخص ضد الطالع[1] الذي ليس إلا مذهب ألوهية الكون وضد الاعتقاد بالقضاء والقدر[2].

## أولاً: وظيفة الرسول وجلال هذا المقام

عظيمة وعجيبة هي كرامة الرسول وتستحق حقاً الإعجاب، وفي كل مكان نرى بولس يوضح مصدر هذه الكرامة. بأنه شرف لا يعود عليه، بل كأمر استؤمن عليه، ووضعت الضرورة لفعله. فعندما يقول: إنه ***"المدعو وأنه رسول بمشيئة الله"*** (1كو 1: 1)، وفي مكان آخر ***"الضرورة موضوعة عليَّ"*** (1كو 9: 16)، وعندما يقول ***"إنه مفرز لإنجيل الله"*** (رو 1: 1) بكل هذه الأقوال يطرح الرسول عنه بعيداً الولع بالتطلع إلى السمو والمجد الباطل. لأن الذي يرفع نفسه إلى مرتبة شرف لم تعط له من الله يستحق أشد اللوم، وكذلك فإن من يرفضها ويحجم عنها عندما تقدم له من الله فهو يستحق لوماً من نوع آخر، هو لوم عدم الطاعة والتمرد. ولذلك فإن بولس في بدء هذه الرسالة إلى تيموثيئوس يقدم نفسه قائلاً: ***"بولس رسول يسوع المسيح، بحسب أمر الله"*** لا يقول هنا "المدعو" لكن "بحسب الأمر" فهو يبدأ بهذا الأسلوب لكي لا يشعر تيموثيئوس بضعف سائد بين البشر لتوهمه أن بولس يخاطبه بنفس اللهجة التي يخاطب بها التلاميذ الآخرين، وأين أعطى الله هذا الأمر؟ إنه ورد في أعمال الرسل، وأن الروح القدس يقول: ***"افرزوا لي برنابا وشاول"*** (أع 13: 2)، وبولس في جميع رسائله. يدعو نفسه رسولاً، حتى لا يظن سامعوه أن أقواله شيئاً من نفسه، وكلمة رسول تسمو بفكر المستمع إلى الذي أرسله. ولذا فإنه يضع هذا اللقب في بداية رسائله كضمان للإيمان الجديرة به أقواله، ويتضح ذلك في قوله ***"بولس رسول يسوع المسيح حسب الله الله مخلصنا"***. ويلاحظ أن الأمر لم يوجه من الآب في أي مكان، بل في كل مكان، ترى أن المسيح هو الذي يخاطبه، فالسيد المسيح هو الذي يقول له ***"اذهب فإني سأرسلك إلى الأمم بعيداً"*** (أع 22: 21)، وفي موضع آخر "ينبغي لك أن تقف أمام قيصر" (أع 27: 24) ولكنه يطلق على كل

[1] انبعاث، انبثاق، صدور، فيض، فوهان.

[2] مذهب الجبرية.

الأوامر التي يعطيها الابن أنها أوامر من الأب. كما ينسب أوامر الروح القدس للابن. فإن الروح القدس هو الذي أرسله (أي الرسول) وهو الذي أفرزه ويستخدم هذه الكلمات: بحسب أمر الله، لماذا؟ هل سلطة الابن محدودة، حتى أن رسوله أرسل حسب أمر الآب؟ قطعاً لا، فانظروا كيف يظهر أن هذه القوة لكليهما معاً، إذ أنه بعد عبارة "***حسب أمر الله مخلصنا***" يضيف العبارة الآتية "***يسوع المسيح رجائنا***". تأملوا دقة النصوص التي يستعملها المرتل يدعو الله رجاءه إذ يقول "***لأنك أنت رجائي يا سيدي الرب متكلي منذ صباي***" (مز 71: 5) والقديس بولس بدوره في رسالته يقول: "***لأننا لهذا نتعب ونعير لأننا قد القينا رجاءنا على الله الحي الحقيقي***".

كان على المعلم أن يتحمل المخاطر، ومخاطره أكثر كثيراً عن التلاميذ "***أضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية***" (مت 26: 31) إذاً من الطبيعي أن الشيطان يثور بعنف أقوى على الراعي، بما أن ضياع الراعي سبب تشتت القطيع. ضياع الخراف ينقص القطيع، ولكن ضياع الراعي يبدد القطيع كله من هنا يتضح أنه يمكنه بمجهود أقل أن يحصل على نتيجة أكبر، ويقضي على الكل بفقدان نفس واحدة، لذلك فإن الشيطان يوجه هجومه خاصة على الرعاة. ولهذا يبادر الرسول برفع روح تيموثيئوس بقوله له: لنا مخلص هو الله، ورجاء هو المسيح. نحن نعاني الكثير من الآلام، لكن لنا رجاء عظيم، نحن معرضون للمخاطر والمكائد، لكن لنا مخلص ليس هو بإنسان، بل هو الله. وبما أن مخلصنا هو الله فلا تعوزنا القوة، ولن تتغلب علينا المخاطر مهما كانت جسامتها، ولن يُخزى رجاءنا مادام مصدره المسيح.

## النبوة حسب الإيمان

"***إلى تيموثيئوس الابن الصريح في الإيمان***" هذه العبارة تحمل في معناها تشجيعاً لأنه إذا كان تيموثيئوس قد أظهر ما يكفي من الإيمان ليكون ابناً، وابناً صريحاً لبولس، سيكون مليئاً بالثقة في المستقبل. لأن الإيمان في الواقع هو عدم الاستسلام للكدر واليأس عندما لا تتطابق الأحداث مع الوعود. ولكن سيقولون هذا ابن، ابن صريح إلا أنه ليس من نفس جوهر أبيه. كيف هذا؟ هل هو من جنس آخر؟ ويصرون إلا أنه ليس أبناً لبولس، هذه الكلمة لا تدل على البنوة في معناها الحقيقي، لأنه بعد أن قال "ابني" أضاف "في الإيمان". لا يوجد بينهما اختلاف في شئ: التشابه بينهما في الإيمان كالتشابه بين الناس في الطبيعة. الابن يشبه أباه، ولكن ليس تماماً على الرغم من أن الأب والابن من نفس المادة، إلا أنهما يختلفان في وجوه كثيرة مثل اللون، الشكل، الفهم، السن، الميول، في صفات النفس والجسد، وصفات الظروف الخارجية، وفي أمور كثيرة ممكن أن يتشابها أو يختلفا. ولكن هنا لا يوجد شئ من هذا الاختلاف. "بأمر" عبارة أقوى من كلمة "المدعو" أما عبارة "***إلى تيموثيئوس الابن الصريح***" فيمكن أن

نقربها لما قاله بولس لأهل كورنثوس: ***"لأني أنا ولدتكم في المسيح يسوع"*** (1كو 4: 15)، أي في الإيمان. وهو يضيف "الابن الصريح" لكي يشهد على دقة التشابه بينه وبين تيموثيئوس أكثر من الآخرين الذين معه، من حيث المودة والاستعداد الروحي. ولهذا أيضاً وضع حرف الجر "في" قبل كلمة إيمان. انظروا المدح الذي تحمله هذه العبارة حيث يدعوه ليس ابنه فقط، بل ابنه الصريح.

## ثانياً: الإيمان ليس في حاجة إلى امتحان

***يقول: "نعمة ورحمة وسلام. من الله أبينا والمسيح يسوع ربنا"*** لماذا يذكر كلمة رحمة في صدر هذه الرسالة ولم يذكرها في الرسائل الأخرى؟ إن حنانه المتدفق أملى عليه هذه الكلمة، من أجل ابنه كانت صلاته أوسع نطاقاً، لأنه يخاف ويرتعد من أجله. ولشدة اهتمامه به كان هو الوحيد الذي أرسل له نصائح تتعلق باحتياجاته المادية فقال له ***"استعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة"*** (1تيمو 5: 23). فالذين يعلمون هم في حاجة أكثر للرحمة ***"من الله أبينا والمسيح يسوع ربنا"*** هنا أيضاً يوجد تشجيع، لأنه إذا كان الله أبانا، فهو يعتني بأولاده، ويقول لنا السيد المسيح ***أم أي إنسان منكم إذا سأله ابنه خبزاً يعطيه حجراً"*** (متى 7: 9).

***"كما طلبت إليك أن تمكث في أفسس إذ كنت أنا ذاهباً إلى مكدونية"*** (1تيمو 1: 30) أصغوا لرقة هذه العبارة، إنها لا توحي قط بصوت المعلم الذي يقوم بالتعليم بل توحي بالتوسل. لم يقل قط أوصيت، نظمت، أمرت، ولكن "طلبت إليك" ولا يجب التعامل بهذا الأسلوب مع كل التلاميذ بل فقط مع الأتقياء منهم والودعاء، وعلى العكس مع الذين قد فسدوا وليس هم تلاميذ بالحق، فيلزم التفاهم معهم بلغة أخرى، كما يشهد بذلك الرسول نفسه بقوله:***"وبخ بكل سلطان"*** (تي 2: 15)، وفي هذه الرسالة انظروا ماذا يضيف ***لكي يوصي قوماً*** (لا أن يطلب منهم) ***أن لا يعلموا تعليماً آخر"*** (1تي 1: 3)، ولم يذكر أسماءهم حتى لا يذلهم أكثر من ذلك بإعلان لومه لهم. كان بين اليهود الكثير من الرسل الكاذبين الذين كانوا يحاولون جذب المؤمنين إلى الشريعة التي كان الرسول يهاجمها في كل رسائله. لأنهم كانوا لا يفعلون ذلك من دافع ضميرهم بل للتباهي ولأنهم كانوا يريدون تكوين تلاميذ لهم، وقصداً في منازعة الطوباوي بولس وحقداً عليه. وهكذا كان هذا هو اتجاه التعاليم الأخرى.

## أن لا يصغوا إلى خرافات وأنساب

وتابع ***"أن لا يصغوا إلى خرافات وأنساب"*** الخرافات التي يقصدها ليست هي الشريعة، حاشا لله، بل الإضافات الغير حقيقية. العملة المزيفة للشريعة، الآراء المخادعة. يبدو أن اليهود في غرورهم استخدموا كل قواهم العقلية لتقدير الأنساب للحصول على الشهرة كرجال علماء ومثقفين.

***"لكي يوصي قوماً أن لا يعلموا تعليماً آخر ولا يصغوا إلى خرافات وأنساب لأحد لها"***. ترون كيف يلوم الرسول هذه المباحثات الغبية إذ حيث يوجد الإيمان لا جدوى من المباحثات، وما جدوى الفحص حيث لا يوجد شئ للبحث عنه؟ الفحص يستبعد الإيمان. في الواقع أن الذي يبحث لم يجد بعد ولا يمكن أن يكون عنده إيمان. ولذلك يقول الرسول لا نشغل أنفسنا بالمباحثات. إذا بحثنا فليس لدينا الإيمان الذي هو مصدر راحة التفكير العاقل" كيف إذن يقول السيد ***المسيح "اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم"*** (مت 7: 7). وأيضاً ***"فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية"*** (يو 5: 39) هنا كلمة اطلبوا قيلت عن الصلاة ورغباتها الحارة وعبارة "فتشوا الكتب" لم تقل للدخول في أتعاب المباحثات، بل للحد منها. ولما قال السيد المسيح فتشوا الكتب يقصد بذلك أن نتعلم ونحصل على المعنى الصحيح وليس لكي نبحث بصفة دائمة، بل نضع حداً لهذه المباحثات. ***"دون بنيان الله الذي في الإيمان"*** إن عبارة "بنيان الله" عبارة صائبة، لأن الله أراد أن يعطينا خيرات فائضة، ولكن العقل لا يستطيع إدراك عظمة تدابير الله. هنا عمل الإيمان أفضل دواء للروح. المباحثات إذن مضادة للقصد الإلهي. وما هي الخطة المشيدة على الإيمان؟ بل نشعر بالراحة، لأن الذي أتمه الإيمان وبناه تقلبه المباحثات كيف يكون ذلك؟ بإثارة التساؤلات ووضع الإيمان جانباً.

***"ولا يصغوا إلى خرافات وأنساب لا حد لها"*** قد قال ما هو الضرر الذي تسببه هذه الأنساب؟ السيد المسيح قال: ينبغي أن نخلص بالإيمان، لأنه بما أن هناك تأكيد أن الوعد هو للدهر الحاضر، وتحقيقه في الدهر الآتي، فإن الإيمان ضروري وعلى ذلك فالأشخاص المشغولون بالفحص العقلاني، كانوا عقبة للإيمان. واعتقد أنه يتكلم هنا عن الوثنيين، مقدماً بياناً بآلهتهم عندما قال "خرافات وأنساب".

## ثالثاً: ضد التعاليم الخاطئة

إذن لنحذر الارتباط بهذه المباحثات، حيث أن لقب مؤمنون هو تعهد منا بتصديق الكلمة دون شك أو تردد، لأنه لو كانت هذه الكلمة من إنسان، لوجب علينا وضعها تحت الاختبار، وأما إذا كانت من الله فينبغي علينا توقيرها وتصديقها، فإن كنا لا نصدق هذه الكلمة هذا يعني أننا لا نصدق أنها من الله، لأنه

كيف نعرف أن الله هو الذي يتكلم ونحاسبه على كلمته؟ البرهان الأول لمعرفتنا الله هو الإيمان بكلامه دون براهين أو تحاليل، الإيمان الذي صنع مجد أباؤنا ونقص الإيمان هو سبب الفساد.

لنرتبط إذاً بالإيمان ونمتلكه ونتمسك به. وبذلك سنبعد عن أنفسنا كل عقيدة فاسدة لا تتمشى مع إيماننا، مثل عقيدة الطالع والقضاء والقدر، إذا آمنت بالقيامة وبالدينونة، سوف تبعد عن نفسك كل هذه العقائد، آمن بعدالة الله وسوف لا تؤمن بوجود الطالع الظالم، آمن بالعناية الإلهية وسوف لا تؤمن بالطالع الذي يخضع له كل شئ آمن بالعقوبة الإلهية وبملكوت الله وسوف لا تصدق الطالع الذي يسلبنا حريتنا ليخضعنا لضرورة مُلحة، لا تزرع ولا تغرس قط، لا تحارب، وفي كلمة واحدة لا تفعل شيئاً بإرادتك أو بدونها، فإن كل شئ سيحدث حسب الطالع. ماذا يتبقى إذاً للصلاة؟ لماذا ترغب أن تكون مسيحياً إذا كانت هذه العقيدة حقيقية؟ لأنه طبقاً لها لا يمكن أدانتك بأي خطية، من أين تأتي العلوم (فنون الحياة)؟ هل من الطالع؟ هل يجيبون بنعم، ولكن الواقع يقول: إن الإنسان يصير حكيماً بمشقة كبيرة. آه أرني شخصاً ما قد وصل دون مشقة؟ إذاً العمل هو الذي يصنع العلماء وليس الطالع.

قد يوجه سؤال لماذا يتمتع إنسان شرير بثراء ورثه من أبيه بينما آخر يبذل جهداً كبيراً ومع ذلك يظل فقيراً؟ لأن هذا هو موضوع جدالهم بصفة دائمة فهم لا يثيرون إلا مسائل الغنى والفقر، ولا يبحثون الرذيلة والفضيلة، وإذا كانت عقيدة القضاء والقدر لها هذا القدر من القوة فلتظهرها في الأمور الهامة كالفضيلة والرذيلة، وليس في الغنى والفقر. وقد يقال أيضاً: لماذا يعيش هذا مريضاً وذاك يتمتع بالصحة؟ لماذا يتمتع هذا بالوقار وذاك يهان. لماذا هذا ينجح في تحقيق رغباته ويوفق في كل أعماله، وذاك يعاني ألف وألف عقبة؟ حد عن الطالع وسوف تفهم كل هذا، آمن بالعناية الإلهية وسوف ترى كل شئ بوضوح. يجيب منافسي (خصمي) لا أستطيع لأن هذا الخلط لا يسمح لي قط بالاعتقاد في أن العناية الإلهية هي مصدر لكل هذا. كيف يصدق أن الله الذي لا حدود لصلاحه، وعطفه، يعطي الغنى لقليل الحياء، وللشرير وللإنسان الطماع، ولا يعطيه للإنسان الخيّر، ما هي الوسيلة لتصديق هذا؟ والواقع الذي نلمسه لا يدعونا إلى هذا التصديق.

أقول لهم هل هذا ناتج من طالع عادل أم ظالم؟ سيقولون أنه الظالم ومن هو الفاعل؟ هل هو الله؟ سيقولون كلا لأنه ليس له فاعل قط، وكيف يجرى هذا الطالع كل ذلك دون أن يكون له مصدر؟ هنا يبدو التناقض واضحاً.

وعلى هذا الاعتقاد نخلص إلى عدم جدوى من وجود الله ومع ذلك فلنبحث عمن صنع السماء، سوف يقولون الطالع، ومن صنع الأرض؟ والبحر؟ والفصول؟ ثم نسق الطبيعة التي لا حياة فيها في نظام تام وتوافق كامل، ونحن الذين وجد كل هذا لأجلنا، هل كان قد قدر لنا أن نحيا في فوضى؟ كمن ينسق

منزلاً فخماً بعنايته المدركة للأمور، ولا يفعل شيئاً للذين سيقطنونه. من يسهر على تتابع الظواهر الطبيعية ومن وضع النواميس المنظمة للطبيعة؟ من نظم سير النهار والليل؟ هذه كلها تفوق الطالع، سوف يقول خصمي كلا، كل هذا حدث بالصدفة، كيف يكون مثل هذا النظام ناتج عن الصدفة، ويلوحون سائلين: كيف يتأتى أن الصحة والثراء والشهرة هي ثمار الطمع أحياناً، وثمار الإرث والعنف أحياناً أخرى؟ ولاذا سمح الرب بذلك؟ لأنه ليس هنا يكافأ الإنسان طبقاً لما يستحق بل في الدهر الآتي. أرني أنه سيكون حينذاك كما هو الحال الآن في العالم، ويقولون أعطني أولاً ميراث هذا العالم، أنا لا أطلب خيرات العالم الآخر، لهذا السبب لم تعط لكم تلك الخيرات. لأنه إذا كنتم حرمتم من اللذات وتحبونها لدرجة أنكم تفضلونها على الخيرات السماوية، فماذا يحدث لو كنتم تتمتعون بلذة دائمة بدون تعكير؟ الله يريد بهذا أن يريكم أن هذه الميزات ليست حقيقية، بل ليست ذات أهمية، وإلا ما كان أعطاها قط للأشرار.

الخادم الذي يغذيه سيده ويسكنه مثل زملائه لا يظن أنه أغنى منهم لأن شعره أكثر كثافة وأظافره أطول منهم. وبالمثل فإن الفخر بالخيرات الأرضية غرور باطل. لذلك يبعدها الله عنا لكي يسكن هذا الجنون ولكي يوجه الرغبة المتجه إليها نحو السماء. إلا أننا مع ذلك لم نصبح عقلاء، كطفل يملك لعبة لا تفيده بشيء. ومع ذلك يفضلها عن أشياء أخرى هامة، فينتزعها عنه والده ولو رغماً عنه لكي يوجه فكره إلى عمل جاد. هكذا هو تصرف الله معنا لكي يقودنا إلى السماء. قد يقال لماذا يسمح الله للأشرار أن يمتلكوا الثروات؟ لأنهم لا يهمونه ولماذا يسمح بها للصالحين؟ أنه أقتصر على عدم منعها عنهم. تكلمنا هنا بطريقة بدائية كما لو كنا نوجه الكلام إلى أناس يجهلون الكتب، أما إذا أردتم أن تؤمنوا وترتبطوا بالكلمات الإلهية فسوف لا نكون في حاجة إلى كل هذه الأحاديث وسوف تعرفون كل ما أنتم في حاجة إلى معرفته، ولأجل تعريفكم بأن الغنى، والصحة، والمجد، أي منها لا يساوي شيئاً، سأريكم الكثير من الناس الذين كان يمكنهم الثراء ولن يفعلوا، وكان يمكنهم أن يتمتعوا بصحة جيدة وحرقوا أجسادهم، وكان في إمكانهم أن يكرموا وفعلوا كل ما في وسعهم لكي يحتقروا، ومع ذلك لا يوجد إنسان صالح يحاول أن يكون شريراً. ليكن طموحنا دائماً في الخيرات الحقيقية، وسنحصل أيضاً على الأخرى في المسيح يسوع ربنا مع الآب والروح القدس، له المجد والقوة والكرامة الآن وفي كل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

الموعظة الثانية

"وأما غاية الوصية فهي المحبة من قلب طاهر، وضمير صالح وإيمان بلا رياء، الأمور التي إذا زاغ قوم عنها انحرفوا إلى كلام باطل، يريدون أن يكونوا معلمي الناموس وهم لا يفهمون ما يقولون ولا ما يقررونه"

(1: 5- 7)

**التحليل**

**أولاً:** من أين تأتي الهرطقات، الاستعمال الواجب للناموس.

**ثانياً:** القديس ذهبي الفم يرى من الآيتين 9، 10 اللتين ذكرت بها أكبر الجرائم إشارة إلى اليهود، مما يُكون المجد الحقيقي.

**ثالثاً:** التباهي بالزينة، الرائحة العطرة للفضيلة، فساد الخطية، ما هي البهجة الحقيقية.

**أولاً: من أين تأتي الهرطقات**

لا يوجد بين الجنس البشري أسوأ من احتقار المحبة بدلاً من ممارستها بحماس، ليس هناك ما يعمل على استقامة الحياة أكثر من الاجتهاد للوصول إلى هذه الفضيلة. السيد المسيح يعلمها لنا بقوله ***"وأقول لكم أيضاً إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شئ يطلبانه، فإنه يكون لهما من قبل أبي الذي في السموات"*** (مت 18: 19) وأيضاً ***"لكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين"*** (مت 24: 12) هنا أصل كل الهرطقات.

فعدم محبة الأخوة لبعضهم البعض أدى إلى الغيرة ممن لهم شهرة حسنة، وهذه بالتالي أدت إلى حب التسلط، الذي نتجت عنه كل الهرطقات. ولذا بعد أن قال بولس لتيموثيئوس ***"إن يوصي قوماً أن لا يعلموا تعليماً آخر"*** يعلمه كيف يستطيع النجاح. وما هي هذه الوسيلة؟ إنها المحبة. كما قال أيضاً ***"لأن غاية الناموس هي المسيح"*** (رو 10: 4) يريد بذلك أن يقول أن كمال الناموس لا يمكن أن نصل إليه بدون المسيح، وهكذا، لا يكمل الناموس بدون المحبة، غاية الطب هي الصحة، وعند امتلاكها فلا حاجة إلى علاج غير مألوف. هذا ينطبق على المحبة تماماً فعندما نمتلكها لسنا في حاجة لوصايا كثيرة. وعن أية محبة يتكلم الرسول؟ عن المحبة الحقيقية التي لا تقتصر على الكلام بل التي تقطن في شعور النفس، ومشاركة الآلام، تلك التي تنبع من قلب طاهر، يقصد بذلك السلوك المستقيم والمودة الحقة، لأن حياة غير طاهرة مصيرها الانقسامات. ***"لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور"*** (يو 3: 20) توجد أيضاً صداقة بين الأشرار، اللصوص يحبون اللصوص، والقتلة يحبون القتلة، هذه الصداقة لا تنبع من ضمير

صالح، بل شرير، ليست من قلب طاهر بل من قلب دنس، وليست نابعة عن إيمان صادق. فالإيمان يعلم الحق، الإيمان الحقيقي يولد المحبة، لأن الذي يؤمن إيماناً حقيقياً بالله لا يمكن أن يفقد المحبة.

ويستمر النص قائلاً: "***الأمور التي إذا زاغ قوم عنها انحرفوا إلى كلام باطل***" نعم قد انحرفوا، لأنه يلزم المهارة لاختيار الطريق الصحيح وعدم التحول عن الهدف، أي أن نترك الروح تقودنا، هناك دوافع كثيرة تبعدنا عن الهدف الحقيقي، ويجب أن يكون هذا المفهوم على مرأى أبصارنا دائماً. ثم يواصل الرسول "***يريدون أن يكونوا معلمي الناموس***" تجدون هنا سبباً آخر لهذه الفوضى وهو شهوة السلطة. لذلك قال السيد المسيح: "***وأما أنتم فلا تدعوا سيدي***" (مت 23: 8) ويقول الرسول بدوره: "***هم لا يحفظون الناموس بل يريدون أن تختتنوا أنتم لكي يفتخروا في جسدكم***" (غلا 6: 13) يريدون أن يكونوا مكرمين، ولذلك لا يتأملون الحقيقة، "***لا يفهمون حتى ما يقولون ولا ما يقررونه***" الرسول هنا يتهمهم بعدم معرفة هدف الناموس وجهلهم بمدى استمرار الحكم به. قد يقال مادام سلوكهم هذا بجهل لماذا ينسب لهم الخطأ؟ لأن خطأهم لا يقتصر على أنهم يريدون أن يكونوا معلمي الناموس بل أيضاً لأنهم لا يصونون المحبة، ومن هنا ينتج الجهل. في الواقع أن النفس إذا استسلمت للأشياء المائتة، يصاب نظرها بالشلل، وتطرح خارجاً عن المحبة، تقع في غيرة فتاكه وبعد ذلك تنطفئ عين ذكائها. الذي يستسلم لرغبة الأشياء المؤقته، يسكر بعشقها، ولا يمكن أن يكون الحاكم العادل للحقيقة. هم يبيعون كلاماً باطلاً فيما يتعلق بالناموس، وينشروا أحاديث طويلة عن شعائر التطهير، والملاحظات الأخرى المادية. دون التوقف للبرهنة على أن هذه الملاحظات ليست هي سوى ظلال الوصايا الروحية والرموز البسيطة، يتناول الرسول موضوع أكثر جاذبية. هو مدح الناموس ويعني هنا الوصايا العشر التي أخذ منها الملاحظات الشرعية. لأنه إذا كان المخالفون لهذه الملاحظات قد عوقبوا، فكم بالأحرى الذين يخالفون الوصايا العشر. فيقول: "***نعلم أن الناموس صالح إن كان أحد يستعمله ناموسياً. عالماً هذا أن الناموس لم يوضع للبار***" (1: 8، 9). يقول: إن الناموس صالح وغير صالح، كيف! هل استعمال الناموس بطريقة غير شرعية يبطل صلاحيته؟ كلا هو دائماً صالح، إنما ما يريد الرسول أن يقوله: إعلان صلاح الناموس إذا استكمل بالأعمال، هذا هو المقصود من عبارة "إذا كان من يستعمله ناموسياً" ولكن يُفسر بالكلام ويُنتهك بالسلوك، فهذا هو الاستعمال غير الناموسي، فهم يستعملونه ولكن ليس لفائدتهم. ويجب إضافة شيئاً آخر، أنك إذا استعملت الناموس استعمالاً شرعياً سيقودك إلى المسيح. إن هدف الناموس في الواقع هو تبرير الإنسان، إلا أنه يعجز عن تحقيق ذلك بذاته، فهو يقود إلى الذي له القدرة على ذلك، واستعمال الناموس استعمالاً شرعياً يكون بمراعاته بدقة فائقة. كيف يكون ذلك؟ مثل الحصان الذي يطيع اللجام بالطريقة المثلى، إذا كان لا يشب ولا يعض، ولكن إذا كان لا يحمل اللجام "المقود" سوى للشكل فقط،

مثله مثل الإنسان الذي يستعمل الناموس استعمالاً ناموسياً ولا يرجع بسلوكه الحكيم لنص الناموس. ومن هو هذا؟ هو الذي يعلم أنه ليس في حاجة إليه. لأن الذي يجاهد ليصل إلى فضيلة سامية، مطالب بحياة مستقيمة ليس خوفاً مما يوصى به الناموس بل للفضيلة ذاتها. فهذا هو الذي يستعمل الناموس استعمالاً شرعياً ومؤكداً، عاملاً به دون خوف منه، بل واضعاً أمام عينيه دينونة الله والعقوبة، هذا هو الاستعمال الصالح للناموس.

ويدعو الرسول هنا "الصالح" من يمارس الفضيلة، إذ هو يستعمل الناموس استعمالاً بارعاً، مثلما توضع علامات الوقف في الكتابة للأطفال ولكن الذي يضيفها إلى الكتابة حيث لا توجد يمتلك على أكبر درجة ويستعمل الكتابة استعمالاً أفضل، وهكذا أيضاً من هو فوق الناموس لم يتعلم بواسطة الناموس، والذي ينفذه ليس عن خوف، بل عن رغبة حارة في الفضيلة، يكون أكثر إجادة في تنفيذه. لأن الذي يخشى العقاب والذي يرغب في الشرف لا يتممان الناموس بنفس الطريقة، ولا يمكن تشبيه الذي تحت الناموس بالذي فوق الناموس، لأن الحياة فوق الناموس هي استعمال الناموس استعمالاً شرعياً، ويعمل أكثر ما يتطلبه الناموس، ولا يجعل نفسه تلميذاً للناموس. لأن الناموس بوجه عام يحرم الشر، ولكن هذا لا يكفي وحده للحصول على الصلاح، فلابد من إضافة التطبيق العملي للخير. بمعنى أن الذين لا يمتنعون عن الشر إلا بدافع الخوف الاستعبادي لا يتممون قط هدف الناموس وبما أن الناموس وُضِعَ لمنع الخيانة فهم يعملون طبقاً للناموس، ولكن خوفاً من العقوبة فقط. يقول الكتاب: ***أفتريد أن لا تخاف السلطان افعل الصلاح***" (رو 13: 3)، أي أنه لا يعاقب سوى الأشرار، ولكن الذي يستحق الأكاليل ما فائدة الناموس له؟ فالطبيب ضروري للجريح، وليس للذي يتمتع بصحة جيدة.

## ثانياً: رأى ذهبي الفم في الآيتين 9، 10

يضيف الرسول ***الناموس وضع للآثمة والمتمردين، للفجار والخطاة***" الآثمة والمتمردون يقصد بهم اليهود. وفي مكان آخر يقول: ***لأن الناموس ينشئ غضباً***" (رو 4: 15)، ما صلة هذا الإنسان الصالح الذي يستحق الكرامة؟ كيف إذاً لم يوضع الناموس من أجله؟ لأنه ليس خاضعاً للعقوبة، ولأنه لا ينتظر توجيهاته، فنعمة الروح القدس التي بداخله هي التي تلهمه. لأن الناموس قد أعطى للردع بواسطة الخوف والتهديد. الحصان السهل في قيادته لا يحتاج إلى لجام "مقود" والمتعلم لا يحتاج إلى العلم.

"***من أجل الآثمة والمتمردين للفجار والخطاة الدنسين والمستبحين لقاتلي الآباء وقاتلي الأمهات***" الرسول هنا لم يستعمل الإيجاز عند إشارته للخطايا، بل ذكرها على وجه التفصيل لكي يخجل الذين تحت الناموس. من يقصد الرسول إذاً بكلامه هذا؟ يقصد اليهود قتلة آبائهم وأمهاتهم هم المقصودين. هم

المقصودين بالدنسين والفجار. هم الذين كانوا في ذهن الرسول عندما قال: "للفجار والخطاة"، وبما أنهم كانوا كذلك، كان لابد أن يوضع الناموس من أجلهم. قل لي، ألم يعبدوا فعلاً الأصنام ألم يريدوا رجم موسى؟ ألم تتدنس أيديهم بقتل أخوتهم؟ ألم يوجه الأنبياء إليهم هذا اللوم؟ كل هذا بعيد عن الذين تتجه أفكارهم نحو السماء.

"***لقاتلي الآباء وقاتلي الأمهات لقاتلي الناس للزناة لمضاجعي الذكور لسارقي الناس للكذابين للحانثين وإن كان شئ آخر يقاوم التعليم الصحيح***" بهذه الأمور كان ولع النفوس الفاسدة. يقول الرسول: "***التعليم الصحيح هو التعليم الذي حسب إنجيل مجد الله المبارك الذي أؤتمنت أنا عليه***" على أنه حتى في الآن لازال الناموس ضرورياً لتثبيت الإنجيل، ولكن ليس للذين يؤمنون. وإذا كان الرسول يسميه إنجيل مجد الله، فهذا لكي يوبخ الذين يخجلون منه بسبب الاضطهادات وآلام المسيح التي هي في ذاتها مجد، وأيضاً للإيضاح عن أمور وأسرار المستقبل. لأنه إذا كان العصر الحاضر مليئاً بالخزى والاغتصاب. فلن يكون كذلك في المستقبل، ورسالة "الإنجيل" تهدف بالأحرى للمستقبل عن الحاضر. كيف إذاً قال الملاك "***ها أنا أبشركم بفرح عظيم أنه ولد لكم اليوم مخلص***" (لو 2: 10، 11) المخلص ولد ولكنه سوف يكون مخلصاً، لأنه لم يصنع معجزاته عند ولادته.

"***حسب إنجيل مجد الله المبارك***"، "المجد" يعني تمجيد الله، ويقول لنا إذا كان الوقت الحاضر ملئ بمجده، ففي المستقبل سيكون أكثر كثيراً "***عندما يضع أعداءه تحت قدميه***" (1كو 15: 25)، عندما لا يوجد أي اعتراض على مجده وأن الأبرار سيرون هذه السعادة. "***ما لم تر عين، ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان***" (1كو 2: 9)، يقول الإنجيل "***أريد أن يكونوا معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني***" (لو 17: 24).

فلنعرف من هم هؤلاء لكيما نهنئهم لأنهم أعدوا للتمتع بمثل هذه الخيرات وللمشاركة في مثل هذا المجد ومثل هذا النور! لأن مجد الأرض باطل وغير ثابت، ومهما دام فلن يدوم أكثر منا، إذاً فهو يتلاشى بسرعة. يقول الكتاب "***لأن عند موته لا ينزل وراءه مجده***" (مز 49: 17) وبالنسبة لكثيرين لم يدم مجدهم معهم حتى إلى نهاية حياتهم. ولكن بالنسبة للمجد السماوي لا يمكن أن يشك أحد في دوامه، ولكن على العكس من ذلك سيدوم ولن تكون له نهاية. لأن هذه الهبات الإلهية دائمة ومستمرة وتفوق التغير والموت. إذاً فالمجد لا يأتي من الأشياء الخارجية، وإنما ينبع من داخل نفوسنا، وهو لا يتوافر لنا مما نرتديه من ملابس ثمينة فخمة، أو ممن يحوط بنا من حشد من الخدم، أو من العربات التي تحملنا، إن الإنسان يرتدي مجداً بعيداً كل البُعد عن كل هذا. إن من يرتدي مجد المظاهر العالمية الزائف والزائل يتجرد من هذا المجد بمجرد أن يخلع عنه هذه المظاهر. مثل الذين في الحمامات كلهم متساوون

ومتشابهون إذ أن جميعهم عراة، العظماء المشهورون والبؤساء المجهولون. ولكن الإنسان الطوباوي لم يفصل عن مجده في أي مكان، وكذلك فإن الملائكة أينما يظهرون يحملون مجدهم في ذواتهم، وكذا أيضاً بالنسبة للقديسين.

الشمس ليست في حاجة إلى ملبس، وليست في حاجة إلى شمس أخرى، ولكن بمجرد ظهورها تبرق بمجدها. وهكذا سيكون في السماء.

## ثالثاً: التباهي بالزينة

لنتتبع إذاً هذا المجد الجدير بأقصى درجات السمو، ولنلفظ المجد الآخر الباطل، يقول الوحي الإلهي: "لا تتفاخروا بملابسكم" (يشوع بن سيراخ 11: 4). وهذا ما قالته الحكمة العالية للأغبياء. كيف تتفاخر بشئ يمكن أن تأكله منك الديدان إذا تعلقت به؟ أترى إذاً كم مجد العالم الحاضر متقلب. أنت تتفاخر بشئ ممكن لحشرة أن تنتجه ولحشرة أخرى أن تلتهمه. أقتن الثوب إذا أردت ولكن الثوب المنسوج في السماء، حلة جديرة حقاً بالإعجاب، حلة من ذهب نقي تماماً. هذا الذهب ليس منزوعاً من المناجم بأيدي المحكوم عليهم. ولكنه ناتج عن الفضيلة. لنرتدي هذا الثوب الذي ليس من عمل الفقراء والعبيد ولكن من عمل المعلم نفسه.

كيف إذاً نصل إلى هذا الحد من الجنون، حتى نظهر هذا الولع بأمور تافهة، ونجد ذواتنا على أتم الاستعداد للقيام، بأعمال مشينة، مثل الخيانة بالعناية بالخلاص الذي قدمه لنا، والازدراء بجهنم، وإهانة الله، ونسيان فقر المسيح؟ ماذا نقول عن هذه الكثرة من العطور الواردة من الهند، وبلاد الغرب، والفرس، جافة كانت أم سائلة، عطور وروائح لحرارة الشهوة، وندفع فيها أثمان باهظة دون أية فائدة؟ أيتها المرأة لماذا تعطرين الجسد وهو من الداخل ملآن بعدم النقاوة؟ لماذا كل هذا الإنفاق من أجل شئ غض أليس هو كما لو كنت تلقين عطراً على الوحل أو بلسماً على فخار معدم؟ إن العطر الحقيقي إذا أردت أن تقتنيه هو الذي يعطر نفسك، ولا يستورد من بلاد العرب والحبشة، ولا من الفرس، لكنه من السماء نفسها، لا يشترى قط بثمن الذهب، ولكن بالإرادة الصالحة والإيمان الصادق. أقتني هذا العطر الذي يمكن أن تعطر رائحته الأرض كلها. إنه العطر الذي كان يستنشقه الرسل. ويقول الرسول ***لأننا رائحة المسيح الذكية لله في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون***" (2كو 2: 15، 16). ماذا تعني هذه الكلمات؟ إنها كما يقال إن الرائحة الممتعة تخنق الخنازير. لم يكن فقط جسد الرسل، بل ملابسهم أيضاً كانت تستنشق العطر الروحي، من ملابس بولس كان يخرج فوحان متميز لدرجة أنه كان يطرد الشياطين. القرفة، والمر، هل في إمكانها أن يتنافسا مع سحر وفاعلية هذا العطر؟ فإذا كان هذا العطر قادراً على طرد الشياطين،

أي شئ بعد ذلك يتعذر عليه أن يعمله؟ لنحصل على هذا العطر، إنه فيض من الروح، ورحمته هي التي تعطينا إياه. ونحن سوف نستنشقه خارج هذا العالم، وكما أن الذين يتعطرون هنا على الأرض يجذبون انتباه من هم حولهم، مثلما في الكنيسة وفي كل الاجتماعات المتعددة، وأينما يوجد تزين تفوح منه هذه الرائحة، الكل يتجه نحوه ويقترب منه، وبالمثل في العالم الآخر، عندما تتقدم روح وتفوح منها الرائحة الروحية العطرة، الكل يقف وينحني ليقدم لها الإكرام. وهنا الشياطين والرذائل لا تتوافر فيهم الشجاعة ولا القوة ليقتربوا منها: إذ هم في حالة لنتغطى بها العطر.

إن عطر العالم يضفي علينا صفة الرجال المتأنثة، أما هذا العطر فيعطينا صفة الرجال الشجعان الجديرين بالإعجاب، ويسبغ علينا رجولة مستقلة، ليست الأرض هي التي تعطيه، أنها الفضيلة هي التي تنتجه، لا يجف، بل يزهر والذين يمتلكونه يكونون جديرين بالفخر. نحن اصطبغنا به في المعمودية، لذلك تفوح منه رائحة عذبة يمكث استنشاقها معنا باقي حياتنا تبعاً لفضيلتنا. ولذلك فإن الكهنة في العصور القديمة كانوا مدهونين بالعطور كرمز لرائحة الفضيلة العطرة التي يجب أن تفوح من الكاهن.

## فساد الخطية

أما عن الخطية فليس هناك ما هو أكثر تعفناً منها. انظروا كيف يصف النبي طبيعتها: "***جروحي نتنة وفاسدة***" (مز 37: 7) وفي الحقيقة أن الخطية أسوأ وأنتن من العفن. أفيدوني هل يوجد ما هو أكثر عفونة من الزنى؟ وإذا كان رائحته لا تُشم أثناء ممارسة الخطية جربوا بعد ذلك فسوف تشمون الفساد، وترون عدم النقاء، والتلوث والرجس. هكذا بالنسبة لكافة الخطايا. قبل ارتكابها تقدم لنا ما يجذبنا إليها، وبعد ارتكابها تتوقف اللذة وتذبل ويحل محلها الألم والخجل. أما الصلاح فهو على العكس تماماً، ففي البداية يسبب بعض الآلام، ولكن بعد ذلك يجلب السعادة والراحة. وكما أن اللذة في ممارسة الخطية ليست هي لذة لأنك تنتظر الخجل والعقوبة، كذلك فإن الألم وأنت تمارس البر ليس هو ألماً إذ يتخلله الأمل في المكافأة.

قولوا لي ما هو إدمان الخمر؟ أليست لذته الوحيدة في السكر، وبالأحرى قد لا يجدها في هذا الفعل؟ إذ عندما يقع السكير في حالة فقدان الشعور ولا يرى شيئاً مما يحيط به، فأية لذة تبقى له؟ الدعارة لا تعطي الشعور بالرضا ولو حتى مؤقتاً، لأن النفس حينما تكون أسيرة رغباتها تفقد الحكم، فأي فرح يمكنها أن تشعر به؟ وحتى إذا شعرت بفرحة ما هي إلا إثارة. إن الفرح الحقيقي هو فرح الحياة الأخرى، حيث لا تعذب النفس وتتمزق الشهوة. هل الفرح في صرير الأسنان، في جريان العيون، في الشعور بالهياج وحرارة الحمى؟ هل هذه لذة تلك التي إذا مارسناها نسارع في التخلص منها، وبعد بلوغنا شهوتها

نعود للآلام ثانية؟ إذا كنتم رغم هذا تحسبونها لذة فلتحتفظوا بها. ولا شك أنكم سوف ترون جيداً أنها لا تحمل من اللذات سوى الإثم فقط. إن سعادة المسيحي ليست هذه قط، أنها سعادة حقيقية وليست لذة محمومة، تعطي الحرية للنفس وهي جذابة وغنية باللذات الحقيقية. وهذه هي السعادة التي عبر عنها القديس بولس بقوله: "***ولهذا أنا أفرح بل سأفرح أيضاً***" (في 1: 18) ويقول بعد ذلك ***افرحوا في الرب كل حين***" (في 4: 4)، إن الفرح الآخر يجلب الخجل والعقاب، ولا يتم إلا في الخفاء وهو ملئ بعوامل الإشمئزاز. ما هذا فهو متحرر من كل هذه الآلام. لنتتبعه حتى نحصل على الخيرات المستقبلة بنعمة ورحمة ربنا يسوع المسيح مع الآب والروح القدس له المجد والقوة والعزة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

الموعظة الثالثة

***"وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا. الذي قواني، إنه حسبني أميناً. إذ جعلني للخدمة، أنا الذي كنت قبلاً مُجدفاً ومضطهداً ومفترياً. ولكنني رُحمت. لأني فعلت بجهل في عدم إيمان. وتفاضلت نعمة ربنا جداً مع الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع"***

(1تي 1: 12- 14)

التحليل

**أولاً:** تواضع القديس بولس العجيب.

**ثانياً:** إذا كان قد اضطهد الكنيسة الناشئة، فقد فعل ذلك بجهل وحماس، وليس حباً في السيادة.

**ثالثاً:** لتكن محبة الله هي القائدة لحياتنا، نرد الشر بالخير.

## أولاً: تواضع القديس بولس العجيب

نحن نعلم أنه بالتواضع نحصل على فوائد عديدة، ولكن لا يمكن إدراكها بسهولة، فكثيرة هي الأقوال المتواضعة ولكن لا يوجد فيها أي أثر للتواضع الحقيقي. لكن القديس بولس الطوباوي قد مارس التواضع بحماس كبير، وكان يفكر في كل الأسباب التي تعمل على تواضع روحه. وبديهي أن التواضع ليس أمراً سهلاً بالنسبة للذين لهم ضمير وتقدموا كثيراً في عمل الخير، الأمر الذي جعل بولس يعاني من الآلام بعنف، لأن الخير الذي كان يؤديه بضمير صالح كان لابد أن يحدث انتفاخاً في قلبه. تأملوا إذن ماذا يفعل، لقد قال أنه أؤتمن على إنجيل مجد الله المبارك، ذلك الإنجيل الذي لا يمكن أن يشترك فيه الذين لازالوا يتبعون الناموس، لأنه يوجد تنافر والمسافة كبيرة جداً بينهما، لدرجة أن الذين ينساقون بالناموس يظلون غير جديرين بعد للاشتراك في الإنجيل، هكذا يقال إن الذين يلزمهم سلاسل ومحاكم لا

يمكن أن يكونوا في عداد الفلاسفة. وبعد أن تحمس وقال هذه العبارة الكبيرة عن نفسه يتواضع فوراً ويحث الآخرين على أن يسلكوا نفس السلوك. فبمجرد ما كتب أنه أؤتمن على الإنجيل، يسارع بإضافة التصحيح حتى لا تظنوا أنه يتكلم بكبرياء. لاحظوا أنه يصحح حديثه بإضافة هذه الكلمات: "***وأنا أشكر المسيح يسوع الذي قواني إنه حسبني أميناً إذا جعلني للخدمة***".

الإنجيل الذي أؤتمنت عليه. هنا التمييز والعظمة، ولكنهما لا يخصانه بالكامل، انظروا ماذا يقول: "***أنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذي قواني***" هنا يذكر ما يخص الله ثم يذكر ما يخصه هو نفسه بقوله: "***إنه حسبني أميناً***" أي أميناً على قدراته الصالحة. "***إذ جعلني للخدمة أنا الذي كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً ولكني رُحمت لأني فعلت بجهل في عدم إيمان***".

لاحظوا كيف يظهر ما يخصه وما يخص الله، ناسباً النصيب الأكبر للعناية الإلهية، مقللاً مما يخصه، هو ولماذا هذه الكلمات: الذي قواني؟ إن الحمل الثقيل الذي حمله الرسول كان لابد معه من الحاجة إلى معاونة كبيرة من أعلى. إنه كان يعاني يومياً من الإهانة، والشتائم، والمكائد، والأخطار والسخرية، وخطر الموت، وكل ذلك دون أن يضعف وينزلق في الطريق، دون الرجوع إلى الوراء، بل طامحاً في التقدم كل يوم، محافظاً على نظرة ثابتة وشجاعة، وهذا ليس في قدرة القوى البشرية، ولا حتى تكفيه مساعدة الله العادية، لكن الأمر في حاجة إلى دعوى خاصة. لأن الله قد أدرك مسبقاً ما سيكون عليه بولس الذي أختاره. اسمعوا ماذا يقول قبل أن يبدأ بولس بنشر الإنجيل: "***لأن هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك***" (أع 9: 15) مثل الذين يحملون علم الملك في الحرب Le Labarum[1] هم في حاجة إلى قوة وخبرة، حتى لا يقع منهم في يد الأعداء، أيضاً الذين يحملون اسم المسيح، ليس فقط أثناء الحرب، ولكن أيضاً في السلام التام، هم في حاجة إلى قوة كبيرة لكي لا يخونوه أمام الأفواه التي تتهمه، بل يتمسكوا به بفخر ويحملون الصليب. نعم يلزم قوة كبيرة للتمسك باسم المسيح والذي يسمح لنفسه سواء في كلامه أو أعماله أو أفكاره بأي شئ غير لائق، فإنه لا يتمسك بالمسيح ولا يوجد المسيح فيه. الذي يحمله يجب أن يحمله بفخر والملائكة تحرسه وتعجب به.

يقول الرسول: "***أشكر المسيح يسوع ربنا الذي قواني***" لاحظوا أنه يشهد باعترافه بالجميل، بأنه إناء مختار، يشهد بالجميل نحو الله. هذا اللقب يخصك أيها الطوباوي بولس، لأن الله لا يحابي الأشخاص، كما لو كان يقول: أشكر الله الذي شرفني بهذه الوظيفة التي حسبني أميناً بها. كما يحدث في منزل مثلاً المشرف لا يشكر سيده فقط لأنه وثق فيه، ولكنه يرى في وظيفته شهادة منه، بأنه يثق فيه أكثر من

[1] لواء قسطنطين الكبير بعد اعتناقه المسيحية (علم رمزي).

الآخرين، وهكذا هو الحال في مجال الخدمة الرسولية. ثم تأملوا بعد ذلك كيف يعظم رحمة الله وحلمه عندما يتكلم عن حياته السابقة قائلاً: ***أنا الذي كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً***". وعندما يتكلم عن اليهود الذين لم يؤمنوا بعد، فإنه يتكلم بتحفظ كبير: ***لأني أشهد لهم أن لهم غيرة الله ولكن ليس حسب المعرفة***" (رو 10: 2)، وعلى العكس إذ تكلم عن نفسه يضعها في عداد المجدفين والمضطهدين. انظروا إلى أي حد ينزل من نفسه مبتعداً عن المحبة الذاتية، ضابطاً فكرة في التواضع. لم يكفه أن يقول عن نفسه "مجدفاً" بل يضيف "مضطهداً" ويُصر على ذلك يقول: إنه لم يكتف بفعل الشر والتجديف فقط ولكنه كان يضطهد الذين يرتدون اتباع طريق الدين. "ولكن" يضيف ***لأن الله رحمني لأني تصرفت بجهل في عدم إيمان***".

**ثانياً: اضطهاده للكنيسة كان بجهل وحماس**

ولماذا لم يرحم باقي اليهود؟ لأنهم لم يخطئوا بجهل بل لأنهم كانوا يدركون وعلى علم تام بالشر الذي كانوا يرتكبونه. ولكي نفهم ذلك جيداً اسمعوا ما يقوله لنا الإنجيل: "***ولكن مع ذلك آمن به كثيرون من الرؤساء أيضاً غير أنهم لم يعترفوا به، لأنهم أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله***" (يو 12: 42، 43)، والمسيح له المجد قال: "***كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض***" (يو 5: 44)، أيضاً ما ذكر عن أبوي الأعمي أنهما لم يعترفا لخوفهما من اليهود ***لأن اليهود كانوا قد تعاهدوا أنه إن اعترف أحد بأنه المسيح يخرج من المجمع***" (يو 9: 22)، وكانوا يقولون: هل ترون أننا نربح شيئاً؟ لا شئ لأن كل العالم يسير وراءه. وفي الواقع أينما حلوا كان شغف محبتهم للسلطة يكدرهم. وقد قالوا بأنفسهم: "***من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده***" (لو 5: 21) وفي الحال أثبت لهم يسوع أنه هو الله، فلم يكن الجهل بالنسبة لهم هو السبب. ربما يوجه سؤال أين كان بولس؟ كان جالساً تحت قدمي غمالائيل لم يكن له أية شركة مع الجمع المتمرد. وأين كان غمالائيل؟ إنه كان شخصاً لا يفعل أي شئ حباً في السلطة. إذن كيف وجد بولس بعد ذلك مع هذا الجمع؟ كان يرى عدد المؤمنين يزداد، تؤمن الرؤوس ثم يتبعها الشعب. البعض أنضم للمسيح أثناء وجوده على الأرض، والبعض الآخر لتلاميذه.

أخيراً حدث انقساماً كبيراً بين اليهود. وما عمله بولس حينئذ لم يعمله بدافع حب السلطة إنما بدافع الحماس ولماذا كان يتردد على دمشق؟ لكي يتعرف على ما يجرى فيها، ولكن هدفه ليس كالآخرين الذين لم تكن عنايتهم لتدبير شئون الجمهور. بل حباً في السلطة التي يبتغونها. اسمعوا ماذا يقولون: "***الرومانيون يأخذون موضعنا وأمتنا***" (يو 11: 48). أنها المخاوف البشرية هي التي كانت تهزهم. ما يهمنا فحصه هو كيف أن بولس المدقق في تطبيق الشريعة، لا يعرف هذا الإنجيل الذي قال هو عنه إن

الله سبق فوعد به بأنبيائه (رو 1: 2) كيف كان لا يعرفه وهو الغيور على شريعة آبائه، والمتعلم تحت أقدام غمالائيل؟ أخرون عائشون على شواطئ البحيرات والأنهار، وفي مكاتب العشارين، كانوا يسرعون نحو المسيح ليلتقطوا أقواله، وأن العالم في الشريعة كنت تضطهدها. لذلك يدين نفسه قائلاً: ***أنا الذي لست أهلاً أن أدعى رسولاً*** " (1كو 15: 9) فهو يعترف بذلك أن في نفسه جهلاً متولداً من عدم الإيمان، ولهذا يقول أنه موضع العناية الإلهية. وماذا تعني إذن عبارة "حسبني أميناً"؟ تعني أنه لم يخالف أية وصية من الوصايا التي تسلمها. وأرجع كل شئ للملك المعلم حتى تصرفاته، ولم يخص نفسه بمجد الله. اسمعوا ما يقوله في مكان آخر ***لماذا تفعلون هذا؟ نحن أيضاً بشر تحت الآلام مثلكم*** " (أع 14: 14)، وهذا ما يعنيه بهذه الكلمات "حسبني أميناً" وبالفعل يقول في مكان آخر: ***أنا تعبت أكثر منهم جميعاً ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي*** " (1كو 15: 10). كما يقول في مكان آخر: ***لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا*** " (في 2: 13) هو يعترف باستحقاقه للعقوبة، لكن العناية الإلهية تتدخل في هذه الظروف، وفي مكان آخر أيضاً يقول: ***أن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل*** " (رو 11: 25).

ولكنه يقول لتيموثيئوس "***وتفاضلت نعمة ربنا جداً مع الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع***" (1: 14) لماذا يتكلم هكذا؟ حتى لا تظنوا أن الرحمة وحدها التي شملته، يقول الرسول: كنت مجدفاً، مضطهداً ومفترياً وبالتالي كنت مستحقاً للعقوبة ولكني رُحمت وهل الرحمة كانت قاصرة على إنقاذه من العقوبة فقط كلا بالتأكيد كلا. فقط أضاف الله إلى رحمته حسنات كبيرة وعديدة، الله لم يخلصنا فقط من العقوبة، بل صيرنا صالحين، أولاده، أخوته، أصدقاءه، ورثته، شركاء في الميراث مع المسيح. ولهذا يقول الرسول النعمة تفاضلت لأن حجم حسناته قد فاق مستوى الرحمة وحدها فليس هذا عمل الرحمة وحدها، بل عمل المحبة والحنان المفرط الرسول بتعظيمه لصلاح الله الذي رحمه وهو المجدف والمضطهد والمفترى، ولم يقف عند هذا الحد، بل تفضل بمنحه حسنات كبيرة، ووقاية من مقاومات غير المؤمنين.

**ثالثاً: لتكن محبة الله هي القائدة لحياتنا**

لنحب الله إذن بالمسيح، ولكن ماذا تعني هذه الكلمة "بالمسيح" تعني أننا مدينون للمسيح بخلاصنا وليس للناموس. أترون كم من خيرات نحن مدينون بها له ولكن ماذا بالنسبة للناموس؟ الرسول لم يقل فقط أن النعمة كثرت، بل "تفاضلت". نعم "تفاضلت" لأنها حولت الذين يستحقون آلاف العقوبات إلى أبناء بالتبني في المسيح، يعني بالمسيح. وهنا مرة أخرى استعملت كلمة "في" بدلاً من "ب" إذاً فالأمر لا يتطلب الإيمان فقط، ولكن المحبة أيضاً، فكثيرون في أيامنا هذه يؤمنون بأن المسيح هو الله، ولكنهم لا يحبونه، ولا يتصرفون كالمبحين. وكيف يحبونه وهم يؤثرون كل شئ عليه، الثراء، الإيمان بالقضاء والقدر،

التنبؤات، العرافة، قولوا لي كيف نحب المسيح ونحن لا نعيش سوى لإهانته، ليتنا نعطي نفس الحب الله الذي سلم ابنه لأجل أعدائه، لأجلنا، ونحن لم نفعل شيئاً يستحق كل ذلك. بل على العكس قد ارتكبنا جرائم بجرأة تفوق الوصف، دون سبب بعد أن قدم لنا مالا يحصى من الخيرات، مالا يحصى من دلائل المحبة، ومع كل ذلك لم يرفضنا، بل أنه في الوقت الذي كنا فيه في قمة الإثم أعطانا ابنه، ونحن بعد هذا المعروف الكبير وبعد أن أصبحنا أصدقاءه، وبعد أن غمرنا بحسنات كبيرة جداً، بالمسيح، لا نحبه كما نحب صديق لنا. ماذا سيكون رجاؤنا إذن؟ ارتعدوا من هذه العبارة، ولعل الله يجعل هذا الارتعاد شافياً لكم!

قد يقال كيف لا نحب المسيح مثل أصدقائنا؟ سأحاول أن أثبت لكم ذلك. من أجل الأصدقاء المخلصين، كثيرون تألموا بمحض إرادتهم، وأما من أجل المسيح، لا يقبل أحد ليس فقط الآلام مجرد الرضا بثروته الحالية، وكثيراً ما نتعرض للسب من أجل صديق، ونقبل الكراهية، ولكن من أجل المسيح لا يقبل أحد هذا. لا ننظر بعدم اكتراث إلى صديقنا الذي يعاني من الجوع، ويومياً يأتي المسيح ويطلب منا، ليس تضحيات كبيرة، بل مجرد قطعة من الخبز، ولا نرحب به، بينما نملأ وننفخ بطوننا إلى حد الإفراط الدنئ. ويتعفن نفسنا من النبيذ، نعيش في التراخي، ونعطي أموالنا بسخاء، البعض يعطيها لمخلوقات لا حياء لها، والبعض الآخر للمتطفلين أو إلى متملقين أو إلى وحوش أو مجانين أو أقزام لأننا نتخذ من نكبات الطبيعة أداة تسلية. نحن لا نحسد أصدقائنا الحقيقيين أبداً، ولا نتألم لنجاحهم، ولكننا نشعر بهذا الإحساس تجاه المسيح، إذن نرى أن للصداقة سلطة علينا أكثر من مخافة الله، الإنسان الخائن وحسود ويحترم الناس أكثر من الله. كيف ذلك؟ لأن فكر الله الذي يرى أعمال القلوب لا يحيده عن مؤامرته، بينما لو رآه أحد من أمثاله وهو يدبر مؤامراته يشعر بأنه ضاع ويستولى عليه الخجل ويحمر وجهه. ماذا أقول أيضاً؟ إذا وجدنا صديقاً يمر بمحنة، وإذا تأخرنا عنه قليلاً نخشى اللوم، ولكن كم من مرات مات المسيح في الأسر ولم نبال به. نحن نهتم بأصدقائنا الذين هم في عداد المؤمنين، ليس لأنهم مؤمنون، بل لأنهم أصدقائنا.

وكما ترون أننا لا نعمل أي شئ خوفاً من الله، ولا محبة له، ولكننا نتصرف من أجل الصداقة أو بحكم العادة. عندما يغيب عنا صديق نبكي ونئن، وفي حالة وفاته ننوح رغم أننا نعلم أنه ليس الفراق الأبدي، ولكن قد يبعد المسيح عنا يومياً، أو بالأحرى عندما نعمل نحن على إبعاده عنا، لا نشعر بأي ألم ولا نفكر في أننا سوف نكون بؤساء حينما نرتكب الظلم، وعندما نحزنه ونفعل ما لا يرضيه بل ولا نرضى أن نتعامل معه كصديق، وسوف أريكم أننا كثيراً ما نتعامل معه كعدو. كيف ذلك؟ يقول الكتاب: ***"اهتمام الجسد هو عداوة لله"*** (رو 8: 7). ومع هذا فنحن ممسكون برباط هذا الاهتمام، ونضطهد المسيح الذي

يريد أن يهرع إلينا، فهذه نتيجة طبيعية للأعمال الرديئة. إننا نجرم كل يوم في حق الله بسبب الإهانة التي يتحملها من جراء طمعنا وسلبنا. قد يتمتع إنسان بشهرة ساطعة لأنه يعظم مجد المسيح ويفيد الكنيسة، نحن نحسده لأنه يعمل عمل الله، وفي الواقع نحن نحسده لأننا لا نريد أن يتم هذا الخير بواسطة الآخرين بل نريد أن يتم بواسطتنا، ليس لأجل المسيح، بل لأجلنا، لأننا إذا رغبنا الخير للمسيح نفسه لا نبالي إذا كان هذا الخير يتم بواسطة أيدي الآخرين أو بأيدينا.

قولوا لي إذا كان طبيب له ولد مهدد بالعمى، وهو عاجز عن شفائه، ويجد طبيباً قادراً على شفائه هل يرفض علاج هذا الطبيب لابنه؟ بالتأكيد لا، بل يسرع بالقول: بواسطتك أو بواسطتي المهم أن يشفى ابني. لماذا؟ لأنه لا ينشد مصلحته الخاصة وإنما شفاء ابنه. وبالمثل إذا تأملنا دعوى مجد المسيح فلنعمل ما هو يجب عمله سواء بواسطتنا أو بواسطة غيرنا. وكما يقول الرسول: "***سواء بعلة أو بحق ننادي المسيح***" (في 1: 18) اسمعوا ماذا قال موسى ليشوع عندما أثاره حينما تنبأ الدادوميداد "***هل تغار أنت لي ياليت كل شعب الرب كانوا أنبياء***" (عدد 11: 29). كل هذا يحدث بسبب حب الشهرة. أليس هذا المسلك هو مسلك الأعداء؟ إذا كلمك أحد بسوء رحب به. هل هذا ممكن، نعم إذا أردت ذلك. ماذا تستحق إذا أحببت من يطريك ويمدحك؟ أنت لا تفعل ذلك من أجل المسيح بل لأجل شهرتك. هل أخطأ أحد في حقك؟ قدم له خيراً لأنك إذا خدمت من يخدمونك لم تعمل أي شئ يذكر. هل قاسيت ظلماً أو أهانه كبيرة، اجتهد أن ترد الشر بالخير، أتوسل إليكم أن نتصرف هكذا، أن تكف عن أهانه وبغض أعدائنا. الله يأمرنا بمحبتهم ونحن نضطهد إله المحبة. ليت الأمر لا يكون كذلك نحن نسلك السلوك الحسن بأفواهنا فقط وليس بأعمالنا. تلك هي ظلمات الخطية، أن مالا يتجاسر على قوله نتجاسر على فعله، لنحصل على خلاصنا بصفحنا عن الذين أخطأوا في حقنا وأهانونا حتى نثبت استحقاقنا لنوال كل ما يخص أحباء الله في النهاية. ويسوع المسيح يقول: "***أريد أن يكونوا معي حيث أنا أكون***" (يو 17: 24) المجد الذي أتمناه هو أن نصل إليه جميعاً بيسوع المسيح ربنا مع الآب والروح القدس له المجد الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

الموعظة الرابعة

***"صادقة هي الكلمة ومستحقه كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا لكني رحمت ليظهر يسوع المسيح فيَّ أنا أولاً كل أناة مثالاً للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية"***

(1: 15، 16)

التحليل

**أولاً:** التبرير بالناموس لا يساوي شيئاً

**ثانياً:** تواضع القديس بولس

**ثالثاً:** كيف نستطيع أن نمجد الله.

**أولاً: التبرير بالناموس لا يساوي شيئاً**

حسنات الله كبيرة جداً وتفوق كثيراً كل التوقعات وكل الآمال البشرية لدرجة أنه يوجد دائماً من لا يؤمن بها. وبالفعل فقد منحنا الله ما لم يتوقعه أو حتى يفكر فيه إنسان، ولهذا فقد عانى الرسل كثيراً في تأسيس الإيمان بنوال مواهب الله. ولذلك عندما يتحقق للإنسان نوال شئ من عطايا الله الكبرى قد يقول: هل أنا في حلم؟ تعبيراً عن شكه في تحقيقها. فهذا هو حال الإنسان إزاء عطايا الله. ما هي هذه العطية الكبرى التي لا نستطيع الإيمان بها؟ تتساءل كيف يتسنى لأعداء الله الآثمة الذين لم يتبرروا بالناموس ولا بالأعمال وفجأة بالإيمان فقط يحصلون على التبرير الذي هو أعظم العطايا؟ يتوسع الرسول في هذا الموضوع في رسالته إلى رومية، وهنا أيضاً يؤكد بقوله: "***صادقة هل الكلمة ومستحقه كل قبول إن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا***" (1: 15) لأنه بما أن هذا هو المبدأ أو الشريعة التي يجد اليهود صعوبة في تطبيقها، كان يقنعهم بالا يرتبطوا بالناموس، لأنه به وحده وبدون الإيمان لا يمكن الخلاص. فهو كان يكافح لإثبات هذا المبدأ كما كان يعتقد أنهم يفكرون أنه من غير المعقول أن الإنسان الذي أمضى حياته السابقة في الضياع وفي الأعمال الرديئة يمكن أن يخلص بعد ذلك بالإيمان وحده. لهذا يقول: "***صادقة هي الكلمة***" ولكن البعض كانوا يفترون كما يحدث الآن أيضاً، ويزعمون كذباً أن الرسول قال: "***لنفعل السيئات لكي تأتي الخيرات***" (رو 3: 8)، ويتعللون في غير فهم بما قاله الرسول "***حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً***" (رو 5: 20). ولكن لماذا يقول "لنعمل السيئات لكي تأتي الخيرات"؟ الوثنيون خاصة هم الذين يقولون ذلك استهزاءنا بعقيدتنا، وحينما نكلمهم عن جهنم، يقولون: كيف تكون هذه العقيدة جديرة بالله؟ إذا كان السيد يصفح عن خادمه الذي ارتكب أخطاء كثيرة،

فكيف يعاقب الله بالآلام الأبدية؟ وعندما نكلمهم عن العماد، وعن مغفرة الخطايا الممنوحة بواسطته، يقولون: كيف يستحق الذي ارتكب العديد من الخطايا غفران الله؟ ألا ترون فساد أفكارهم، التي لا تنشغل سوى بالمجادلة؟ مع أنه إذا كان الصفح رديئاً. يكون الخير في العقاب، وإن لم يكن الخير في العقاب يكون في الصفح. وأنا أتكلم هكذا من وجهة نظرهم، ولكن طبقاً لتعاليمنا فإن كلا من العقاب والصفح له فائدته، كيف ذلك؟ هذا ما سنحاول إيضاحه في مجال آخر، لأن هذا المجال حالياً غير ملائم. إنه سؤال عميق ويستحق شرحاً مطولاً لذا يلزم وضعه أمام عيون محبتكم.

كيف تكون هذه الكلمة صادقة؟ يتضح ذلك مما سبق وما يتبع، تأملوا كيف يُعد الرسول العقول لذلك ويقف عند هذه النقطة. حينما قال: إن الله رحمه وهو المجدف والمضطهد، كان يُعد العقل لهذه الكلمة، ولم يقل فقط إن الله عطف عليَّ، بل حسبني أميناً، لأنه فعلاً أشفق عليَّ. أنه من يرى سجيناً أصبح مضيفاً في القصر الملكي ويشك في أنه حصل على العفو، وهذا ما نراه في بولس. ولكن أيضاً كيف تكون هذه الكلمة صادقة، إنه يبرهن على ذلك من واقع اختباره الشخصي، فلم يخشى أن يدعو نفسه خاطئاً، بل يعتز بالأكثر بأنه صار الأداة التي تجلت فيها عظمة الحنان الإلهي. كيف في موضع آخر يتكلم عن نفسه من جهة البر الذي في الناموس إنه بلا لوم (في 3: 6). وهنا يعلن أنه كان خاطئاً بل وأول الخطاة؟ ذلك لأنه طبقاً للبر الذي هو من عمل الله، والهدف الحقيقي لواجباتنا، يحب حتى الذين في الناموس أنهم خطاة. "لأن الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله" أنه لم يقل ببساطة "البر" بل قال البر الذي في الناموس. كالذي يملك نقوداً كثيرة يظهر عليه الثراء، ويتباهى بنفسه ولكنه هو في الواقع فقير وأول الفقراء إذا ما قورنت أمواله بكنوز الإمبراطورية وهكذا البشر حتى الصالحين فيهم يحتسبون خطاة إذا ما قورنوا بالملائكة. ولكن إذا كان بولس الذي مارس البر الذي في الناموس يعتبر نفسه أول الخطاة. فأي من الآخرين يمكن أن يدعى باراً؟ لأنه لا يتكلم هكذا مشوهاً حياته، فلم يقل أنه زاني، فاسد، جشع أو غير ذلك، إنما ليظهر بمقارنة بر بآخر أن التبرير بالناموس لا يساوي شيئاً، والذين يحصلون عليه هم في عداد الخطاة، ***لكني لهذا رحمت ليظهر يسوع المسيح فيَّ أنا أولاً كل أناة مثالاً للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية"***

## ثانياً: تواضع القديس بولس الرسول

انظروا إلى أي درجة يتواضع هنا الرسول، وينزل من نفسه، مقدماً سبباً آخر أكثر تواضعاً لتبريره، فحصوله على العفو بسبب جهله لا يُظهر شدة إجرامه ولا استحقاقه للوم الشديد وحتى يبعث الرجاء بالأكثر في نفس كل خاطئ مستبعداً منه اليأس من الآن فصاعداً في الحصول على رحمة الله، وضع

نفسه في أقصى مرتبة للخطية إذ قال: "أنا أول الخطاة، مجدفاً ومضطهداً ومفترياً، وأيضاً لست أهلاً أن أدعى رسولاً" (1كو15: 9) إن كل ما ذكره الرسول بولس عن نفسه يدل على قمة التواضع، وللإيضاح نعرض المثال الآتي: افترضوا مدينة مأهولة بالسكان، وسكانها كلهم مجرمون، مع الفارق بين البعض والبعض الآخر، إلا أن الكل مستحق الإدانة، فإن كان أحدهم يستحق العقوبة أكثر من الجميع لتلبسه بعدة أنواع من الجرائم، فإذا أعلن الإمبراطور أنه يود العفو عن الجميع. ربما لا يصدق هذا الخبر، ما لم يتم العفو فعلاً عن أكثرهم إجراماً، حتى بهذا لا يطرأ أدنى شك لدى الآخرين في العفو عنهم. وهذا ما يقصده معلمنا بولس، إن الله يريد أن يغمر البشر بالثقة الكاملة في أنه سيعفو عن كل خطاياهم فاختار الأكثر إجراماً منهم. ولذلك يقول: لما أحصل أنا على العفو، وأنا أكبر المجرمين، لا يشك أحد بعد ذلك في العفو عن الآخرين بحيث يمكن استخدام القاعدة الآتية، إذا عفا الله عن هذا فلن يعاقب أحداً.

يوضح الرسول بولس هنا أنه لم يكن أهلاً للعفو، لكنه حصل عليه لأجل خلاص الآخرين، فهو يريد أن يقول لهم فلا يشك إذاً أحد في خلاصه مادمت أنا قد خلصت. انظروا إلى تواضع هذه الطوباوي، لم يقل: "لم يظهر الله في أناته"، "بل كل أناتة" كأنه يقول إن الله لم يجد خاطئاً بهذه الدرجة محتاجاً إلى كل عفوه وكل أناته وليس لجزء منها مثله هو "***حتى أكون مثالاً للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية***" أي لتعزيتهم وتشجيعهم. وبعد أن قال عن الابن هذه العبارة الكبيرة والمعبرة عن حسناته غير المحدودة التي أظهرها له، وحتى لا يفترض أحد أنه يسلب الآب مجده الذي يستحقه، أشار إليه قائلاً: "***وملك الدهور الذي لا يفنى ولا يرى الإله الحكيم وحده له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور آمين***" (1: 17) ويقول الرسول: من أجل كل هذه الحسنات نحن نمجد ليس فقط الابن ولكن الآب أيضاً.

اسمعا ما يثيره الهراطقة من مناقشات: لقد قال عن الآب إنه الإله الوحيد، إذن فالابن ليس إلهاً، وقال أنه الخالد الوحيد، إذن فالابن ليس خالد، عجباً ! كيف الذي وهبنا الخلود بعد هذه الحياة لا يملكه هو؟ نعم سيقول الهرطوقي، هو إله وخالد ولكن ليس كالآب، ماذا تقصدون بذلك؟ هل هو من جوهر أقل من الآب، وهكذا فإنه أقل خلوداً؟ ماذا هل هناك خلود أقل وخلود أكثر، هل الخلود شئ آخر سوى عدم الموت؟ يمكن أن يكون المجد أكبر أو أقل، ولكن لا يمكن أن يقال هذا عن الخلود. الكائن أما أن يموت أو لا يموت. وقد يردّون هل نحن مثل الله؟ كلا بالتأكيد. وفكره مثل هذه بعيدة عنا تماماً، وكيف تعقلونها؟ هو خالد بطبيعته وقد اكتسبنا نحن منه هذا الخلود، ولكن هل خلودنا المكتسب هذا هو مثل خلود الابن؟ طبعاً لا، لأن الابن هو أيضاً خالد بطبيعته، وكيف توضحون ذلك؟ أن الآب لم يولد من شخص آخر وأن الابن ولد من أبيه. قد اتفقنا، نحن لا ننكر أن الابن ولد خالداً من الآب، نحن نمجد الآب بولادته هذا الابن. ألا تعلمون أنه كلما سمت عظمة الابن يتمجد الآب بالأكثر؟ لأن مجد الابن منسوب إلى مجد

الآب، والابن مساوي للآب في الجوهر فهو قوى بذاته، مكتفى بذاته، ويمتلك القدرة، "الذي به عمل العالمين" (عب 1: 1، 2) هذا الكلام قيل عن ملك الدهور، وعن ابنه. والملاحظ عندنا في عالمنا هذا، أن هناك صناعة وهناك امتلاكاً، وهما أمران مختلفان تماماً، فواحد يتعب ويضني بنفسه ليفعل شيئاً والآخر يمتلك هذا الشئ ويتمتع به. لماذا؟ لأن الذي يعمل هو الأدنى. أما في السموات فالأمر ليس كذلك، فليس هناك أدنى وأعلى. ولذا فإن عبارة "الذي به عمل العالمين" لا تنزع قوة الخلق من الآب، كما أن عبارة "الآب ملك الدهور" لا تنزع سلطة الابن، لأن الآب والابن كلاهما مشتركان في الأمرين معاً، فالآب مبدع العالم وموحده لأنه ولد الابن صانع الخليقة، والابن ملك لأنه سيد المخلوقات. فهو ليس عامل أجير مثل عمالنا. ليست آله سلبية مثلهم، ولكنه يتصرف من واقع حكمه الذاتي وحبه للبشر. وهل رأى أحد الابن؟ لا يمكن أن يجرؤ أحد على قول ذلك[1] ومع ذلك يقول الرسول: "***وملك الدهور الذي لا يفنى ولا يرى الإله الحكيم وحده***" وأكثر من ذلك يقول الكتاب: "***وليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغي أن نخلص***" (أع 4: 12).

## ثالثاً: كيف نستطيع أن نمجد الله

ويواصل الرسول قائلاً "له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور آمين" الكرامة والمجد لا يتحققان بالكلام، والله نفسه لم يكرمنا بالكلام؟ بل بالأعمال المنفذة، فيجب علينا نحن أيضاً أن نكرمه بأعمالنا، الكرامة التي يقدمها لنا تؤثر فينا أما التي نردها له فلا تجديه بشيء، لأنه ليس في حاجة إلى ما يأتي منا، بينما نحن المحتاجين لنعمة، فإننا إذ نرد إليه مجداً، نفعل هذا لرفعتنا نحن، كمن يفتح عينيه ليرى نور الشمس، فإنه يعمل عملاً نافعاً لنفسه، وأنه بإعجابه، بجمالها لا يعطيها قط أي نعمة أو يكسبها ضوء أكثر، وستظل الشمس باقية كما هي في موقعها، وبالمثل بل أكثر من ذلك فيما يتعلق بالله، فالذي يبجل الله ويقدم له الكرامة يخلص نفسه ويحصل على أعظم الخيرات، كيف ذلك. لأنه يتبع طريق الفضيلة والله يمجده، يقول الوحي الإلهي "***الذين يمجدونني سوف أمجدهم***" كيف يقول إذن أننا نمجده مادام لا ينعم بالكرامة التي نقدمها له. آه! بالمثل عندما يقول أنه جوعان وعطشان فإنه يخص نفسه بما للبشرية، حتى يجذبنا إليه.

"***فلنمجد الله ونعظمه في أجسادنا وفي أرواحنا***" (1كو 6: 20). كيف يتسنى للإنسان أن يمجد الله في جسده؟ وكيف في روحه؟ والروح هنا تعني النفس بالمقابلة مع الجسد. ولكن كيف يمجد الإنسان الله

[1] فيما عدا التجسد.

في جسده؟ وكيف يفعل ذلك في نفسه؟ يمجده في جسده برفضه للدنس، والسكر، والجشع، والزينة الباطلة، ولا يهتم بالجسد إلا في الحدود اللازمة للصحة يمجده الذي لا يرتكب الزنا، وتلك التي لا تتعطر ولا تزين وجهها بالمساحيق، وترضى بما شكله الله لها، دون إضافة أي شئ مبتكر. قولي لي: لماذا تضيفين من نفسك أشياء إلى عمل الله الذي أكمله؟ فأنت لم تشكلي نفسك أنت تفعلين ذلك كي تجذبي إليك الكثير من العشاق، وبتصرفك هذا أنت تهينين الله، ستقولين وما العمل؟ أنا لا أريد ذلك، إنه زوجي هو الذي يجبرني عليه، كلا، هذا لا يحدث إلا اللائى يردن إثارة الشهوة. الله جعلك جميلة لكي يكون موضع الإعجاب في عمله، وليس ليهان، فلا تردي على هباته بمثل هذا الفعل ولكن بسلوك متواضع ومنضبط. الله جعلك على جانب من الجمال لكي تنمي استحقاقك للوقار. اسمعي ما يقول الكتاب عن يوسف: "***وكان يوسف حسن الصورة وحسن المنظر***" (تك 39: 6) ماذا يهمنا من جماله؟ الوحي قال ذلك لكي نعجب بجماله وعفافه معاً. الله جعلك جميلة! لماذا إذن تشوهين نفسك؟ أن اللائى يتغطين بطبقة من المساحيق يشبهن الرجل الذي يلون تمثالاً من ذهب باللون الأحمر. فهي ليست سوى طيناً أحمر أو أبيض تضيفينه على نفسك.

قد يقال، لكن القبيحات لهن حق في التصرف هكذا، لماذا قولوا لي هل لكي يخفين قباحتهن؟ أنه جهد ضائع. متى كانت الطبيعة مغلوبة بالحيل؟ هل أصابك حزن من القباحة لأنها مرفوضة؟ اسمعي هذه الكلمة من رجل حكيم: "لا تبتعد قط عن إنسان بسبب مظهره، ولا تمدح إنساناً لأجل جماله" (يشوع بن سيراخ 11: 2) ليكن إعجابكم بالله الفنان الكبير، ولا تعجبوا بإنسان ليس هو الصانع لجماله. ما هي مزايا الجمال؟ لا شئ بل على العكس مشاكل أكبر، وسوء ظن، ومخاطر وشكوك أكثر. تلك المرأة غير الجميلة لم تكن يوماً محل شك، والأخرى إن لم تتوخ التحفظ التام في تصرفاتها فسرعان ما تسوء سمعتها. ويصل الأمر بها إلى أن يشك زوجها تى في صديقتها. أي شقاء أكثر من هذا؟ لن يجد لذة في رؤيتها بقدر الآلام من شكوكه. اللذة تضعف على مر الأيام، إن عدم الاكتراث والتسيب يعتبر وقاحة وتصبح معه النفس غير سامية ومليئة بالكبرياء، والجمال على الأخص هو الذي يجلب هذه المصائب. وبدونه لن توجد كل هذه المضايقات، وبدونه لن نرى الكلاب تسب الحمل. ولكنه البقاء جالساً بجانبه، والعجيب هو ليس أن تكون الواحدة جميلة والأخرى على العكس. وإنما أن تكون المرأة أخلاق سيئة دون أن تكون جميلة، وأن تكون المرأة الجميلة فاضلة.

قولوا لي ما هي خاصية العيون؟ هل أن تكون تجيد الحركة، مستديرة، ومن اللون الأزرق الجميل، أو أن تكون مضيئة وثاقبة؟ بالتأكيد أهم ما فيها أن تكون ثاقبة. والأنف ما هي خاصيته؟ هل أن يكون مستقيماً وأملس من الجهتين، ومتناسق تماماً؟ أم أن يكون معد جيداً للشم. والأسنان متى تقول عنها أنها

جيدة وقوية؟ هل عندما تكون حادة وتمضغ الطعام بسهولة، أو عندما تكون مرتبة بانتظام؟ واضح أن الأولى هي الأفضل. وبالمثل ينطبق هذا على كل الجسم إذا تأملناه بالتدقيق، سنجد أن الذين يتمتعون بصحة جيدة هم من يؤدي كل عضو من أعضائهم وظيفته بدقة تامة. وأيضاً ينطبق هذا على أية آلة أو حيوان أو نبات لا يحكم عليها بناء على شكلها أو لونها ولكن طبقاً لكفاءة استعمالها. وكذا أيضاً نقول أن الخادم الجيد هو الذي يقوم بعمله على أكمل وجه وليس الشاب اللطيف الخامل.

هل رأيتم الآن ما هو الجمال؟ عندما نستمع كلنا وبنفس الطريقة بالمزايا الكبيرة والفاخرة، لا نكون قد حرمنا من أي شئ. سأوضح ذلك كلنا نرى بنفس الطريقة العالم، الشمس، القمر، النجوم، ونستنشق الهواء، وكلنا لنا نصيب في الماء والغذاء، سواء كنا على جانب من الجمال أو قبحاء. وربما اللائى لا يحملن الجمال يتمتعن بصحة أجود ويستمتعن أكثر بهذه الهبات. في الواقع أن السيدات الجميلات يتخذن الحيطة من اختلاف الفصول لا يعرضن أنفسهن للتعب، ويولعن بالفراغ، ويعشن في الظل ومن هنا كانت قدراتهن الطبيعية ضعيفة. وعلى العكس فإن السيدات الأخريات يتخلصن من هذه الهموم ويستخدمن ببساطة وسعة هذه القدرات.

إذن، لنمجد الله ونحمله في أجسادنا، فلا نتزين لأنه اهتمام تافه وغير نافع. لا تعلمن أزواجكن أن لا يحبوا سوى شهوة العيون، لأنهم إذا شاهدوكن مزينات لا يرغبون سوى في النظر إلى وجوهكن، ويتركون أنفسهم تحت تأثير الإغراء، ولكن علمنهم أن يحبوا أخلاقكن، وتواضعكن، فسوف لا يخونكن بسهولة، فأنهم لن يجدوا هذه الصفات لدى امرأة دون حياء بل على العكس سيجدون الرذائل لا تعلمنهم أن يستسلموا لابتسامة، لأنوثة ظاهرية، خشية أن يعدوا السموم ضدكن، علمنهم أن يعجبوا بالتواضع وسوف تقزن بإعجابهم إذا كان فعلاً طابعكن التواضع، ولكن إذا كنتن متعاليات متهتكات، كيف يمكنكن أن تُخاطبكن بلغة جديرة بالاحترام، ومن لا يضحك عليكن ويسخر منكن؟ وما معنى أن يحمل الإنسان الله في نفسه؟ بممارسته للفضيلة، بتزيين نفسه، فهذه الزينة غير ممنوعة، نحن نمجد الله بفضائلنا، وبذلك نمجد أنفسنا أيضاً ليس كالذين يتزينون، بل بطريقة مخالفة تماماً، لأن الرسول يقول "فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا" (رو 8: 18) المجد الذي أتمناه أن يكون لجميعنا نصيباً في يسوع المسيح إلهنا مخلصنا، له من الآب والروح القدس، المجد والقوة والكرامة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

الموعظة الخامسة

***"هذه الوصية أيها الابن تيموثيئوس أستودعك إياها حسب النبوات التي سبقت عليك لكي تحارب فيها المحاربة الحسنة ولك إيمان وضمير صالح الذي إذا رفضه قوم انكسرت بهم السفينة من جهة الإيمان أيضاً"***

(1تي 18: 19، 20)

التحليل

**أولاً:** من هم الذين يجب اختيارهم للأسقفية، ما تعنيه هنا كلمة النبوة ، الإيمان والضمير الصالح يدعمان بعضهما البعض، الحياة الرديئة نتيجتها غرق الإيمان.

**ثانياً:** الرسل بأنفسهم كانوا يعاقبون الساقطين ويسلمون للشيطان من يريدون إصلاحهم، وهكذا كان الشيطان خادمهم، وهذه علامة ساطعة للنعمة التي كانت تعمل فيهم، كانت الكنيسة مميزة بالروح القدس كما كانت السحابة تميز معسكر العبرانيين.

**ثالثاً:** ضد الذين يقتربون من سر التناول دون استحقاق أو يقتربون مرة واحدة في العام.

**أولاً: من هم الذين يجب اختيارهم للأسقفية**

عظمة التعليم والكهنوت كبيرة وعجيبة، وحقاً يلزم معها التوسل إلى الله، لإيجاد الشخص الجدير بممارستها، وهكذا كان الوقع قديماً. ولا زال حتى الآن عندما نجرى هذا الاختيار بعيداً عن الأهواء البشرية، ودون اعتبار لأي شئ دينوي، كالصداقة والبغضة. ولو أن معونة الروح لنا ليست بالقدر الذي كان يمنح للرسل، إلا أن الإرادة الحسنة كافية، حتى يتم اختيار الله، لأن الرسل لم يكونوا قد حصلوا بعد على الروح القدس عندما اختاروا متياس، ولكنهم اعتمدوا على الصلاة وضموه إلى عداد الرسل، دون اعتبار لأي باعث بشرى، وهذا هو ما يجب أن يتم بيننا. ولكن نظراً لسوء إرادتنا فهل حتى الأسس اليقينية، وعندما نهمل ما هو واضح، كيف يكشف لنا عما هو خفي؟ يقول الوحي الإلهي: ***"فإن لم تكونوا أمناء في القليل، فمن يأتمنكم على الكثير والحق"*** (لو 16: 10، 11) إذاً ليس هنا تدخل لأي عامل بشرى.

**ما تعنيه كلمة النبوة**

الكهنة كانوا يختارون بموهبة النبوة. ما معنى هذا؟ أي كانوا يختارون بالروح القدس. والنبوة ليس عملها الجوهري فقط هو إعلان المستقبل، بل تتناول الحاضر أيضاً، فشاول تعين بالنبوة، بينما كان

مختبئاً، لأن الله يكشف سره للصالحين. كما كانت توجد نبوة أيضاً في هذه الكلمات ***إفرزوا لي برنابا ولشاول*** (أع 13: 2) وهكذا اختير تيموثيئوس نفسه. وبولس يتكلم عنا عن عدة نبوات وربما تتضمن النبوة التي اختار بها تيموثيئوس عندما ختنه وعينه. إذا كتب هو نفسه لتيموثيئوس قائلاً ***لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدي المشيخة*** " (1 تيمو 4: 14) مشجعاً هكذا حماسة، ويعده للصيام والسهر، ويذكره بالذي اختار وانتخبه، كما لو قال له: إن الله هو الذي عينك ووضع ثقته فيك، وليس التأييد البشرى هو الذي وضعك في هذا الموقع فلا تخجل ولا تهين تأييد الله.

وماذا يقول له بعد هذه الكلمة المرعبة؟ "***هذه الوصية أيها الابن تيموثيئوس استودعك إياها*** " يعطيه توجيهاته، كما لابن حقيقي، وليس كسلطة جائرة أو قوة حاكمة، ولكن يقول له: "أيها الابن تيموثيئوس" يشير إلى أنه يودع في حفظه الدقيق جداً وديعة لا نستحقها إذا أننا غير لائقين لها وإنما نعمة الله هي التي أعطتها لنا. وهي الإيمان والضمير الصالح. وما أعطاه لنا فلنحافظ عليه. لأنه إن لم يكن قد جاء فيما كان الإيمان نفسه قد وجد، ولا وجدت الحياة الطاهرة التي نتبعها بتعاليمه، كما لو كان قد قال. لست أنا الذي يعطي الوصية ولا أنا الذي اخترتك. يعني بقوله هذا، النبوات المقولة عن تيموثيئوس، اسمعها وكن مطيعاً لها. وبماذا أمره؟ بأن يحارب فيها المحاربة الحسنة إتماماً لهذه النبوات. إذا أنه توجد محاربات رديئة قال عنها ***لأنه كما قدمتم أعضاءكم عبيد للنجاسة والإثم*** (رو 6: 19) فهؤلاء يخدمون تحت حكم طاغية، أما أنت فتحت حكم ملك. لماذا يلقب هذا العمل بالقتال؟ لأن الحب المخيفة تشن هجومها على الجميع، وعلى الأخص على الملتزم بتعليم الآخرين، لأننا في حاجة إلى أسلحة قوية، للصوم والسهر، السهر المستمر، لأنه يجب أن نستعد للدم والقتال والظهور على مسرح المعركة دون ذرة من الجبن. ويقول الرسول "أن تحارب فيها" لأنه كما في الجيوش لا يستخدم الكل نفس الأسلحة، بل أنواعاً مختلفة، هكذا في الكنيسة، فواحد يقوم بدور المعلم، والآخر تلميذ، وآخر مؤمن بسيط، أما أنت فاخدم كما قلت لك.

## الإيمان والضمير الصالح

وحتى لا يعتقد تيموثيئوس، أن ما قاله بولس كان كافياً، يضيف الرسول بعد ذلك "ولك إيمان ضمير صالح" لأن الذي يعلم يلزمه أن يعلم نفسه أولاً. وكالقائد الأعلى إن لم يكن أولاً جندياً بارعاً، لن يكون أبداً قائداً حقيقياً. هكذا الذي يعلم وفي مكان آخر يقول نفس المعنى. "***حتى بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً*** " (1كو 6: 27). ويقول : ***لك إيمان وضمير صالح*** " حتى يصبح بذلك أفضل من كل الآخرين، ولعل هذه الكلمات تعلمنا ألا نحتقر تحذيرات الذين هم أعلى منا عندما يطلب منا

التعليم. لأنه إذا كان تيموثيئوس الذي لا يدانيه أحد منا يتقبل التحذيرات والتعاليم رغم أنه مكلف بالتعليم، فكم بالحرى يجب علينا أن نتقبل ذلك.

## الحياة الشريرة الرديئة

***"الذي إذ رفضه قوم انكسرت بهم السفينة من جهة الإيمان أيضاً"*** لاشك في ذلك لأن الذي يبتعد عن الحياة المسيحية يشكل لنفسه عقيدة تماثل عاداته. ومن هنا يمكن أن نرى كثيرين قد وقعوا في هوة من الشرور وضلوا حتى وصلوا إلى عبادة الأوثان. وحتى لا ينزعجوا من الخوف من الحياة المقبلة. فهم يحاولون إقناع أنفسهم بأن كل شئ بيننا كاذب وكثيرون يحيدون عن الإيمان محاولين إخضاع كل شئ لتفكيرهم، من هنا يحدث الغرق. بينما الإيمان شبيه بسيفينة لا تفنى والذين يبتعدون عنها يغرقون بالضرورة.

## ثانياً: الرسل كانوا يعاقبون الساقطين بأنفسهم

والرسول يوضح ذلك بمثل ويقول: الذين منهم هيمنايس والإسكندر، وهكذا يعلمناالحذر. ألا تلاحظون أنه منذ ذلك الوقت وجد المعلمون الكذبة، أناس أشرار يرفضون الإيمان ويريدون أن ينفردوا بالبحث بأنفسهم؟ فكما أن الذي يغرق يتجرد من كل شئ هكذا فإن الذي يفقد الإيمان يفقد كل شئ، السند الميناء، الملجأ، ولا يجد نوعاً من الحياة بقدر أن يجني منه بعض الفوائد، لأنه إن كانت الرأس معلولة فما فائدة باقي الجسد؟ إذا كان الإيمان بدون الأخلاق لا فائدة له، فكم بالحرى تكون الأخلاق بدون الإيمان؟ فإذا فقد الإنسان الإيمان لا يقدر أن يتعلق بأي شئ، بل يطفو هنا وهناك حتى يبتلع في النهاية. يقول الرسول ***"اللذان أسلمتهما للشيطان لكي يؤدبا حتى لا يجدفا"*** إذاً تفسير الأمور الإلهية طبقاً للتفكير البشري يعتبر تجديفاً. ولاشك في ذلك لأنه أية شركة بين التفكير البشري والأمور الإلهية؟ وكيف يعلمهما الشيطانألا يجدفا؟ وهو لازال هو نفسه مجدفاً؟ أليس بالأحرى أن يعلم نفسه قبل أن يعلم الآخرين؟

الرسول لم يقل حتى يعلمهما الشيطان عدم التجديف، بل قال "لكي يؤدباً" لأن الشيطان ليس من عمله التعليم، التعليم يتم عن طريق التأديب، وهكذا يقول الرسول في موضع آخر عن الزاني: ***أن يسلم مثل هذا للشيطان. لهلاك الجسد لكي تخلص الروح"*** (1كو 5: 5) فالشيطان ليس هو الفاعل. وكيف يتم ذلك؟ كما أن الجلادين وهم أنفسهم بائسون ولكنهم يكونون سبباً في إصلاح الغير، هكذا يكون الأمر بالنسبة للشيطان.

ولماذا لم تعاقبهما بنفسك كما عاقبت بار يشوع وكما عاقب بطرس حنانيا، بل أسلمتهما للشيطان؟ لكي يتعلما وهذا أفضل من عقابهما. مع أن بولس لديه السلطة إذ قال يوماً "***ماذا تريدون أبعصا أتي إليكم***" (1كو 4: 21) وأيضاً ***ليس لكي نظهر نحن مزكين بل لكي تصنعوا أنتم حسناً*** " وأيضاً ***للبنيان لا للهدم***" (2كو 13: 7، 10). لماذا يستدعى الشيطان للعقوبة؟ لأنه مع قوة وشدة العقاب يكون الإذلال أكبر وأقسى، أو بالأحرى لأن الرسل كانوا يعلمون بأنفسهم غير المؤمنين، ويسلمون للشيطان الذين ارتدوا عن الإنجيل، كيف يكون الأمر كذلك، ونحن نعلم أن القديس بطرس عاقب بنفسه حنانيا؟ لأنه لم يكن قد دخل بعد في الإيمان فكذب على الروح القدس. حتى يتعلم غير المؤمنين أنهم لا يمكنهم الاستمرار في جهلهم لذلك عاقبهم الرسل بأنفسهم، أما المتعلمين الذين ضلوا فقد أسلموهم للشيطان، لكي يظهروا لهم أنه ليست فضيلتهم الخاصة هي التي تحفظهم من الشيطان، بل لابد من صون الرسل لهم للحفاظ عليهم. وأن الذين كانوا يتمسكون بكبرياء أحمق كانوا يسلمون للشيطان. وهكذا كان الوضع مع الملوك إذ كانوا يضربون أعداءهم الأجانب بأنفسهم ويسلمون من يستحق العقاب من رعاياهم للجلادين.

يشير بولس هنا إلى أن الأمور كانت تسير هكذا بفضل عناية الرسل. فضلاً عن ذلك أن تكليفه للشيطان لا يعني ضعف سلطته، بل على العكس يظهر خضوع الشيطان للرسل، إذ صار مسخراً ومتنازلاً رغماً عنه. علامة واضحة جداً يظهر فيها بجلاء مدى النعمة التي كان يتمتع بها الرسل. وكيف أسلموه للشيطان؟ اسمعوا ماذا يقول: "***باسم ربنا يسوع إذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح أن يسلم هذا للشيطان***" (1كو 5: 4، 5) وكان قد طرد من اجتماع المؤمنين وفصل عن القطيع، هجر سلم للذئب. كما كان السحابة ترشد عن معسكر العبرانيين كذلك الروح القدس كان يرشد عن الكنيسة. إذن فإذا استبعد أحد منها، حُكم عليه بالفناء واستبعاده كان يحكم الرسل. هكذا أسلم السيد المسيح يهوذا إلى الشيطان، إذ بمجرد أن أخذ اللقمة دخله الشيطان (يو 13: 26، 27) أيوب سُلم إلى الشيطان ولكن ليس بسبب أخطائه بل لزيادة مجده.

**ثالثاً: ضد الذين يقتربون من سر التناول دون استحقاق**

نجد الكثير من الأحداث المماثلة تحدث حتى في أيامنا هذه. لأنه إذا كان الكهنة لا يعرفون كل الخطاة. فكل الذين يشتركون في الأسرار المقدسة دون استحقاق، فإن الله يسلمهم بنفسه للشيطان، عندما تنتابنا الأمراض والآلام والكوارث المختلفة، يكون هذا هو السبب، وهذا ما وضحه بولس بقوله "***من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون***" (1كو 11: 30). وقد يقال كيف ذلك ونحن لا نقترب من المائدة المقدسة سوى مرة واحدة في العام؟ هذا هو الشئ المخيف الذي لا يدل على طهارة الضمير، بل أن الفترة الزمنية التي تنقضي هي التي تحدد مدى لياقتكم لهذا العمل أنكم تعتقدون أن

الحذر هو عدم تكرار التقرب، متجاهلين أن التناول بدون استحقاق حتى لو كان لمرة واحدة قد يجعلكم ملوثين، في حين أن التناول باستحقاق حتى لو كان متكرراً سوف يخلصكم. ليس التهور في دوام التقرب، بل التهور في أن نفعل ذلك دون استحقاق، ولو مرة واحدة في الحياة، إذا كنا لهذه الدرجة عديمي الإحساس وتعساء، لأننا بارتكابنا لاف الخطايا عل مدار السنة، لا نكترث بتطهير أنفسنا منها، معتقدين أنه يكفينا ألا نقترف سفاهات مستمرة، وألا تدوس بقدمينا باستمرار جسد المسيح، ولا نفكر في أن الذين صلبوا المسيح لم يصلبوه سوى مرة واحدة، ولكن هل وطأة الخطية أقل لأنها ارتكبت مرة واحدة؟ يهوذا لم يخن سوى مرة واحدة. فهل هذا كان مبرراً لخلاصه؟

لماذا تحددون أوقاتاً معينة تقتصرون عليها؟ فليكن لكم وقت التناول وقتاً لتطهير ضمائركم. أن السر الذي يتم في الفصح لا يمتاز عن الذي نتممه الآن، فهو نفس السر الوحيد، إنه دائماً عيد الفصح وأنتم أيها المشتركون في السر تعلمون ذلك. سواء أن يتم يوم الجمعة أو يوم السبت أو يوم الأحد أو يوم عيد الشهداء. فهي دائماً نفس الذبيحة التي تقدم ***فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب***" (1كو 11: 26) الرسول لا يحدد وقت الذبيحة. وقد يقال لماذا تسمونه الفصح؟ ذلك لأنه في هذا الوقت المسيح تألم من أجلنا، وبذل ذاته عنا.

لا نهتم بمناسبات معينة، فإن أثر الذبيحة هو هو نفس الاستحقاق، نفس النعمة، نفس الجسد، فإن هذا القربان ليس أكثر قداسة، وذاك أقل كرامة. أنتم أنفسكم تعرفون ذلك، لأنكم لا ترون شيئاً جديداً سوى هذه الأبسطة الأرضية، وهذا الجمهور المزين. وأن ما يميز هذه الأيام على الأيام الأخرى، هي أنها أصبحت مبدأ ليوم خلاصنا، حيث قدم فيه المسيح ذبيحة، أما الأسرار فهي هي نفسها ولا تتميز عن الأخرى. قولوا لي كيف تغسلون فمكم لتأكلوا طعاماً مادياً، ولا تغسلون نفوسكم عندما تقتربون من المائدة المقدسة، وتبقون مشحونين بالنجاسة؟ وقد تقولون ألا تكفي الأربعون يوماً صياماً لتطهيرنا من قذارة خطايانا العديدة؟ وقولوا لي ماذا يفيد تنظيف المكان الذي سوف يعطر بعطر وافر، إذا كان بعد لحظة من نثر هذا العطر يوضع فيه سماد؟ ألا تختفي هذه الرائحة الذكية؟ وهذا هو ما يحدث لنا. فقد جعلنا أنفسنا طبقاً لقدراتنا جديرين بالإفخارستيا في وقت التقدم إليها، ثم نعود ونتلوث من جديد، ونقول هذا عن الذين يستطيعون أن يتطهروا فعلاً أثناء الصوم الكبير. أتوسل إليكم ألا نهمل خلاصنا، ويقول الكتاب. الإنسان الذي يبتعد عن خطية ثم يعود إليها "كالكلب الذي يعود لقيئه" ليت جهدي لا يكون بلا فائدة. لأننا بذلك نستطيع أن نحاسب ونحن مستحقون لهذه المكافآت التي أتمنى أن نحصل عليها كلنا في المسيح يسوع ربنا مع الآب والروح القدس له المجد والقوة، والعزة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

الموعظة السادسة

***"فأطلب أول كل شئ أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس لأجل الملوك وجميع الذين في منصب لكي نقضي حياة مطمئنة هادئة في كل تقوى ووقار لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون"***

(2: 1- 4)

التحليل

**أولاً:** واجب الكاهن الصلاة لأجل الأرض كلها، الإنسان المسيحي يجب أن يكون ذا روح عالية بحيث لا يمكن لأي شئ أرضى أن يبلغه ويجرحه.

**ثانياً:** ألا يلعن أعداءه ولا يرفع صلوات ضدهم.

**ثالثاً:** ألا يكتفي بسماع الوعظ بل أيضاً يطبقه.

## أولاً: واجب الكاهن الصلاة لأجل الكل

الكاهن على الأرض هو أب عام. لذا يجب عليه أن يهتم بالجميع إقتداء بالله الكاهن الأعظم. لأجل ذلك يقول الرسول ***"أطلب أول كل شئ أن تقام طلبات وصلوات"*** لأنه ينتج عنها منفعتين: تلاشئ العداوة التي تضمرها للغرباء عن إيماننا، لأنه في الواقع لا يستطيع أحد أن يكن كراهية نحو الذي يصلى من أجله، وهم أنفسهم سيصبحون أفضل فعل الصلوات التي تقام من أجلهم، ويكفون عن غضبهم منا، فليس هناك شئ يجذب البشر أكثر من المحبة المتبادلة. فكروا فيما كان يجب أن يشعر به أناس كانوا يتأمرون ضدنا وكانوا يسلموننا للسخرية، للنفي، للموت، عند علمهم أن الذين قاسوا هذه المعاملة الوحشية منهم، كانوا يقدمون صلوات مستمرة من أجل مضطهديهم. ترون كيف أن الرسول يريد أن يرتفع الإنسان المسيحي فوق مستوى الكل. كما أن طفلاً صغيراً دون وعي يلطم أباه الذي يحمله، وحنان الآب لا يتأثر تجاه أبنه، هكذا لو ضُربنا من الوثنيين يجب أن لا نفقد شيئاً من حسن معاملتنا لهم.

### "أطلب أول كل شئ"

وماذا تعني هذه الكلمات "أول كل شئ" إنها تعني أن الذين يمارسون العبادة اليومية التي توجه إلى الله، يعرفون كيف ترفع هذه الصلاة يومياً مساءً وصباحاً، كيف ترفع ابتهالاتنا عن العالم أجمع لأجل الملوك وكل الذين ارتقوا في الرفعة والوقار. وربما يقال أنه بهذه الكلمات "لأجل جميع الناس" أن الرسول لا يعني الجنس البشرى كله إنما المؤمنون فقط. وكيف يقول إذاً "من أجل الملوك" مع أنه كان لا يوجد

ملوك مسيحيين. بل كانوا على زمن طويل ملحدين على التوالي. وحتى يتجرد كلامه من المداهنة قال أولاً: "لأجل جميع الناس" ثم بعد ذلك "لأجل الملوك" لأنه إذا تكلم عن الملوك فقط كان يمكن أن يؤدي ذلك إلى هذا الشك. ثم أنه لما كان من المحتمل أن تصدم نفس الإنسان المسيحي، ولا تتقبل نصيحة الصلاة من أجل وثني أثناء الاحتفال بالأسرار، انظروا إلى ما يضيفه الرسول، والمزايا التي يشير إليها حتى تقبل نصيحته. يقول: "لكي نقضي حياة مطمئنة هادئة" أي أن سلام هؤلاء هو أمان لنا. أيضاً في رسالته إلى رومية، يحثهم على طاعة الحكام والدافع إليها ***ليس للضرورة فقط بل بدافع الضمير أيضاً*** (رو 13: 5) لأن الله أوجد السلطات للفائدة العامة. أنهم يمضون إلى الحروب، ويقيمون جيوشاً، لكي نعيش نحن في أمن، فكيف لا نقدم الصلوات من أجلهم، وهم يعرضون أنفسهم للمخاطر وأتعاب الحروب؟ هذا ليس تملقاً على الإطلاق ولكنه حق. لأنهم إن لم يكونوا محفوظين من المخاطر، ومنتصرين في الحروب، سنكون تحت وطأة القلق والتهديد، وإذا قتلوا بواسطة العدو، سنضطر إلى أن نسير نحن بأنفسنا في المعركة، أو نهرب ونتشتت هم بالنسبة لنا مثل الأسوار التي تحفظ سكان المدينة في سلام "أن تقام صلوات وابتهالات وتشكرات" يلزمنا أن نشكر الله حتى من أجل خيرات الآخرين. لأن الله يشرق شمسه على الأشرار والصالحين. ويمطر على الأبرار والظالمين، ألا ترون أنه ليس فقط بالصلاة يجمعنا كما لو كنا في جسد واحد، بل أيضاً بالتشكرات؟ لأن الذي يلتزم بأن يشكر الله من أجل سعادة الغير، ملزم أيضاً بمحبة هذا الغير والعمل على إرضاءه. وإذا كنا ملتزمين بالشكر لله لأجل خير الآخرين فكم بالحرى بالنسبة للخير الذي يقدمه لنا، حتى على ما يظهر بالنسبة لنا أنه مُكدر، لأن الله يعد كل شئ لخيرنا.

**ثانياً: لا يلعن أعداءه ولا يرفع صلوات ضدهم**

لتكن صلاتنا صلاة للشكر، وإذا كنا أمرنا بأن نصلي لأجل الآخرين، فلا يكون ذلك للمؤمنين فقط بل لغير المؤمنين أيضاً، تذكروا أنه من الإجرام أن ننطق بلعنات ضد أخوتنا. بماذا ستيجبون؟ هل ستقولون إن الرسول أمركم أن تصلوا من أجل أعدائكم وتلعنوا أخاكم، كلا لم يقل ذلك، بل أنتم الذين تلعنون ولذلك تثيرون الله بهذه الألفاظ البعيدة عن روح التقوى مثل: أجعله يارب يشعر بهذا، إفعل معه ذاك، أضربه، أنتقم منه يارب لأجلي. هذه الألفاظ سهلة وحلوة للبعيدين عن تلاميذ المسيح. وبعيدة عن الفم المستحق للأسرار. هذا الفم الذي أصبح جديراً بحمل الجسد الإلهي لا يخرج لفظاً مراً أو قاسياً، بل يُحفظ ظاهراً بعيداً عن اللعنات. لأنه إذا كان النمامون لا يرثون ملكوت السماوات. فكم بالحرى الذين يلعنون الذي يلعن هو بالضرورة مجرم لأنه أهان غيره. صلوا الواحد من أجل الآخر دون أن تلعنوا، اللعنة

والصلاة أمران متضادان، وبينهما هوة عميقة، كيف تطلبون الرحمة من الله وتلعنون الآخرين، إن لم تغفروا فلا يغفر لكم، وأنتم لا تكتفون بعدم الغفران بل تطلبون من الله أن لا يغفر لهم.

هل تفهمون معنى هذا الإفراط في الحقد؟ إذا كان لا يغفر للذي لا يغفر فكيف يكون الأمر بالنسبة للذي يتوسل إلى رب الكل ألا يؤجل الدين؟ أنتم بذلك لا تضرون عدوكم، بل تضرون أنفسكم. لأنه حتى لو كان مزمعاً أن يقبل طلباتكم من أجل ذواتكم، فسيرفضها لأنكم تطلبون بفم غاش، غير طاهر، ملئ بالنتن والنجاسة يلزمكم أن ترتعدوا من خطاياكم، وتبذلوا الجهود لنوال العفو، بدلاً من أن تأتوا إلى الله لتثيروه ضد أخيكم. ألا تخافون؟ ألا تقلقون على أنفسكم؟ ألا ترون إلى أي نهاية تصلون؟ كيف تتوسل إلى الله، وتطلب منه أن يعامل أخاك بشدة، بهذا أنت تسئ إلى حالتك، ولا تسمح لله أن يغفر لك خطاياك، ويقول: كيف تطلب مني أن أحاسب الذين أخطأوا ضدك حساباً قاسياً، ثم تطلب مني بعد ذلك أن أغفر لك إهانتك لي؟ ليتنا ندرب أنفسنا على أن نكون مسيحيين بالحق فإذا كنا لا نعرف كيف نصلي وهذا شئ حلو وسهل جداً، فكيف نعرف الباقي، لنتعلم كيف نصلى كمسيحيين هذه الصلوات لا تتفق مع المسيحية بل مع اليهودية، لأن صلوات المسيحيين على العكس تماماً، فهي تتضمن طلب الصفح والرحمة لمن أساءوا إلينا ***"نحن نُشتم فنبارك نُضطهد فنحتمل، يُفترى علينا فنعظ"*** (1كو 4: 12، 13).

اسمعوا ما يقوله استفانوس ***"يارب لا تقم لهم هذه الخطية"*** (أع 7: 6) فهو لم يكتف بعدم قذف جلاديه باللعنات، بل صلى من أجلهم، وأنتم لا تكتفون بعدم الصلاة من أجل أعدائكم، بل تلعنوهم، بقدر ما كان استفانوس جديراً بالإعجاب، بنفس القدر أنت بائس. قولوا لي بمن نُعجب؟ هل بالذين صلى استفانوس من أجلهم أم بأستفانوس نفسه؟ لاشك أننا نعجب به هو. فإذا كان هذا هو تفكيرنا فكم يكون بالنسبة لله. أتريد أن يعاقب عدوك صل من أجله، ولكن ليس بهذا الفكر، ولا لكي تبلغ هذا الغرض. هذا الغرض سيتم ولكن أنت لا تصلي بهذا الهدف. مع أن هذا القديس قد قاس الاضطهاد ظلماً فقد كان يصلي من أجل جلاديه ولم يلعنهم بينما نحن كثيراً ما نعاني من قبل أعدائنا آلاماً نحن نستحقها، ومع ذلك ليس فقط لا نصلي من أجلهم، بل على العكس فإننا نلعنهم، أية عقوبة لا نستحقها؟ قد يظهر لكم تجرحون عدوكم، وفي الحقيقة أنتم تصوبون السلاح ضد أنفسكم، إذ أنكم لا تعطون فرصة للقاضي أن يكون رحيماً قبل خطاياكم وذلك بإثارته ضد خطايا الآخرين: ***"لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون وبالكيل الذي به تكيلون يكال كم"*** (مت 7: 2) لنكن رحماء حتى ننال الرحمة من عند الرب.

## ثالثاً: لا يكتفي بسماع الوعظ فقط بل بتطبيقه

أرجو ألا تكتفوا بسماع الوعظ بل تكونوا أمناء في تطبيقه هذا الكلام سوف لا يترك لديكم سوى تذكار فقط، وقريباً هو نفسه يمحى، فعندما تنصرفون إذا قابلكم أحد من الذين لم يحضروا معنا ويسألكم فيما ذكرناه، فإن البعض لن يعرف ماذا يقول، والبعض الآخر سيعرفون فقط موضع العظة، ويقولون أن الواعظ قال: إنه لا يجب أن نشعر بالضغينة، بل على العكس يجب أن نصلي من أجل أعدائنا، ويضيفون أنهم لن يحاولوا التكملة لأنهم لا يجيدون التذكر، وآخرون يتذكرون بعض الأجزاء الصغيرة جداً. لذلك أدعوكم، إذا لم تلتقطوا أية فائدة من حديثي هذا، لا تربطوا أنفسكم بي لتسمعوني. لأنه ماذا سيعود عليكم سوى حكم أكثر صرامة، وعقوبة أشد قسوة، إذا مازلتم في نفس الحالة بعد كل هذه التنبيهات؟ الله أعطانا صيغة للصلاة حتى لا نطلب شيئاً أرضياً وبشرياً. أنتم مؤمنون وتعرفون ما تتضمنه الصلاة العامة المشتركة قد تقولون هذه الصلاة لم تلزمنا بالصلاة لغير المؤمنين ذلك لأنكم لا تعرفون قوة هذه الصلاة وعمقها والكنز الذي تحتويه، فإذا عشنا فيها سنكتشف كل ذلك. عندما نقول ***لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض***" هنا نجد المعنى مختفياً في هذه العبارة، وكيف يكون ذلك، لأنه في السماء لا يوجد سوى المؤمنون فقط، لتجرد هذا النص من كل معنى، لأنه إذا كان يجب على المؤمنين فقط تنفيذ مشيئة الله وأن يخالفها غير المؤمنين، فإنها لن تنفذ كما في السماء. وماذا أيضاً؟ في السماء لا يوجد فاسدون، فليت لا يكون على الأرض فاسدين أيضاً، أجذبهم كلهم يا إلهي لمخافتك، وأجعل أن يكون جميع البشر ملائكة حتى لو كانوا أعدائنا وأعداء المملكة.

ألا تلاحظون كم يجدف على الله يومياً؟ كم يهان من غير المؤمنين ومن المسيحيين. بالكلام والأفعال؟ فهل بسبب ذلك أطفأ نور الشمس، حجب القمر، حطم السماء، قلب الأرض، جفف البحر محي ينابيع المياه، أربك الهاوية؟ كلا بل على العكس أشرق الشمس أسقط المطر، أنتج الفاكهة، يطعم سنوياً المجدفين والحمقى والمجرمين والمضطهدين، ليس فقط لمدة يوم أو يومين أو ثلاثة أيام، ولكن مدى الحياة أقتدوا به بقدر ما تتيح لكم الطاقة البشرية. أنتم لا تقدرون أن تعطوهم مطراً؟ فلا تسيئوا إليهم. أنتم لا تقدرون على مدهم بالغذاء؟ لا تسبوهم في حالة السكر. من جانبكم هذه الحسنات كافية، أقول لكم: إذا كان الله يظهر إحساناته للأعداء بالأعمال أظهروها أنتم على الأقل بالأقوال. صلّ من أجل عدوك، وبذلك تشبه أباك الذي في السماوات تكلمنا في هذا الموضوع ألف مرة، ولم نتوقف عنه، ليحقق بعضاً من التقدم فقط. نحن لا نتكاسل ولا نكل عن الكلام، ولن نيأس قط، وكل ما نرجوه أل تنفروا منا، إذا أن نفوركم يظهر عندما لا تتجاوبون مع حديثنا، لأن الذي ينسجم منه يشتاق لسماعه مرة أخرى، لا يجد في

أي موضوع مضايقة، بل يثني عليه، النفور يأتي ممن لا يريدون تطبيق ما يسمعونه، وهكذا يصبح الواعظ مسئولاً.

قولوا لي، إذا سمع رجل محسن موعظة عن الصدقة، فإنه ليس فقط لا يتردد عن الحضور، بل يعجب بما سمع كما لو كان الواعظ يتحدث عن أعماله الصالحة. هكذا نحن أيضاً بما أننا لا نحمل فضيلة الصبر، ولا نطبقها على الإطلاق، ننفر نفوراً شديداً من الحديث عنها، فلو كانت أعمالنا مطابقة لها لكنا نعجب بها. فإذا كنتم لا تريدون أن نكون في موضع المسئولية ومبغضين، تجاوبوا مع رأينا، أظهروه في أعمالكم، لأننا لم نكف عن الكلام في هذا الموضوع حتى تهتدون. نعم نحن نعمل هذا من أجلكم بحماس وشفقة !وأيضاً نعمله خشية الضياع الذي يهددنا. البوق لابد أن يبوق، فإذا ما بوق ولم يتصد أحد للعدو، فهنا يكون البوق قد أكمل واجبه نعمل هذا ليس لكي نثقل العقوبة عليكم، بل لكي نخلي مسئوليتنا. ثم إن محبتنا لكم تنشطنا، أحشاؤنا تمزقت، لما لهذه الخطايا من أثر فينا. إن ما نلتمسه منكم ليس طلباً، ولا مصروفاً، ولا طريقاً طويلاً ولا تضحية بالثراء، لا يلزم سوى الرغبة سوى كلمة واحدة عمل إرادي.

لنحفظ فمنا، لنضع باباً ومزلاجاً عليه، حتى لا ننطق بما لا يرضى الله. إنه ربح لنا وليس ربحاً للذين نصلي من أجلهم. لنتذكر أن الذي يبارك عدوه يبارك نفسه، والذي يلعنه يلعن نفسه. بهذا نستطيع التقدم والحصول على الوعود الحسنة التي أتمناها للجميع بنعمة وصلاح ربنا يسوع المسيح له مع الآب والروح القدس، المجد والكرامة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

www.orthodoxonline.org

الموعظة السابعة

***"لكي نقضي حياة مطمئنة هادئة في كل تقوى ووقار. لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة لحق يقبلون"***

(2: 2-4 ، 7)

التحليل

**أولاً:** يوجد ثلاثة أنواع من الحروب، تلك التي يشنها علينا الأجانب، والتي تنشأ بين المواطنين الواحد ضد الآخر، وتلك التي نشنها على أنفسنا. وهذه هي أسوأ الأنواع الثلاثة.

**ثانياً:** لا يوجد سوى إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس هو يسوع المسيح.

**ثالثاً:** الحث على الصدقة، عدم الثراء.

**أولاً: ثلاثة أنواع من الحروب**

إذا كان الرسول يريد أن حرب الشعوب، والمعارك والاضطرابات تهدأ، وإذا كان لهذا الباعث يحث الكاهن على إقامة الصلوات من أجل الملوك والأمراء، فمن باب أولى يجب أن يقوم بهذه الصلاة المؤمنون البسطاء. في الواقع قد توجد ثلاثة أنواع من الحروب الوحشية المؤلمة، الأولى عندما يحارب جنودنا جيوش البربر المعتدين، الثانية قتالنا ضد بعضنا البعض في أوقات السلام ، الثالثة والأخيرة عندما يحارب كل منا ذاته، وهذه أكثر الحروب قسوة وحزناً.

حرب البرابرة لا تضرنا كثيراً، ماذا يحدثون بكم؟ يذبحون، يقتلون، ولكن لا يضرون النفس، والثانية مثلها، لن تضرنا قط، هذا إذا أردنا، فمتى هاجمنا الآخرون، يمكننا أن نتقبل هجومهم في سلام، اسمعوا ما يقوله النبي: "***بدل محبتي يخاصمونني أما أنا فصلاة***" (مز 109: 4) وأيضاً يقول "***أنا سلام وحينما أتكلم فهم للحرب***" (مز 120: 7).

أما بالنسبة للثالثة فلا يمكن الهروب منها في الخطر لأنه عندما يكون الجسد في نضال مع النفس، وينجح في إيقاظ الشهوات، وتسليح اللذات، وإثارة الميل للغضب أو الحسد، يصبح الأمر وقتئذ من الاستحالة الحصول معه على الوعود الحسنة بل أن الذي لا يعمل على إيقاف هذا الاضطراب، لابد أن يسقط وتصيبه الجروح، وهذه الحرب تولد موت جهنم. يلزمنا إذاً أن نعيش يومياً في اهتمام ويقظة، حتى لا تولد هذه الحرب فينا، أو إذا ولدت لا تتمادى، بل تهدأ وتخمد. لأنه أية فائدة ستحققونها وتحصلون عليها إذا ما تمتعت المسكونة بسلام عميق، وأنتم في حرب مع أنفسكم؟ إن السلام مع أنفسنا هو الذي

يهمنا الحصول عليه، فإذا امتلكناه لا شئ من الخارج يستطيع أن يؤذينا. أما سلام الدولة فإنه من الأمور التي تساعدنا على حصولنا على سلامنا الخاص. لهذا يقول النص: ***"لكي نقضي حياة مطمئنة هادئة"***.

**"في كل تقوى"**

ويقول: "في كل تقوى" لكي لا يظن أنه يقصد الإيمان فقط، بل السلوك أيضاً، الذي تكمن فيه التقوى. ماذا يربح الذين هم أتقياء في الإيمان، ولكنهم عديمو التقوى في سلوكهم. وحتى لا يكون هناك شك في إمكانية توافر عدم التقوى مع الإيمان، اسمعوا ما يقوله الطوباوي ***"يعترفون بأنهم يعرفون الله ولكنهم بالأعمال ينكرونه"*** (تي 1: 6). وأيضاً ***"فقد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن"*** (1تي 5: 8) وفي مكان آخر ***"إن كان أحد مدعو أخاً زانياً أو طماعاً أو عابد وثن"*** (1كو 5: 11) فهذا وثن لا يكرم الله.

الكتاب المقدس يقول أيضاً ***"من يبغض أخاه فهو إلى الآن في الظلمة"*** (1 يو 2: 9) أترون كم يوجد من أنواع عدم التقوى. لهذا يقول الرسول: "بكل تقوى ووقار" لأنه ليس الوقح فقط هو الذي ينقصه الوقار، بل الإنسان الشرير والإنسان الذي بلا زمام يستحق نفس اللوم، يوجد هنا ولع لا يقل عن الشهوة. والذي لا يقمعه هو إنسان بلا زمام. هكذا يسمى الذي لا يلجم رغباته. سأعطى أيضاً هذا اللقب للرجل الغضوب، للحسود، للبخيل، لكل الذين يعيشون في الخطية، جميعهم بلا وقار ولا اعتدال.

**الصلاة من أجل جميع الناس**

فهذا هو الحل المفضل في نظر الله مخلصنا، ما هو؟ هو أن نصلي من أجل الجميع، هذا ما يقبله الله ويريده، لأنه ***"يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون"***.

اقتدوا بالله: فبما أنه يريد أن الجميع يخلصون، يلزمكم أن تصلوا من أجل الجميع، فإذا كان الله يتمنى أن الجميع يخلصون، لتكن لكم أنتم أيضاً نفس الأمنية، اعتبروها من الموضوعات التي تتطلب صلواتكم. إلا تلاحظون كيف أن الرسول يحاول بكل وسيلة أن يحثنا على الصلاة حتى من أجل الوثنيين؟ ويرينا الفوائد العظيمة التي نحصل عليها منها بقوله ***"لكي نقضي حياة مطمئنة هادئة"*** ويرينا أيضاً أن الباعث الرئيسي لها، وهو أن الله يسر بذلك، ويريد أن نتشبه به، بأن تكون لنا نفس الرغبة التي له. وهذا يكفي أن يُخجل حتى الحيوان المفترس.

لا تخشوا أن تصلوا للوثنيين. الله نفسه يريد ذلك، أما الذي لا يريده الله ويجب أن تخشوه هو أن تلعنوهم وإذا كانت الصلاة لازمة من أجل الوثنيين، فبديهي أنه يجب الصلاة أيضاً من أجل الهراطقة، إذ

يجب أن نصلي من أجل كل البشر، ولا نضطهدهم أجل، أنه أمر جميل أن نصلي من أجلهم، أليسوا هم من طبيعتنا؟ الله يمدح ويبجل العطف والمحبة المتبادلتين بيننا. وقد يقال، إذا كان الله له هذه الإرادة فما هي حاجته لصلواتنا؟ أنه من المفيد جداً للوثنيين والهراطقة أن نصلي من أجلهم، إذاً بالصلاة نجذبهم لمحبتنا، وتمنعكم أنتم من حدة الطبع، كل هذا ملائم لجذبهم للإيمان، لأن كثيرين ابتعدوا عن الله بسبب بغضهم للبشر، وهذا هو السلام الذي يتكلم عنه الرسول الحقيقي، والباقي كله لا شئ ولا يحمل سوى اسم السلام "***وإلى معرفة الحق يقبلون***" الحق هو الإيمان به وفي الواقع فإن الرسول في البداية قد نبه تيموثيئوس أن يحث الناس على ألا يعلموا تعليماً آخر، حتى لا يتواجد بينهم أعداء، ولا يدعوا الأمر إلى مصارعات ضدهم.

**ثانياً: لا يوجد سوى إله واحد ووسيط واحد**

ويضيف "***يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس***" وقال "***إلى معرفة الحق يقبلون***" مشيراً بذلك إلى أن المسكونة لم تتقن الحق. ثم "***يوجد إله واحد***" وليس عدة آلهة كما يعتقد الوثنيون. ولكي يظهر أن الله يريد أن الجميع يخلصون، يضيف أنه أرسل ابنه كوسيط. كيف ذلك أليس الابن هو الله؟ نعم بالتأكيد. لماذا إذاً يقول الرسول "يوجد إله واحد"؟ لأنه كان يقصد في معرض حديثه التمييز بين المسيحية وعبادة الأوثان التي تقول بتعدد الآلهة، إذا كان يتكلم هنا عن الحق والضلال ولكن الوسيط يلزمه أن يكون مشاركاً للذين يقوم بالوساطة بينهما.

فإذا التصق بأحدهما وانفصل عن الآخر لا يصح أن يكون وسيطاً. فإذا لم يشارك في طبيعة الآب لا يكون وسيطاً بل منفصلاً. كما أنه يشترك في الطبيعة البشرية لأنه جاء بين البشر. فبما أنه وسيط بين طبيعتين، لا يمكن أن يكون معزولاً عن أي منهما. وكما أن الوسيط بين طرفين يكون جاراً للاثنين. هذا يجب أن يكون بالنسبة للذي له صلة بين طبيعتين. وكونه صار إنساناً فلم يصبح أقل من الله. ولو كان إنساناً فقط ما كان يصح أن يكون وسيطاً، لأنه لابد أن يتعامل مع الله نفسه. ولو كان إلهاً فقط ما كان يمكنه ذلك أيضاً لأن الذين كان يعمل وسيطاً لهم ما كانوا يقبلونه.

ولذلك يقول الرسول في موضع آخر: "***ولكن لنا إله واحد الآب..... ورب واحد يسوع المسيح***" (1كو 8: 6). وهكذا في هذه الفقرة يقول: إله واحد ووسيط واحد. فهو لا يقول "اثنين" لأنه في هذا الجزء كان يتكلم عن تعدد الآلهة ولم يرد أن ينخدع أحد بكلمة "اثنين" لافتراض وجود آلهين. وقال "واحد" ثم أيضاً "واحد". أترون دقة التعبير التي توجد في الكتاب المقدس! واحد وواحد هما اثنان. ولكننا لا نلفظ بهذه الكلمة رغم أن العقل يدعونا لذلك. هنا لا نقول واحد وواحد اثنين. أنت تقول ما لا يوعز به العقل

لك. إن كان قد ولد فإنه تألم ويقول: ***لأنه لا يوجد سوى إله واحد، ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجل الجميع***" (1تي 2: 5، 6). وماذا؟ هل لأجل الوثنيين أيضاً؟ هو المسيح وقد مات من أجلهم ومن أجلكم، وأنتم ترفضون الصلاة من أجلهم! قد تقولون وكيف لم يؤمنوا إذاً؟ لأنهم رفضوه، ولكن ما كان عليه أن يعمله فقد عمله "والشهادة" التي يتكلم عنها الرسول هي آلامه. لأنه جاء ليقدم الشهادة عن حقيقة الآب وذبح، بحيث أنه لم يشهد الآب له فقط، بل هو أيضاً قد شهد للآب ويقول ***أنا أتيت باسم أبي***" (يو 5: 43). وفي موضع آخر ***الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر***" (يو 1: 18). وأيضاً ***أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك***" (يو 17: 3) وكذلك ***الله روح***" (يو 4: 24) إذا قدم الشهادة حتى الموت، في أوقاتها الخاصة، أي في الوقت المناسب ***التي جعلت أنا لها كارزاً ورسولاً***" (الحق أقول في المسيح ولا أكذب). معلماً للأمم في الإيمان والحق فإذا كان المخلص تألم لأجل الأمم. وأنا خصصت لأكون معلماً لهم فلماذا أنتم لا تصلون لأجل الوثنيين؟ أنتم ترون أن النعمة تمتد، اليهود لم يقيموا صلوات لهدف كهذا، ولكن الآن النعمة قد امتدت، "***معلماً للأمم في الإيمان والحق***" . ***الذي بذل نفسه كفدية***" كيف سلم بمعرفة أبيه؟ لأن صلاحه أراد ذلك. وما هي هذه الفدية؟ كان لابد أن يعاقب هؤلاء الناس كان لابد أن يهلكوا لكن نيابة عنهم أسلم ابنه الحبيب حتى ينتشر الصليب.

كان هذا كافياً لجذب البشرية بأكملها، لمعرفة محبة المسيح وحسناته غير المحدودة والتي لا يمكن التعبير عنها. فقد قدم نفسه ذبيحة لأجل أعدائه، لأجل الذين أبغضوه وابتعدوا عنه. ما لا يعمله إنسان لأجل أصدقائه، وأولاده، وأخوته، عمله السيد لأجل عبيده، وهو سيد ليس من نوعهم، لكنه إله من أجل بشر ولأجل بشر مجرمين. ونحن موضوع هذه المحبة، نظهر كما لو أننا نرفضها ولا نحب المسيح، هو قدم نفسه ذبيحة من أجلنا، ونحن ننظر إليه بعين مشتتة محرومة من الغذاء، هو مريض، وينقصه ملابس ونحن لا نبالي به. أي غضب، أية عقوبة، أية جهنم لا يستحقها سلوك كهذا؟

لقد تنازل وخص نفسه بآلام البشر، وقال أنا جوعان، أنا عطشان، ألم يكن هذا كافياً لجذبنا كلنا؟ ولكن طغيان الثراء أو بالأحرى استعبادنا الإرادي للضلال، يقلل من إمساكنا لزمام سلطتنا، نحن جبناء، منحلون، أرضيون ، شهوانيون ، وحمقى. لأنه ليس الثراء هو الذي يملك القوة. قولوا لي ما هي إمكانياته؟ أنه أبكم وفاقد الحياة. إذا كان الشيطان بروحه الشريرة لا يستطيع عمل أي شئ معنا رغم كل دهائه، فأية قوة يملكها الثراء؟ إذا شاهدتم النقود فلا تنسوا أنها من القصدير، فكروا في حقيقتها إنها من الأرض وتشكل جزءاً منها هل هذا التفكير لا يؤثر فيكم؟ فكروا في أننا نحن أيضاً سوف نموت، وأن كثيرين ممن امتلكوه لم يستفيدوا منه شيئاً. عدداً كبيراً من الذين تفاخروا به أصبحوا رماداً وتراباً، ويقاسون اليوم أشد

العقاب، كم من الناس استراحوا على أسرة من العاج هم الآن أكثر بؤساً من الذين كانوا يستخدمون الأواني الفخارية والزجاجية، أكثر تجرداً من الذين كانوا يعيشون في الوحل، ولكن هل هو يبهج النظر؟ يوجد كثير من الأشياء التي تعطي بهجة أكثر منه. الزهور، الهواء النقي السماء الشمس، كل هذا يبهج أكثر جداً، الفضة تصدأ ويبدو عليها السواد الذي يظهر في المنشفة التي تنظف بها. لا يظهر شئ من هذا في الشمس، في السماء، وفي النجوم. الزهور لها منظر أكثر متعة من لون الفضة. إذاً فليس بريقها هو الذي يسحركم، إنما هو الطمع والظلم وهذا هو الذي يفتن النفس وليس الفضة نفسها.

**ثالثاً: الحث على الصدقة، عدم الثراء**

اطردوا الطمع من نفوسكم وسوف ترون أن ما يبدو لكم أنه جدير بالتقدير أحقر من الوحل. اطردوا الشهوة. إن المرضى بالحمى عندما يشاهدون المياه ولو الموحلة يرغبون في الارتواء منها، كما لو كانت من المنبع، أما الأصحاء فلا يشربون سوى على فترات، ابعدوا المرضى، وسوف يرون كل شئ على حقيقته، إطفئوا النار التي تحرقكم وسوف ترون أن كل هذا أقل قيمة من الزهور. الذهب جميل، أجل في حالة إذا ما تصدقنا به في مواساة البؤساء، وليس في الاستعمال الباطل، أو في دفنه في صندوق أو في الأرض، أو لكي يعرض على الأيادي والأرجل والرأس.

وإذا كان قد اكتشف، فليس لتقييد صورة الله، ولكن لتحرير الأسرى هذا هو الاستعمال الحق. أيتها النساء أنتن تفضلنه على لك شئ لجذب الأنظار إليكن. الأمر الذي يجب أن تخجل منه المرأة، وكبرهان على هذا الكلام حملوها بالسلاسل الذهب وأبعثوها في صحراء، حيث لا تجد شخصاً واحداً ينظر إليها، بعد قليل هذا الرباط سيكون بالنسبة لها ثقيلاً وغير محتمل. لنخشى يا أحبائي سماع هذه العبارات المخيفة ***اربطوا رجليه ويديه*** " (مت 22: 13) لماذا تربطن أنفسكن هكذا بقيود هذا العالم؟ السجين غير مكبل اليدين والرجلين.

أما أنتن فلا تكتفين فقط بتقييد أياديكن وأرجلكن بهذه السلاسل بل تُحزمن رؤوسكن بها أيضاً، وكذلك رقابكن. سأغفل الهموم التي تنتج الخوف، الآلام، الشجار مع أزواجكن، حينما تطالبنهم بها، وما يصيبكن منهم، إذا فقدتن واحدة من هذه السلاسل. هل هنا السعادة؟ هل لكي تنلن إعجاب عيون الآخرين تتحملن إرادياً الأربطة، الهموم، المخاطر، الأحزان، المشاحنات كل يوم. أليس هذا التصرف جديراً باللوم والاستهجان؟ أناشدكن، لا تتعلقن بهذه الأمور ولتتخلصن من كل رباط أثيم. لنكسر الخبز للجائع، لنكمل كل الأعمال التي تعطينا تأميناً أمام الله، حتى نحصل على الخيرات الموعودة في المسيح يسوع ربنا، مع الآب والروح القدس، له المجد والقوة والكرامة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

## الموعظة الثامنة

***"فأريد أن يصلي الرجال في كل مكان، رافعين أيادي طاهرة، بدون غضب ولا جدال. وكذلك النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة، مع ورع وتعقل، ولا بضفائر أو ذهب، أو لآلئ، أو ملابس كثيرة الثمن، بل كما يليق لنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة"***

(2: 8- 10)

## التحليل

**أولاً:** يمكن الصلاة في كل مكان طبقاً لشريعة النعمة، بخلاف ما كان في عهد موسى، ضد ترف النساء.

**ثانياً، وثالثاً:** ضد العذارى اللائي يلبسن بإتقان وتمعن تام.

### أولاً: يمكن الصلاة في كل مكان طبقاً لشريعة النعمة

يقول السيد المسيح: ***"متى صليت فلا تكن كالمرائين. فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس الحق أقول لكم أنهم قد استوفوا أجرهم، وأما أنت فمتى صليت فأدخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصلي إلى أبيك الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية"*** (مت 6: 5، 6). فلماذا إذا يقول بولس: ***أريد أن يصلي الرجال في كل مكان رافعين أيادي طاهرة بدون غضب ولا جدال***"؟ ألا يوجد تعارض بين النصين؟ حاشا لله، بل بالأحرى هما متطابقان تماماً، كيف؟ يجب أولاً تفسير ما تعنيه هذه الكلمات: "فأدخل إلى مخدعك" وبماذا يأمر الرسول، هل تجب الصلاة في كل مكان، أم لا يجب الصلاة في الكنيسة، ولا في أي مكن في المنزل سوى هذا المخدع؟ ماذا يعني هذا النص؟ المسيح يعلمنا هنا أن نتجنب حب الظهور، لا يحتم علينا أن نصلي في مكان خفي، بل نؤدي صلواتنا دون تفاخر، مثلما يقول: ***"لا تعرف شمالك ما تفعل يمينك"*** (مت 6: 3) هو لا يتكلم عن أيادينا بل يقصد قمة التواضع، وبالمثل يعلمنا هنا نفس الشيء بلغة مجازية، فهو لم يحدد مكاناً معيناً للصلاة، ولكنه علمنا شيئاً واحداً: أن نتجنب التفاخر، ويقول ذلك للتمييز بين صلاة المسيحيين واليهود. ويتضح ذلك في قوله ***"في كل مكان رافعين أيادي طاهرة"*** الأمر الذي كان غير مسموح به لليهود. لأنه كان غير مسموح لهم أن يمثلوا أمام الله، ليقدموا ذبائح ويتمموا شعائر العبادة. سوى في مكان واحد لا بديل له، يهرع إليه الناس من كل جهات الأرض لتتميم الشرائع المقدسة في الهيكل.

بولس يعطينا نصيحة مخالفة تماماً، ويحررنا من هذه الالتزام. لأن شريعتنا ليست مثل شريعة اليهود. مثلما يأمرنا بأن نصلي من أجل الجميع. بما أن المسيح قد مات من أجل الجميع، والرسول يكرز للجميع، ولذلك فإنه من المستحسن الصلاة في كل مكان. فمن الآن فصاعداً ليست العبرة بالمكان، ولكن في الطريقة التي نصلى بها، فهو يقول: صلوا في كل مكان. ارفعوا أيادي طاهرة، هذا هو المطلوب منكم.

ما هو المقصود بالأيادي الطاهرة؟ أيادي نقية، وما هي الأيادي النقية؟ الأيادي النقية ليست هي المغسولة بالماء، بل النقية من البخل، من السلب، من القتل، من العنف، بدون غضب ولا جدال. ماذا تعني هذه العبارة؟ من يغضب أثناء الصلاة؟ يريد الرسول أن يقول بدون حقد، أي أن تكون أفكار المصلى نقية، خالية، من كل شهوة، ألا يتقدم أحد أمام الله ويحمل في قلبه كراهية، بنفس حزينة، ومجادلاً مع نفسه.

ماذا تعني هذه الكلمات الأخيرة؟ لنستمع إليه: يجب ألا نشك أنه سيستجيب لنا ***"كل ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين"*** يقول الرب ***"تنالونه"*** (مت 21: 22) وفي مكان آخر ***"ومتى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شئ لكي يغفر لكم أيضاً"*** (مز 11: 25) هذا هو معنى الصلاة بلا جدال. ستقولون كيف أستطيع أن أصدق أنني سوف أحصل على طلب؟ أجل سوف تحصل عليه إذا كان لا يتعارض مع إرادة الله. ولا يكون غير لائق بملكه، غير دنيوي، بل يقتصر على الأمور الروحية، وأن تتقدموا دون غضب، وبأيادي نقية طاهرة. الأيادي الطاهرة هي التي تمارس أعمال الرحمة. إذا تقدمتم هكذا أمام الله، فسوف تحصلون على طلباتكم، يقول الرب: ***"فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى أبوكم الذي في السموات"*** (مت 7: 11) الجدال الذي يتكلم عنه الرسول هو الشك.

**ثانياً وثالثاً: ضد المتبتلات اللائى يلبسن بإتقان وتمعن تام**

**ثانياً:** يضيف الرسول بولس قائلاً "كذلك النساء" هنا الرسول يوصي النساء بنفس ما أوصى به الرجال، أن يحفظن أياديهن طاهرة، ولا يخضعن لرغباتهن، كالجشع الذي يدفعهن إلى السلب، وماذا عن النساء اللائى لا يسلبن بأنفسهن، بل يدفعن أزواجهن إلى ذلك؟ لأجل هذا يضيف الرسول إلى الوصية العامة السابقة وصية أخرى خاصة بالنساء تحفظهن في حياة التقوى والوقار وتجنبهن وتجنب أزواجهن في نفس الوقت الخضوع للجشع واللجوء إلى السلب.

إذ أوصاهن قائلاً ***"يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل لا بضفائر أو ذهب أو لآلئ أو ملابس كثيرة الثمن بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة"*** ما هي الزينة التي

يقصدها الرسول؟ الزينة والوقار المعتدل بلا إفراط، وبذلك يطبقن الوصية. ما هذا! أتأتين للصلاة لله بالحلي والضفائر؟ هل أنت ذاهبة لترقصي؟ هل أنت ذاهبة إلى عرس أو عيد عالمي حيث مكان الحلي والضفائر والثياب الفاخرة، هنا ليس لها أي احتياج أنت أتيت لتتوسلي، لتطلبي العفو عن خطاياك، الرحمة من أجل ذنوبك، لكي تستعطفي الرب بصلواتك، لماذا تتزينين؟ ليس هذا هو المظهر الذي يليق بالتوسل. كيف تتنهدين وتبكين وتثابرين على الصلاة وأنت محملة بالحلي؟ وإذا بكيت سوف تضحك دموعك الذين يشاهدونك، لأن التحلي بالذهب لا يتفق مع اللائى يبكين، أليس هذا مظهراً مضحكاً ومشهداً مسلياً أن تصدر دموع من قلب يسكنه حب الترف والزهو؟ ضعي جانباً هذه الكوميديا لا يمكن الاستهتار بالله. كل هذه الأمور لا تتناسب قط مع امرأة محتشمة.

"مع ورع وتعقل" لا تقلدي الناس الضائعات فهن بهذه الزينة يغرين عشاقهن، هنا تتولد الشكوك الكثيرة ضد الكثيرات من السيدات ودون أية فائدة، لأن هذه السمعة السيئة لا تسبب سوى الضرر للآخرين. المرأة الزانية حتى لو كانت سمعتها حسنة، لن تفيدها هذه السمعة بشئ، إذ عندما تحاكم عما عملته في الخفاء سيكون ذلك في وضح النهار، وبالمثل أيضاً المرأة الشريفة إذا اتهمت بالزني بسبب العناية الزائدة التي تعطيها لمظهرها الخارجي فلا تستفيد من شرفها لأن شهرتها أضاعت بعض النفوس. سوف تقولين ماذا أستطيع أن أفعل إذا ما شك فيَّ أحد؟ أنت التي تعطينه هذه الفرصة بزينتك ومظهرك ونظراتك، لذلك يهتم الرسول بتوجيه النظر للزينة والورع، أما الأمور الباقية التي تدل على علامات الثراء والرفاهية، كالذهب واللآلئ، الملابس الكثيرة الثمن، حيل الأناقة، المساحيق، تلوين العيون، السير اللين، المعاطف ذات الشكل المدروس جيداً، الأحزمة المصنوعة بدقة، الأحذية المصنوعة بفن دقيق. كل هذه استبعدها الرسول مكتفياً بقوله "ملابس بورع وتعقل" لأن كل هذه الزينات تدل على عدم الوقار وعدم الحشمة.

أرجو أن تحتملن هذا الحديث، لأن مهمة الواعظ توجيه اللوم دون تستر ودون إخفاء للحقائق، ليس لكي يجرح أو يؤلم، لكن لكي يبعد القطيع عن كل ما هو مضاد له. وإذا كان الرسول يحرم كل هذا على النساء المتزوجات، والثريات اللائى يعشن في الرفاهية، فكم بالحرى بالنسبة للائى كرسن حياتهن للبتولية، وقد يقال أية بتول تتزين بالحلي وتجعيد الشعر، أنهن يعنين جداً بملبسهن البسط. بحيث تكون الزينة لا تساوي شيئاً بجانبه. يمكن بملابس قليلة الثمن تكون العناية أكثر من امرأة حاملة للحلي. لنحشى يا أحبائي أن نسمع نحن أيضاً ما يقوله النبي للنساء العبرانيات اللائى كن يضعن كل همهن في زينتهن الخارجية: "***وعوض المنطقة حبل وعوض الجدائل قرعة***" (أش 3: 24) وهكذا هذه الزينة أكثر خطورة من

الحلي، وزينات أخرى كثيرة تدرس جيداً لكي تعطى جاذبية وتسبى الناظرين، وهذا ليس خطأ بسيط ولكنه سلاح قادر على إغضاب الله وإفساد العذارى.

**ثالثاً:** عريسك هو المسيح لماذا تريدين جذب عشاقاً من بين الرجال؟ سوف يدينك المسيح كزانية. لماذا لا تتزينين بالزينة التي تناسبه والتي يحبها: الورع التعقل، الحشمة الملبس البسيط؟ ملبسك هذا يليق بامرأة متهتكة. قد وصل الأمر إلى عدم التمييز بين قليلات الحياء، والمتبتلات، انظروا إلى أي حد من المساوي وصلن المتبتلة يجب أن تكون مجردة من الأناقة، ملابسها بسيطة بلا فن. وهذه تخترع مائة حيلة لتزيين مظهرها الخارجي، أيتها المرأة أتركى هذا الجنون، وأعطى عنايتك للزينة الداخلية لنفسك. لأن هذه الزينة الخارجية تتعارض مع الزينة الداخلية. الذي يعتني بالخارج يهمل الداخل، كما أن الذي يهمل الخارج يصنع كل عنايته في تزيين نفسه. لتخفن من اللوم الذي وجهه النبي لنساء إسرائيل "***من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق***" (أش 3: 16). أنتن في معركة كبيرة يلزم معها تمارين رياضية وليس العناية بالزينة، قوة الملاكم وليس حياة متأنثة. ألا تشاهدين الملاكمين الرياضيين؟ هل يهتمون بطريقة مشيهم وزينتهم قطعاً لا، هل يهملون كل ذلك يغطون أنفسهم بملابس مشربة بالزيت، لا يحلمون إلا بشيء واحد، وهو أن يضربوا ولا يهزموا. الشيطان هنا يُصر على أسنانه باحثاً بكل وسيلة كيف يغريكن، وأنتن لا تبالين لأنكن مشغولات بهذه الزينة الشيطانية، الأمر الذي يجعل أهل العالم يسخرون منكن.

لقد فُقد وقار البتولية، لم تعد البتولية تنال الكرامة الجديرة بها. قد عرضن أنفسهن للاحتقار أليس من المفروض أن ينظر إليهن في كنيسة الله بعين الإعجاب والتقدير ككائنات نازلة من السماء؟ وكان يجب أن يقلدن العذارى الحكيمات. كان يجب عليكن أن تصلبن أنفسكن، عندما تراكن زوجة لها رجل وأولاد أكثر رغبة في الزينة منها، كيف تهربن من سخريتها واحتقارها؟ كم من عناية وكم همة تبذلين! لكثرة العناية بملابسكن الرخيصة ظهرتن أكثر زينة من اللائى يحملن الحلي. أنتن لا تبحثن عما يناسبكن، أنتن تتبعن بنشاط ما يبرزكن، حينما تكلفن بالقيام بأعمال حسنة، لذلك أصبحت العذارى أقل كرامة من سيدات العالم، لأن أعمالهن أصبحت لا تتفق مع بتوليتهن. نحن لا نتكلم هكذا مع الجميع أو بالأحرى نخاطب الجميع، اللائى يستحققن اللوم حتى يصبحن حكيمات، والأخريات لكي يوصين إليهن بالحكمة، أعلمن أنه بعد اللوم لا تأتي العقوبة، فنحن لا نتكلم بهدف إيلامكن، بل لاصلاحكن ولكي نتمجد أيضاً بكن، حاولن أن تعملن كل ما يرضى الله، ولتعشن بمجده، وبهذا تحصلن على الخيرات الموعودة. بنعمة، وصلاح ربنا يسوع المسيح، مع الآب والروح القدس له المجد، القوة، والعزة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

## الموعظة التاسعة

***"لتتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع، ولكن لست أذن للمرأة أن تعلم، ولا تتسلط على الرجل، بل تكون في سكوت. لأن آدم جبل أولاً. ثم حواء، وآدم لن يُغو، لكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي، ولكنها ستخلص بولادة الأولاد، إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة، مع التعقل"***

(2: 11- 15)

## التحليل

**أولاً:** إستناداً إلى نص الرسول الذي يُحرم على النساء أن يتكلمن في الكنيسة، الواعظ يلوم بشدة النساء اللواتي كن يتسلمن للحديث أثناء الخدمة الإلهية، وأثناء الموعظة في زمنة.

**ثانياً:** أهمية تربية الأولاد تربية صالحة.

**أولاً: مطالبة الرسول النساء بالورع وعدم الكلام في الكنيسة.**

الطوباوي بولس يطالب النساء بالورع والتحفظ، ليس فقط في المظهر والملبس ولكن حتى في صوتهن، فيقول إن المرأة لا ترفع صوتها في الكنيسة، وهذا ما أوضحه في رسالته الأولى إلى كورنثوس عندما قال ***"لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم في الكنيسة"*** (1كو 14: 35)، وأيضاً يقول ***"بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً ولكن إن كنا يردن أن يتعلمن شيئاً فليسأل رجالهن في البيت"*** (1كو 14: 35) اليوم على العكس تضج الكنيسة بالمحادثات النساء لا يوجد ركن إلا ويسمع فيه ضوضاء، يتحدثن أكثر مما لو كنّ في مكان عام، كما لو كن آتين إلى الكنيسة لكي يلهين ويستسلمن لأحاديث لا جدوى منها، لا يعلمن أنهن إذا لم يحافظن على الهدوء، لن يتعلمن ما هن في حاجة إليه. وفعلاً إذا حل موعد الموعظة وسط حديث قائم ولا يسمع أحد للواعظ فأي نفع ينتج منها. المرأة يجب أن تكون صامتة، كما يعلم النص، يجب أن تتكلم في الكنيسة، لا في الأشياء الدنيوية، ولا حتى في الأمور الروحية. هذا هو مجدها وورعها. هذه هي زينتها، إذا ارتدتها تعطيها زينة أكثر من الملابس وتستطيع أن تؤدي صلواتها بلياقة تامة. يقول بولس ***"لا أسمح للمرأة أن تعلم"*** ما هي نتائج هذه العبارة؟ بالطبع لها نتائج كبيرة. الرسول كان يتكلم عن الهدوء. عن التحفظ، عن الورع، يقول أنه لا يريد ثرثرة النساء، وإمعاناً في الوصول بهن إلى الصمت التام منعهن من التحدث حتى في أمور التعليم الروحي محدداً لهن كيف يسلكن في سلك التلمذة إذا أردن أن يتعلمن شيئاً كما ذكر أنفاً. وهكذا بهدوئهن سيشهدن على خضوعهن. طبيعتهن الثرثرة، لذلك هو يحاول ردعها بكل وسيلة.

يقول: ***آدم جُبل أولاً، ثم حواء وإن آدم لم يُغوَ لكن المرأة أغويت***" ولكن هل هذا يختص بنساء اليوم؟ أجل الرجل يتمتع بكرامة أكبر، فقد جُبل أولاً، وفي مكان آخر أبرز الرسول هذا التفوق بقوله: ***لأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل***" (1كو 11: 9) لماذا يقول ذلك؟ لأن الرجل يجب أن يكون في المرتبة الأولى، لهذا السبب أولاً، ثم بسبب ما حدث في الماضي. إذ أن المرأة يوم أن علّمت الرجل، قلبت كل الأمور، كانت سبباً في عصيانه، ولذلك عاقبها الله، لأنها أساءت استعمال سلطتها، أو بالأحرى جعلت نفسها مساوية له في الرتبة. يقول الكتاب "***هو يسود عليك***" (تك 3: 16)، عبارات لم تذكر قبل الخطية. لكن هل يمكن القول إن آدم لم يغو، أي أنه لم يخالف، المرأة قالت ***الحية غرتني***" (تك 3: 13)، آدم لم يقل ***المرأة غرتني***" بل قال ***أعطتني من الشجرة فأكلت***" (تك 3: 12) الجريمة ليست متشابهة، لأن الإغراء وقع على آدم من كائن من نفس الطبيعة والجنس، أما حواء فقد أغويت من حيوان، من عبد من كائن ذي طبيعة أقل منها، هنا الغواية الحقيقية. فالرسول إذا لما قال إن آدم لم يغو، قال هذا بمقارنته بالمرأة، لأنها تركت نفسها تخدع من عبد، من كائن ذى طبيعة أقل، إنما آدم فقد خُدع من كائن حر، وليس عن آدم كتب ***فرأت أن الشجرة جيدة للأكل***" بل المرأة هي التي ***أكلت وأعطت رجلها***" (تك 32: 6) أي أنه لم يتعد بسوء نية، بل مجاملة لزوجته، إن المرة الوحيدة التي علمت فيها المرأة قبلت كل شئ، لذلك يقول الرسول ***إن لا تعلم قط***" ولكن ماذا ستكون النتائج بالنسبة للنساء جميعهن؟ النتيجة خطيرة لأن طبيعتهن ضعيفة وخفيفة. فالقضية هنا تخص طبيعة المرأة لأن النص لم يقل حواء أغويت، بل "المرأة" أي جنس المرأة بصفة عامة. ماذا إذاً ! هل كل الطبيعة النسائية وقعت في التعدي من جراء تعديها هي؟ قال الرسول: ***لم يخطئوا على شبه تعدي آدم الذي هو مثال الآتي***" (رو 5: 14). وهكذا يفهم من هذا النص أيضاً أن الطبيعة النسائية هي التي حصل منها التعدي.

لكن ألا يوجد خلاص للمرأة؟ بالتأكيد يوجد خلاص، كيف؟ بواسطة نسلها، لأنه أليس عن حواء قيل: ***إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل***" أي إيمان؟ أية محبة؟ أية قداسة؟ إنه كما لو كان قد قال لا تحزنن أيتها النساء لتأنيبكن، الله أعطاكن فرصة للخلاص، بتربية أولادكن، بمعنى أن النساء في إمكانهن أن يحصلن على الخلاص، ليس فقد بذواتهن، بل بواسطة الغير، وهنا قد يثار الكثير من الأسئلة، المرأة خدعت فوقعت في التعدي، أية امرأة؟ إنها حواء فهل إذن هي وحدها التي ستخلص بالأمومة؟ كلا، بل واسطة الخلاص هذه تخص كل النساء. المرأة تعدت، ولكن إذا كانت حواء قد أخطأت فكل جنسها سيخلص بالأمومة. قد يقال: لماذا، ألا تخلص المرأة بفضيلتها الذاتية، لأن حواء لم تغلق الطريق أمام النساء الأخريات؟ وما هو مصير المتبتلات؟ المرأة العاقر؟ الأرامل اللواتي فقدن أزوجهن قبل

أن يصبحن أمهات؟ هل أولئك لم ينلن الخلاص ولا أمل لهن فيه؟ مع أن المتبتلات لهن كرامة أكبر، ماذا يعني الرسول بذلك؟

**ثانياً: أهمية تربية الأولاد تربية صالحة**

إذا كان الرسول قد أمر كل جنس النساء بالخضوع استناداً إلى الكيفية التي تمت بها خلقة المرأة الأولى، والتي يعبر عنها الكتاب قائلاً إن حواء جبلت الثانية، فمن الآن فصاعداً كل جنسها يجب أن يكون خاضعاً، فهل لسبب مشابه تماماً إنه يُعلم أنه مادامت حواء قد تعدت، فبالتبعية هي ببساطة هبة من الله، أما تحمل جنس المرأة بالتبعية للتعدي، فهو نتيجة خطأ المرأة، فكما يقول إن الجميع ماتوا بسبب خطية إنسان واحد، فهكذا نفس الوضع بالنسبة للمرأة، ولكن لا تحزن قط لأن الله أعطاها تعزية كبيرة بصيرورتها أما. إلا أن خلاصها ليس بإنجابها الأولاد فقط، إذ أن هذا الأمر هو من فعل الطبيعة، وإنما بالتزامها بتربية أولادها الذين منحهم الله لها تربية حسنة ***"إن ثبتن في الإيمان، والمحبة، والقداسة مع التعقل"*** أي أنها بعد أن أعطتهم الحياة ، تربيهم على هذه الفضائل وسوف تحصل على مكافأة سخية، لأنها ربت أقوياء مجاهدين للمسيح، "إن ثبتن في الإيمان، والمحبة" إنها الحياة التي يجب أن يحيينها.

***"صادقة هي الكلمة"*** هذه العبارة قالها الرسول ليؤكد بها ما جاء في ختام الإصحاح الثاني بشأن خلاص المرأة بإنجاب الأولاد وسحن تربيتهم ومكافأة الله لها نظير ذلك[1] ولكن ماذا سيكون الأمر إذا كانت الأم فاسدة ومملوءة بالرذائل؟ هل تستفيد من تربية أولادها؟ أليس من المحتمل أنها تربيهم على شاكلتها؟ الرسول يتكلم هنا عن المرأة الفاضلة عندما يقول إنها ستكافأ بسخاء عما فعلت لأجل أولادها.

أصغوا إذن أيها الآباء والأمهات إن تربية أولادكم لن تكون بالنسبة لكم عملاً عميقاً. يقول الرسول فيما بعد: ***"مشهوداً لها في أعمال صالحة، إن تكن قد ربت الأولاد"*** ويضيف الرسول هذه الفضائل إلى الفضائل الأخرى. لأن تكريس الأولاد الذين يرسيان قاعدة وأساساً متيناً. سوف يحصلان على مكافأة كبيرة، لأنهما لم يهملا في تأديب أولادها، لأن عالي الكاهن هلك بسبب أولاده، إذا كان يجب عليه أن يبكتهم، هو فعل ذلك ولكن ليس بالقدر الواجب، لأنه كان لا يريد أن يؤلمهم، ففقدهم وفقد هو معهم. أيها

[1] تلفت المترجمة نظر القارئ إلى أن القديس يوحنا ذهبي الفم يسند عبارة "صادقة هي الكلمة" الواردة في مقدمة الإصحاح الثالث إلى ما أختتم به الإصحاح الثاني مصدقاً بها على ما جاء بشأن تربية الأولاد. ويلاحظ أن القديس ذهبي الفم يختلف في وجهة نظره هذه مع بعض المفسرين العصريين الذي يسندون هذه العبارة إلى ما جاء بعدها بشأن ابتغاء الأسقفية. وطبقاً لرأى صاحب النيافة الأنبا بسنتي أسقف المعصرة وحلوان أن عبارة صادقة هي الكلمة قيلت بشأن ما سبق في نهاية الإصحاح الثاني وما جاء في الإصحاح الثالث بشأن ابتغاء الأسقفية، لأن الكلمة صادقة في كل ما جاء به الوحي الإلهي.

الآباء أصغوا إذن، علموا أولادكم حسبما تقتضيه أوامر وتحذيرات الرب، بعناية فائقة ويقظة، إنه من الصعب اخضاع الشباب، فهو في حاجة إلى عديد من المراقبين والمربين، والمعلمين والحراس والحكام.

الشباب شبيه بفرس جامح، بحيوان متوحش. وإذا كنا أعطيناهم في وقت مبكر، في أوائل العمر، الموانع القوية، هذا لا يعفينا عن مواصلة الجهود المستمرة، لأن العادة المكتسبة ستصبح منذ ذلك الحين فصاعداً قانوناً. فلا تسمح لهم بتصرف جاف أو مؤذ، لا نخدعهم كالأطفال، لنلاحظ على الأخص أن يكون الحفاظ عليهم باعتدال، لأنه بالرذيلة المضادة يفسد معظم الشباب، هنا يلزمنا الكثير من النضال والسهر، فلنزوجهم مبكراً، حتى تستقبلهم زوجاتهم وهم أطهار أتقياء هنا تكون المحبة أكثر حيوية. المتحفظ قبل الزواج يستمر على هذه الحالة بعد الزواج "للرجل الفاسد كل غذاء جيد" (سفر الحكمة 23: 24). المتزوجون يحملون تيجاناً، رمز النصر، لكي يبرهنوا على أنهم يقتربون من فراش الزوجية دون أن يكونوا قد هزموا ولم يخضعوا للشهوة. ولكن الذي استسلم بجبن، لماذا يحمل التاج وهو مهزوم؟

لنحث أولادنا، ونبكتهم، ونرهبهم، نحن ننشغل كثيراً فيما نربحه لأجلهم، ولا نفكر قط في أنفسهم. هل تدركون مدى هذا الهذيان. أسس أبنك، وكل ما تبقى سيعطي بفيض، بينما إذا كانت نفسه غير فاضلة، فثراؤك لن ينفعه شئ. ولكن على العكس إذا تحلت نفسه بالفضيلة فلن يضره الفقر. هل تريد أن تتركه ثرياً بعدك؟ علمه كيف يكون نزيهاً. بالنزاهة يمكنه أن يكوّن ثروته، وإذا لم يحقق الثراء، فلا يكون هناك موجب لحسد الأثرياء. ولكن إذا كان فاسد الخلق، وتركت له الملايين. فلن تترك رجلاً جديراً بالأمانة، وسوف ينزل إلى الذين وصلوا إلى أقصى درجات التعاسة، الأولاد الذين بلا ضوابط تلجمهم، الفقر أفضل لهم من الثراء، الفقر يحمي أخلاقهم ولو رغماً عنهم. الثراء الذي يريدونه لن يقودهم إلى الحكمة، بل يجذبهم ويسقطهم، ويعجل بهم إلى هوة من الشرور.

أيتها الأمهات قدن بعناية كبيرة بناتكن، لاحظن اللاتي تعاشرنهن، علمنهن قبل كل شئ أن يكن حذرات، وقورات، يحتقرون الثراء، لا يملن للزينة، وأعددنهن للزواج، لهذا تكن سلتن حاميات فقط لهن، بل لأزواجهن، وأولادهن، بل وخلفائهن، إذا كان الجذر سليماً فالغصون تنمو جيداً، ومن الخير الذي قدم بواسطتكن سوف تحصلن على المكافأة لنعمل دائماً ليس لننقذ نفساً واحدة فقط بل نفوساً كثيرة بواسطة هذه النفس الواحدة. الفتاة عند خروجها من منزل والديها للزواج يجب أن تكون كالرياضي المتخرج من مدرسة الألعاب الرياضية، مشكلة ومدربة، وبفضيلتها تتمكن من تشكيل كل من يحيط بها، مثل الخميرة التي تخمر العجين كله. وليكن أولادها جديرين بالاحترام بسلوكهم المستقيم والحكيم، ليكونوا موضع مدح الله والناس. يتعلمون كيف يقمعون الطاعة، ويكفون عن الترف، ويكونون مقتصدين محبين، ويتعلمون

الطاعة. وبهذا يستطيعون أن يحققوا مكافأة كبيرة لوالديهم، فيسير كل شئ لمجد الله، وخلاص نفوسنا، في المسيح يسوع ربنا، له المجد إلى أبد الآبدين آمين.

www.orthodoxonline.org

## الموعظة العاشرة

***"إن ابتغى أحد الأساقفة فيشتهي عملاً صالحاً، فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة، صاحياً، عاقلاً، محتشماً، مُضيفاً للغرباء، صالحاً للتعليم، غير مُدمن للخمر، ولا ضراب، ولا طامح بالربح القبيح بل حليماً غير مخاصم، ولا محب للمال، يدبر بيته حسناً له أولاد في الخضوع بكل وقار"***
(3: 1- 8)

## التحليل

**أولاً:** عن الأساقفة والصفات الضرورية للأسقف.

**ثانياً:** يجب ألا يكون الأسقف حديث الإيمان أي متنصراً حديثاً، ويجب أيضاً أن يكون متمتعاً بسمعة جيدة، حتى بين الملحدين.

**ثالثاً:** أمثلة حسنة، لماذا لا يتنصر إلا القليل من الأمم.

### أولاً: الأساقفة والصفات الضرورية للأسقف

قبل الدخول في تفاصيل واجبات الأساقفة، يشرح الرسول بإيجاز ما يجب أن يكون عليه الأسقف، ليس في شكل تحذير لتيموثيئوس، بل قصد الرسول من ذلك تحديد قواعد السلوك التي يجب أن يتحلى بها جميع الرعاة عن طريق تعليمه لشخص واحد. ماذا يقول؟ ***إذا اشتهى أحد الأساقفة*** " فلا يكون مخطئاً في ذلك، لأنه لم يشته السيطرة والسلطة فقط، إنما قبل أن يحمل عبء الرعاية ومسئولية الوصاية. وأنا لا ألومه على ذلك لأنه ***"يشتهي عملاً صالحاً*** " وبالفعل فإن موسى النبي قد اشتهى العبء وتحمل المسئولية وليست السلطة، إلى درجة احتمال تجريح شعبه له بقولهم: "من أقامك رئيساً وقاضياً علينا" (خر 2: 14) الذي يرغب في الأسقفية بهذه الكيفية يمكنه أن يرغبها، إذ أن الأسقفية تحمل من خلال مدلول اسمها معنى التدبير والرعاية ويواصل الرسول بولس حديثه فيقول: ***فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم، بعل امرأة واحدة*** " لا يقصد الرسول بهذا النص أن يضع قانوناً يحتم الزواج على الأسقف بل لردع الإفراط فيه، لأنه عند اليهود كان مسموحاً بالزواج الثاني. والإبقاء على زوجتين في نفس الوقت: ***ليكن الزواج مكرماً*** " (عب 13: 4).

والبعض يؤكد أن الرسول بهذا القول، يتطلب في الأسقف أن لا يكون قد تزوج بأكثر من زوجة واحدة، "بلا لوم" باستخدام هذه العبارة، قد أفصح الرسول عن كل الفضائل، فالذي يبكته ضميره على بعض الخطايا، يكون مخطئاً إذا رغب في الأسقفية التي استبعد نفسه منها بسبب أعماله. وفي الواقع هذا يجب أن يكون محكوماً وليس حاكماً للآخرين. لأن الحاكم يجب أن يكون ألمع من المصباح، وحياته لا

تشوبها شائبة، إذ أن الأنظار تتجه نحوه لمراقبة حياته، وليس دون تخطيط يسجل الرسول رأيه هذه، بل لكي يوجه تيموثيئوس الذي بدوره سيقيم أساقفة، كما أعطى هذه التعليمات يقول "***معتدلاً صاحياً***" أي مليئاً بالذكاء، عينه على كل مكان، ونظرته ثاقبة، لأنه توجد أسباب كثيرة تُظلم عين الذكاء، الحماس الخاطئ، الهموم ازدحام الأعمال، وأشياء أخرى كثيرة تظهر فجأة من كل جانب. الأسقف يجب أن يكون الشخص الدائم السهر على رعيته، الشخص الذي لا يقلقه فقط ما يمسه، بل ما يمس الآخرين. يجب أن يكون ساهراً على الدوام، له روح متوهجة، روح الرئيس الحربي الذي يتفقد جيشه ليلاً ونهاراً، يجب أن يتعب ويهتم بالجميع. "***صاحياً، عاقلاً، مضيفاً للغرباء***" ولما كانت هذه الصفات تناسب أيضاً عامة المؤمنين البسطاء، وبذلك يكون هؤلاء مساوين للأساقفة، لذلك أراد الرسول أن يميزه بصفة يشترطها فيه لتتوافر عنده دون الآخرين فقال: "***إن يكون صالحاً للتعليم***" هذه الصفة لا يطالب بها المؤمن من أفراد الرعية، وإنما خص به من أخذ على عاتقه أمانة الأسقفية. "***غير مدمن للخمر***"، أي غير سكير ومستسلم للخمر، فالسكر يؤدي بصاحبه إلى الوقاحة والشراسة. "***ولا ضراب***" لا يقصد الرسول هنا الضرب بالأيدي، إذا ماذا يعني بهذه العبارة؟ يوجد أناس يصدمون ضمائر أخوتهم ويلطمونها بلا سبب، وأعتقد أن هذا ما يقصده من هذه العبارة "***ولا طامع بالربح القبيح بل حليماً غير مخاصم ولا محب للمال، يدبر بيته حسناً، له أولاد في الخضوع بكل وقار***" إذا كان الإنسان المتزوج يهتم بأمور العالم، فإن الأسقف على عكس ذلك يجب ألا يهتم بهذه الأمور فكيف يقول الرسول "***بعل امرأة واحدة***".

كثيرون يؤكدون أنه يعني ألا تكون للأسقف سوى زوجة واحدة. وإذا ما وجد ما هو خلاف ذلك، فلا يفوتنا أن نعرف أن هناك من هم متزوجون، ولكنهم يعيشون كما لو كانوا غير متزوجين. والرسول كان محقاً فيما قاله لملائمته مع الأوضاع التي كانت قائمة حينذاك، ويمكن بالإرادة الحسنة ألا يؤخذ من الأمور سوى الحسن منها. كما هو الحال بالنسبة للأغنياء الذين قد يصعب دخولهم ملكوت السماوات، إلا أنه رغم ذلك كثيرون منهم قد دخلوا الملكوت. هذا ما يمكن حدوثه أيضاً في مجال الزواج.

ماذا تقول يا بولس؟ عندما تكلمت عن واجبات الأسقف، قلت أنه يجب ألا يكون مدمناً للخمر بل مضيافاً وقد كنت تعني صفات أكبر وأسمى من ذلك بكثير. لماذا لم تقل أن الأسقف يجب أن يكون ملاكاً، ولا يهتم بأي أمر عالمي، وأن يسلك حسب التعاليم العظيمة التي للسيد المسيح والتي تتفق مع منصبه، كأن يكون مصلوباً ونفسه دائماً بين يديه؟ ويلاحظ هذه العبارات: "***الراعي الصالح يبذل نفسه من أجل خرافه***" (يو 10: 11) وأيضاً "***من لا يحمل صليبه ويتبعني فلا يستحقني***" (مت 10: 38) لماذا لم تقل له أنه يجب أن يكون خارجاً عن العالم؟ لماذا لم تطلب منه ما تطلبه من أهل العالم؟ إذ تقول لهم "***أميتوا أعضاءكم***" التي هي على الأرض (كو 3: 5) وأيضاً "***لأن الذي مات قد تبرأ من الخطية***" (رو 6:

7) وأيضاً "***ولكن الذين هم للمسيح يسوع قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات***" (غلا 5: 24) وما قاله السيد المسيح نفسه "***فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذاً***" (لو 14: 32). حقاً إنها كلها آمال جميلة يحب الرسول أن تكون متوافرة جميعها لدى الأسقف، إلا أنه لم يقدر أن يتمسك بطلبها، إذ أنه يعرف وقتذاك أنها لا تتسنى إلا لنفر قليل من هذه النماذج، والمطلوب عدد كبير من الأساقفة لإدارة الكنائس ورعايتها في كل مدينة، وكانت الكنائس معرضة للفخاخ، لذل أكتفي بطلب فضائل متوسطة عادية وليست سامية ولا سمائية، فكون الإنسان يكون معتدلاً حذراً، ذا أخلاق حميدة، فهذه كلها في عداد الفضائل العامة.

"***له أولاد في الخضوع بكل وقار***" لأن بيته يجب أن يكون هو القدوة، والمثل الذي يقتدي به، لأن الأسقف الذي لا يطاع من ابنه، هل يمكن أن يصدق أنه يطاع من الغرباء؟ "***يدبر بيته حسناً***" الوثنيون أنفسهم يقولون: إن من يعرف أن يسوُس بيته يستطيع سريعاً أن يكون رئيساً ناجحاً. وكما أنه بالمنزل، الأولاد، الزوجة، والزوج فوق الكل يشكلون سلطة متدرجة، هكذا في الكنيسة يوجد في كل مكان أولاد ونساء، وخدم، وإن كان لرئيس الكنيسة شركاء تحت سلطته، فرئيس العائلة له زوجته أيضاً. وكما أنه من أعمال الراعي في الكنيسة رعاية وتدبير معيشة الأرامل والعذراى، هكذا رئيس العائلة أيضاً تقع عليه مسئولية رعاية جوارية وبناته كل ما في الأمر أن المنزل أسهل قيادة من الكنيسة، كيف يتسنى لمن لا يعرف أن يقود الأسهل، معرفة قيادة الكنيسة بأكملها؟ يقول الرسول: "***وإنما إن كان أحد لا يعرف أن يدبر بيته فكيف يعتني بكنيسة الله***" (1تي 3: 5).

**ثانياً: لا يجب أن يكون الأسقف حديثاً في الإيمان**

"***غير حديث الإيمان***" (1تي 3: 6) هنا لا يقصد الرسول حديث السن بل حديث العقيدة، ويقول في مكان آخر: "***أنا غرست وأبلوس سقى لكن الله كان ينمي***" (1كو 3: 6)، إذن فالرسول كان يقصد المنتصر حديثاً، وإلا ما الذي كان يمنعه من أن يقول حديث السن، ولماذا هو بنفسه قد أقام تيموثيئوس أسقفاً مع أنه كان شاباً حديث السن؟ ويظهر ذلك في قوله: "***لا يستهن أحد بحداثتك***" (1تي 4: 12) لأنه كان يعلم عنه أنه فاضل جداً، وكامل الخلق، لذلك شهد له بشهادات ممتازة، "***وأنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة***" وأيضاً استعمل خمراً قليلاً من أجل أسقامك الكثيرة مما يثبت أن تيموثيئوس كان مولعاً بالصيام. وواضح أن هذه الشهادات والتوصيات، لا توجه إلا لشخص تقي جداً. ونظراً لأن كثيراً من الأمم اعتنقوا الإيمان واعتمدوا، لذا فإن الرسول يحذر من حديثي الإيمان، أي حديثي العقيدة لممارسة أعمال السلطة. لأن الذي يصبح معلماً قبل أن يكون تلميذاً، سيكون مصيره سريعاً الضلال، لذلك يضيف

الرسول ***لئلا يتصلف فيسقط في دينونة إبليس*** "(1تي 3: 6) أي يخضع للعقوبة التي استحقها إبليس نتيجة لكبريائه.

***"ويجب أيضاً أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج لئلا يسقط في تعيير وفخ إبليس*** " (1تي 3: 7) وإلا سيكون مهاناً منهم، ولأجل باعث مشابه قال أيضاً ***"بعل امرأة واحدة***" وفي مكان آخر قال: ***"لأني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا في ضبط النفس من الشهوات"*** (1كو 7: 7). وحتى لا يضيق الطريق إذا تطلب فضيلة قاسية، لم يطلب سوى فضيلة معتدلة، لإمكانية الوصول إلى عدد من المدبرين يغطي به الاحتياجات، إذ أن الأمر كان يتطلب مدبراً لكل مدينة، ويتضح ذلك في قوله لتيطس ***"وتقيم في كل مدينة قسوساً كما أوصيتك***" (تي 1: 5) ولكن لماذا؟ إذا كان له شهادة حسنة وسمعة، وإطراء مشهور، ولكن في حقيقته ليس كما يظن فيه؟ إنه لأمر صعب فعلاً، إذ قد يحدث أيضاً أن تكون له حياة مستقيمة، ومع ذلك لا يمكن الوصول بسهولة لشهادة حسنة من الأعداء. لذلك لم يقل الرسول ***"يجب أن تكون له شهادة حسنة***" بل قال ***إن تكون له أيضاً شهادة حسنة***" أي أنه لم يذكر هذا الشرط بصفة مستقلة بل أورده ضمن الشروط الأخرى، ولم يفصله قط عنها. وماذا عن الذين يتكلمون رديئاً بلا باعث سوى الحسد وبالذات الوثنيين؟ ومع ذلك فإذا وجد هؤلاء فهم أيضاً يحترمون الحياة بلا لوم. كيف يكون ذلك؟ اسمعوا ما يقوله الرسول عن نفسه ***"بصيت رديء وصيت حسن***" (2كو 6: 8)، ومن عبارة بصيت رديء يتضح أنه ليست حياة الرسول هي التي كانت تهاجم بل عظاته. لقد أتُهم الرسل بالتضليل والسحر بسبب تعاليمهم، إلا أن حياتهم لم تهاجم.

لماذا لم يجرؤ أحد أن ينسب لهم الوقاحة أو السفاهة أو الطمع، بل كل ما نسب إليهم أنهم مضللون، الأمر الذي لم يمس سوى تبشيرهم؟ لأن الذي تلمع حياته بالفضيلة يكتسب احترام الجميع حتى الوثنيين أنفسهم، لأن الحقيقة كفيلة بأن تسكت حتى أعداءنا. وكيف يقع في الفخ؟ بوقوعه دائماً في نفس أخطائهم، فعندئذ لا يتركه الشيطان، بل سرعان ما ينصب له فخاً آخر وسرعان ما يدينونه هم أيضاً. وإذا كان يجب أن تكون له شهادة حسنة من الأعداء، فيجب أن تكون بالأكثر من الأصدقاء. وكبرهان على أن الحياة بلا لوم لا يمكن وصفها بالذبول، اسمعوا ما يقوله السيد المسيح: ***فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السماوات"*** (مت 5: 16). ولكن ما هو الوضع بالنسبة لإنسان مطارد بسوء النية؟ هذا يمكن حدوثه إلا أنه لا يجب أن يوضع في مرتبة الجدارة. إذ توجد مخاوف كثيرة، يقول الرسول يجب أن يكون الأسقف القادم ذا صيت حسن حتى عند الوثنيين، لأن أعمالكم يجب أن تضئ، كما أن الكفيف يخجل من مجادلة العامة بقوله أن الشمس مظلمة، هكذا لا

يمكن التشنيع بإنسان شريف تماماً، ما عن افتراء الوثنيين عليه، فسيكون بسبب عقيدته، أما حياته فلن يتمكنوا من الهجوم عليها، بل الكل يشيد بها ويحبها.

**ثالثاً: أمثلة حسنة**

لنعش إذن بهذه الكيفية التي لا يجدف معها على اسم الله، ولا نعطى المجد العالمي اعتباراً، ولا ننجذب إلى الصيت الرديء ***"تضيئون بينهم كأنوار في العالم"*** (في 2: 15) الله أرسلنا لكي نكون أنوار، ولكي نصير كالخميرة. حتى نعلم الآخرين، ونعيش كملائكة بين البشر. والرجال بين أطفال صغار، وكأناس روحانيين بين أهل العالم الحاضر، فيستفيدون منا، مثل بذور تثمر ثماراً وفيرة، لذلك تضئ حياتنا، وتظهر أعمالنا، ويتمجد إلهنا. إذا عشنا كمسيحيين بالحق، وسالكين بمقتضى تعاليم سيدنا، متقبلين التعرض للجشع والظلم، نبارك في الإهانات، نرد الشر بالخير، إلى آخر هذه الصفات والفضائل المسيحية التي لو توافرت لنا فهي كفيلة بأن تقود أي شخص إلى التقوى مهما كان متوحشاً، ولن يبقى بعد حولنا وثنيون، ولن ندخل مع أحد في مجادلات أو مباحثات، إذ سينجذب الكل إلى السيد المسيح الذي نعبده بقلوبنا ونمجد اسمه بحياتنا.

افهموا ذلك جيداً. بولس كان بمفرده عندما رد عدداً كبيراً من الناس إلى المسيح. لو تشبهنا به لنجحنا في كسب الكثيرين للمسيح، واليوم عدد المسيحيين أكثر بكثير من الوثنيين. في كافة الفنون الأخرى نجد أن معلماً واحداً له مائة من الصبيان يعلمهم، ونحن هنا معلمون كثيرون، والمفروض أن يكون لنا عدد كبير من التلاميذ، إلا أننا لا نجد من يرغب في الانضمام إلينا، لأن الذين يرغبون في التعليم يختبرون فضائل معلميهم، فعندما يلمسون فينا أي نقيصة مثل السعي وراء السلطة والتحكم. أو شهوة الشهرة والمديح، فكيف يقبلون إلينا، أو يحبون مسيحيتنا؟ هم يرون فينا حياة جديرة باللوم، نفوساً عالمية مثلهم تماماً بل ربما أكثر منهم سعياً وراء الثراء ونكون مسحورين به ونشتهيه، جبناء ، نرتجف مثلهم عند التفكير في الموت، نخشى الفقر مثلهم ونضطرب ونقلق ونثور عندما تصيبنا الأمراض، نستسلم مثلهم لسلطان البخل والشح، نشتهي مثلهم المجد الباطل والسلطان العالمي. قولوا لي كيف نتيح لهم أن يؤمنوا وهم يروننا على هذه الحال؟ هل يؤمنون عن طريق المعجزات؟ نحن لا نصنع معجزات! هل بتغيير حياتنا وتجديدها؟ هل بالصدقة؟ لا يوجد أيضاً لدينا شئ من ذلك، لنحاسب أنفسنا ليس فقط على خطايانا بل أيضاً على ضياع الآخرين وهلاكهم.

لنرجع عن ضلالنا، لنشهر، لنصنع من الأرض مدينة سمائية، حتى نستطيع أن نقول بحق ***"فإن سيرتنا نحن هي في السموات"*** (في 3: 20) لنظهر على الأرض كرجال رياضيين أقوياء، قد يقال أنه

كان يوجد بيننا رجال عظماء سيرد الوثني قائلاً كيف أصدق هذا؟ أنا لا أراكم تعملون أعمالهم وتسلكون حياتهم. وبما أننا نطرق هذا المجال، فنحن أيضاً لدينا فلاسفة كبار وكانت حياتهم جديرة بالإعجاب، وأما أنتم فهل بينكم بولس آخر ويوحنا آخر؟ من لا يستمر في جهله عندما يرانا فلاسفة ليس في أفعالنا، وإنما في أقوالنا فقط، الآن نرى من هو مستعد أن يذبح ويذبح لأجل أمور زهيدة، ولأجل اقتناء آنية من الفخار تنطقون ألف حكماً، إذا فقدت طفلاً تفقد وعيك، كم يعوزني أن أتكلم عن الفوضى المحزنة، العرافة الفأل، الاحجبة، الغيبيات، التعاويذ، السحر، إلى آخر هذه العقائد الخرافية التي تشكل جرائم كبيرة في حق الله كفيلة أن تثير غضبه حينما يرانا على هذه الجرأة ونحن نرتكبها بعدما أرسل إلينا ابنه. وماذا؟ أليس من المحزن أنه بمشقة كبيرة يصل عدد قليل من الناس إلى الخلاص الأبدي؟ والذين يهلكون يقولون بارتياح إنهم سوف لا يعانون قدرتهم وحدهم، بل مع عدد كبير معهم، أي ارتياح هذا؟ هل يصدق أن وجود رفقاء كثيرين في نفس المحنة يعانون نفس العقوبة، يعطي عزاء في عذاب الأبدية؟ كيف تبرهنون على ذلك. سأوضح لكم الحقيقة.

قولوا لي إذا حكم على إنسان بالموت حرقاً بالنار ورأى ابنه يحترق معه، والدخان يرتفع من لحمه، ألا يشعر نحوه بألم مميت؟ وإذا كان الذين لم يصابوا بنفس الأذى يشعرون بالرعب ويفقدون وعيهم لمجرد مشاهدة هذا المنظر، فكم وكم تكون حال الذين هم في العذاب؟ لا تستغربوا واسمعوا كلمة الحكيم "***ويقولون لك أأنت أيضاً قد ضعفت نظيرنا وصرت مثلنا***" (أش 14: 10).

هكذا يوجد بين البشر إحساس متبادل فالبعض يشعر ويقاسي مما يقع على الآخرين من ضربات ومما يعانونه من أوجاع. هل هذا عزاء أم هو زيادة في الألم ما يقاسيه الأب عندما يرى ابنه يعاني نفس الآلام التي يعانيها هو؟ والزوج الذي يرى زوجته، بل أي شخص يرى شخصاً آخر؟ أليس هذا يؤلم بالأكثر؟ ولكن آلام الحياة الأخرى لا تشبه آلام هذه الحياة. كلا، بل هي مختلفة تماماً لأن البكاء هناك غير قابل العزاء، الكل يرون بعضهم البعض ويتعذبون معاً هل اشتراك الناس في معاناة المجاعة يخفف من جوعهم؟ وماذا يكون الحال إذا كانت أسرة مكونة من أب وأم وأولاد يعانون نفس الآلام التي نعانيها؟ هل تعزيتنا في أن نرى هؤلاء يتعذبون؟ كلا، كلا، بل إن آلامنا ستكون أكثر شدة فهو ليس بالعذاب الذي يقل نصيب الواحد منه إذا توزع.

اثنان في النار هل يمكن أن يعزي أحدهما الآخر؟ قولوا لي من فضلكم، إذا اعترت أحدكم حمى شديدة، أليست كل التعزيات لا طائل من ورائها؟ نعم، وبلا شك لأن النفس متى يغلب عليها الألم لا تملك أي إمكانية للإصغاء إلى التعزيات. انظروا إلى النساء اللائى فقدن أزواجهن، هل يعزيهن كثرة عدد الأرامل واللائى هن في موقفهن؟ آه! ليتنا لا نتعلق بهذه الآمال الكاذبة، ولنطلب الفداء الصحيح والوحيد،

والذي لا يكون إلا بالندم على خطايانا والسلوك بأمانة وتقوى في الطريق المؤدي إلى السماء، حتى نحصل على ملكوت السماوات بنعمة ومحبة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد والقوة إلى دهر الدهور آمين.

www.orthodoxonline.org

الموعظة الحادية عشر

***"كذلك يجب أن يكون الشمامسة ذوي وقار، لا ذوي لسانين ، غير مولعين بالخمر الكثير ولا طامعين بالربح القبيح، ولهم سر الإيمان بضمير طاهر. وإنما هؤلاء أيضاً ليختبروا أولاً ثم يتشمسوا إن كانوا بلا لوم"***

(3: 8- 10)

التحليل

**أولاً:** واجب الشمامسة.

**ثانياً، ثالثاً:** الاستخدام الأمثل للثروة.

**أولاً: واجب الشمامسة**

الرسول بعد أن ناقش ما يخص الأساقفة ومواصفاتهم، معلناً عن الصفات الواجب توافرها فيهم، مر على الكهنة في صمت ولم يتكلم عنهم بل أنتقل فوراً ليتحدث عن الشمامسة. لماذا؟ لأنه لا يوجد في الواقع فارق كبير بين الأساقفة والكهنة، فالكهنة أقيموا للتعليم، ولكي يكون لهم سلطة في الكنيسة، وما قاله عن الأساقفة إنما هو ينطبق أيضاً على الكهنة، ولا يمتازون عنهم إلا بسلطة السيامة، "***وكذلك الشمامسة***". يطالبهم بنفس الفضائل كيف؟ أن يكونوا بلا لوم، حذرين، مضيفين للغرباء، معتدلين، مسالمين، غير محبين للمال، وأيضاً ذوى وقار لا ذوي لسانين. أي بلا رذيلة مستترة، بلا تصنع، حيث أنه لا يوجد ما يخفض بالنفس قدر التصنع، ولا ما يكدر الكنيسة مثل الرذيلة المستترة، "***غير مولعين بالخمر الكثير، ولا طامعين بالربح القبيح ولهم سر الإيمان بضمير طاهر***" هنا أوضح معنى بلا لوم، ولاحظوا أيضاً كيف يوضح فكرة "***غير حديث الإيمان***" إنه يوضحها بإضافة "***ليختبروا أولاً***" أي أن ما ذكره عند الكلام عن الأسقف يعيده مع إضافة تلك العبارة. ومن عبارة "***ألا يكون حديث الإيمان***" يفهم منهم ألا يكون غريباً، فإذا كانت الخدمة الداخلية في المنزل لا تسند لعبد حديث الشراء، قبل تكرار تجربته لاختبار ذكائه، فكيف يقبل في الصفوف المتقدمة من يحضر من الخارج في كنيسة الله؟

"***أيضاً النساء***" يتكلم عن الشماسات "***ذوات وقار، غير ثالبات صاحيات، أمينات، في كل شئ***" البعض يظن أن الرسول يتكلم عن النساء بصفة عامة، ولكن الأمر ليس كذلك. لماذا إذا أضاف إلى ما قاله أحكاماً تتعلق بالنساء؟ هو يتكلم عن اللائى استحققن الشماسية. "***ليكن الشمامسة كل بعل امرأة***

***واحدة***"[1]. تلاحظون أنه يطالبهم هم أيضاً بهذه الفضيلة لأنهم إن كانوا ليسوا في درجة مساوية للأسقف إلا أنه يلزمهم أن يكونوا مثله بلا لوم وطاهرين. مدبرين أولادهم وبيوتهم حسناً. لأن الذين تشمسوا حسناً يقتنون لأنفسهم درجة حسنة وثقة كبيرة في الإيمان الذي بالمسيح يسوع، في كل مكان يتكلم عن تربية الأولاد، حتى يقي الناس الفضيحة التي تنتج عن إهمال هذا الموضوع. لأنه يقول: ***الذين تشمسوا حسناً يقتنون لأنفسهم درجة حسنة*** " أي درجة أكثر رفعة "***وثقة كبيرة في الإيمان***" ويقول الذين كانوا يقظين في أداء المهام الصغيرة سيصلون سريعاً إلى الوظائف الأعلى.

"***هذا أكتب إليك راجياً أن آتي إليك عن قريب. ولكن إن كنت أبطئ فلكي تعلم كيف يجب أن تتصرف في بيت الله الذي هو كنيسة الله الحي عمود الحق وقاعدته***" خشى الرسول من أن تخور عزيمة تلميذه عندما يتصور أنه سيقوم بكل هذه الأعباء بمفرده، فطمأنه بأنه كتابته له لا تعني أنه لا ينوي المجيء بل سوف يحضر، ولكن إن أبطأ فلا يكون هذا سبب حزن لتيموثيئوس. لقد أرسل له هذه الرسالة لتنقذه من اليأس، وأيضاً لكي يوقظ بها الآخرين ويجعلهم أكثر حماساً، إذ أن إعلان وصوله كان له هيبة كبيرة. لا تندهشوا إذا كان بكلامه هذا يتظاهر بجهله بميعاد ذهابه إليهم، مع أنه يعلم الأمور مسبقاً عن طريق الوحي "***راجياً أن آتي***" لكن إن كنت أبطئ. أقوال تكشف عن جهله بالأمور، لأنه مادام مقوداً بالوحي، ولا يعمل بإرادته منفرداً، فهل يجعل ما سيفعله. ***لكي تعلم كيف يجب أن تتصرف في بيت الله الذي هو كنيسة الله الحي عمود الحق وقاعدته***" هذه الأقوال لا تعني هيكل اليهود، بل تعني الإيمان والتعليم، لأن الحق هو عمود الكنيسة وقاعدتها. ويضيف الرسول قائلاً: "***وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد تبرر في الروح***" (3: 16) هنا تدبير خلاصنا أي التجسد، لا تكلموني عن الأجراس (خر 28) عن قدس الأقداس، ولا عن رئيس الكهنة، عمود العالم هو الكنيسة، تأملوا هذا السر وسوف ترتعشون. إنه سر، سر التقوى بالإجماع وليس موضوعاً يحتاج إلى بحث إذ لا يوجد حوله أي شك. دائماً لاحظوا أن الرسول يسمى التجسد سراً، وهذه حقيقة، لأنه غير مرئي للبشر، ولا للملائكة، وكيف ذلك وقد ظهر في الكنيسة؟ فلهذا يقول: "***بالإجماع عظيم هو سر التقوى***" حقاً عظيم هو هذا السر، الإنسان صار إلهاً، والإله صار إنساناً، إنسان يُرى بلا خطية، إنسان ارتفع إلى السماء وكُرز به للعالم، الملائكة رأته معنا فهذا إذن سر. فعلينا ألا نفشيه ولا نعرضه في كل مناسبة، بل لنسلك حياة جديرة به، الذين أودعوا الأسرار هم عظماء. فإذا أودعنا الإمبراطور سراً، أليست هذه شهادة على صداقته لنا؟ والآن الله أودعنا

[1] ويقصد بذلك أيضاً الشماسات، لأنه شئ ضروري، مفيد، ومطابق لانتظام الأخلاق ألا تتزوج الشماسات سوى مرة واحدة.

هذا السر. سوف تقولون كيف نسميه سراً وهو معروف للجميع؟ كلا، بالتأكيد ليس الكل يعرفه قبل ظهوره كانوا يجهلونه والآن قد ظهر للبشر.

**ثانياً: الاستخدام الأمثل للثروة**

ليتنا نكون جديرين بحفظ هذا السر، الله أودعنا هذا السر العظيم! ونحن لا نودعه خيراتنا، مع أنه هو نفسه يقول لكم أن تضعوها بين يديه، حيث لا يوجد من يغتصبها منكم، حيث لا يفسدها الدود، ولا يتمكن اللصوص من الوصول إليها، هو يعدنا بأنه سيردها لنا مائة ضعف، ولا نصدقه، ومع ذلك إذا أودعنا أمانة بين يدي شخص ما، لا يردها لنا زائدة، وإذا ردها لنا دون نقص نقدر له هذا الصنيع، ولا نطالب بها إذا اغتصبت منه، ولا نحاسبه عليها حتى لو قرضها الدود.

أما الله فيردها لنا هنا مائة ضعف، ويعطينا الحياة الأبدية في العالم الآخر، ومع ذلك لا يودعه أحد خيراته. قد يقال أنه قد يتأخر في ردها. إن تأخيره في درها لنا في هذه الحياة لهو أكبر برهان على سخائه، حتى لا تكون عرضة للحوادث. قولوا لي ألم يترك بولس الأنوال، وبطرس السنارة والشبكة، ومتّى ترك مكان الجباية؟ ألم توضع تحت أقدامهم أموال الجميع؟ ألم تكن النفوس وديعة لديهم، خاضعة لإرادتهم، كخدام لهم؟ كم من أعمال متشابهة تمر بنا اليوم، كم من الناس صغار وسقماء، لا يستخدمون سوى الفأس، يملكون بمشقة القوت الضروري، ونحن نرفعهم أمام أعيننا فوق الكل، ومكرمون من الحكام، وذلك لأنهم يحملون لقب الرهبانية؟ لتعلموا أن ما يعطي هنا ليس ألا القليل، لأن رأس المال يمنح لنا في الدهر الآتي. احتقروا الثراء إذا أردتم امتلاك الثروات. إذا أردتم أن تكونوا أغنياء اجعلوا أنفسكم فقراء. الله لا يريدكم أغنياء بمجهوداتكم الذاتية بل بنعمته.

هو يقول لنا: تنازل عن هذا لأجلي، اهتم بالموضوعات الروحية، حتى تتعلم كيف تعرف قوتي، أهرب من العبودية ونير الثراء، أنت فقير طالما أنت مرتبط بهما، عندما تحتقرهما سيتضاعف ثراؤك، وكل شئ سوف يتكاثر بين يديك، ولن تحتاج إلى ما يحتاجه البشر عامة. ليس الثراء هو أن تمتلك الكثير، بل هو الحاجة إلى القليل. فالملك الذي تزداد احتياجاته لا يفترق عن الفقير، الفقر هو الاحتياج إلى ما ينقصنا، بمعنى أن فقر الملك يقاس بقدر احتياجه لرعاياه. لكن ليس الأمر كذلك بالنسبة للذي صلب جسده. فهو لا يحتاج لأحد، أياديه تكفيه معيشته ***أنتم تعلمون أن حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتهما هاتان اليدان***" (أع 20: 34). ويوضح بولس الرسول هذه الفكرة بقوله: ***كان لا شئ لنا ونحن نملك كل شئ***" (2كو 6: 10)، وهو الذي كان أهل لستره يكرمونه كإله. إذا أردتم أن تحصلوا على العالم،

ابحثوا عن السماء، إذا أردتم أن تنعموا بالخيرات هنا، احتقروها. يقول السيد المسيح ***اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم***" (مت 6: 33).

لماذا تعجبون بهذه الأشياء الصغيرة؟ لماذا هذا الحماس لأجل أمور لا تستحق أي اعتبار؟ إلى متى ستكونون فقراء ومتسولين؟ ارفعوا أنظاركم إلى السماء، فكروا في الكنز الذي تحتويه، اسخروا من الذهب وتعلموا كيفية استعماله. المتعة المحدودة في الحياة الحاضرة، الحياة المعرضة للحوادث، كحبة رمل، أو بالأحرى كنقطة ماء في هوة عميقة، هذه هي الحياة الحاضرة بمقارنتها بالحياة المستقبلة. والموضوع ليس هو الامتلاك وإنما الاستعمال. أنت هنا لست مالكاً، لأنه بمجرد موتك سواء أردت أو لم ترد، خيراتك سيأخذها الآخرون وبدورهم سيسلمونها لآخرين. وهكذا كلنا غرباء ومالك المنزل ما هو إلا مستأجر، ودائماً بعد موته يتمتع بماله شخص آخر، وربما لفترة أطول منه، مع أنه قد كلف نفسه مشقة كبيرة لإقامة هذا المسكن وتجديده. الملكية ليست إلا اسماً فقط. لأنه في الواقع ما نملكه ليس ملكاً لنا. نحن لا نملك سوى ما نرسله أمامنا للعالم الآخر. والباقي على الأرض مرهون بحياتنا، وغالباً ما يهجرنا حتى ونحن أحياء. ما يخصنا هو فقط حسنات النفس، الرحمة والصلاح، الذي يخرج من هذا العالم لا يحمل معه ثراءه. لكنه يمكنه نوال الرحمة. لنرسل بالحرى هذه الخيرات أمامنا لكي تُعد لنا مظلة في المساكن الأبدية.

**ثالثاً: الثروة للاستعمال وليست للتملك**

قولوا لي كم من السادة أمتلك حقلاً، وكم أيضاً سيمتلك. هناك مثل حكيم (والأمثلة الشعبية لا يجب احتقارها إذا احتوت على أفكار حكيمة) أيها الحقل، قل لي ، كم من الناس امتلكوك وكم من الناس سيمتلكونك. وهذا ما يقال أيضاً عن البيوت والنقود. الفضيلة حدها هي التي ستصحبنا في هذه الرحلة الكبيرة، وتسير معنا في الحياة الأخرى. لنحطم أغلالنا ولنطفئ بداخلنا شهوة الثراء حتى نرتبط بشهوة الخيرات المستقبلة، لأن هاتين الشهوتين لا يمكن أن يسكنا نفساً واحدة. لأنه ***"لا يقدر أحد أن يخدم سيدين. أما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر"*** (مت 6: 24).

لنرتبط بأكبر قدر من الحسنات، الحسنات الروحية التي تجعلنا بالحق مكرمين، حتى نحصل على السعادة القادمة. لنكن كلنا مستحقين في المسيح يسوع ربنا، الذي له مع الآب والروح القدس، المجد والقوة والكرامة. الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

الموعظة الثانية عشرة

***"ولكن الروح يقول صريحاً أنه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين. في رياء أقوال كذابة موسومة ضمائرهم. مانعين عن الزواج وآمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق. لأن كل خليقة الله جيدة ولا يرفض شئ إذا أخذ مع الشكر. لأنه يقدس بكلمة الله والصلاة".***

(4: 1- 10)

التحليل

**أولاً:** الهرطقة تظل في تردد دائم، المانيون، الإنكراتيون، المركيون.

**ثانياً، ثالثاً:** الطقوس اليهودية أدت دورها في حينه، الإيمان والتقوى.

**رابعاً:** ضد البخلاء.

**أولاً: الهرطقة تظل في تردد دائم**

الذين لهم إيمان يرسون على مرسى آمن صلب، بينما الذين فقدوا الإيمان لا يمكنهم الرسو في أي مكان، بل يظلون متجولين هنا وهناك مقترفين أخطاء عديدة، وأخيراً يقعون في هوة الهلاك، والرسول سبق أن أوضح ذلك عندما قال: ***انكسرت بهم السفينة من جهة الإيمان أيضاً*** " والآن يضيف ***"ولكن الروح يقول صريحاً أنه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مضلة"*** يقصد الرسول بهذه العبارة المانيين أتباع ماني والإنكراتيين ، والمركيين، وعن كل هذه المعتقدات. يقول الرسول: ***في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان***". تلاحظون أن السبب في كل هذه الشرور التي يتنبأ بها إنما هو البعد عن الإيمان. وماذا تعني كلمة "صريحاً"؟ تعني جلياً واضحاً، بلا نزاع ولا مناقشة.

يقول: لا تندهشوا إذا كان اليهود أيضاً ابتعدوا عن الإيمان، إذ سيأتي زمن يحدث فيه أن الذين حصلوا على الإيمان سوف يكونون أردأ حالاً، فهم لا يمتنعون عن الأطعمة فقط بل عن الزواج أيضاً، مطبقين عقائدهم السيئة والمنحرفة على كل هذه الأمور.

الرسول لا يقول هذا الكلام عن اليهود، لأنه كيف يكون الكلام عنهم وقد قال: ***في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان"***. هذا الكلام قاله عن أتباع "ماني" ومعلميهم، وهو يسميهم أرواحاً مضلة، وهذا حق، لأن الذي أوصى إليهم بهذه التعاليم الفاسدة إنما هي الأرواح المضلة. وماذا يعني بهذه الكلمات ***في رياء أقوال كاذبة***"؟ يعني أنهم لا يروجون أفكارهم هذه بجهل أو لا يعلمون ماذا يفعلون ولكنهم يروجونها بمكرهم عارفين ما هو حق ولكن وسموا ضمائرهم أي يعيشون حياة فاسدة. ولماذا لم يتنبأ سوى عن هؤلاء

الهراطقة؟ وهم ليسوا الوحيدين، فالسيد المسيح له المجد قال "***لابد أن تأتي العثرات***" (مت 18: 7).وفي موضع آخر تنبأ عن الزوان الذي ينبت في حقل رب البيت. لكننا بالحقيقة نعجب لنبوات بولس هذه فقد تنبأ بحدوث هذه البدع والهرطقات قبل حدوثها، بل أنه قد حدد الوقت الذي ظهرت فيه.

لا تندهشوا يا أحبائي إذا وجدتم بيننا الآن في الزمن الذي سادت فيه تعاليم الإيمان، أناساً يحاولون الانزلاق إلى تلك العقائد الفاسدة، ورأيتم من هم بعد زمن من تثبيت الإيمان يتركونه ويهجرونه. "مانعين عن الزواج، آمرين أن يمتنع عن أطعمة" ولماذا لم يتكلم عن الهرطقات الأخرى؟ إنه أشار إليها فقط بهذه الكلمات: "***أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين***" فهو لم يرد أن يغرسها في النفوس في ذلك الحين، واكتفى بالإشارة إلى ما بدأ يظهر بشأن الأطعمة. "***التي خلقها الله للمؤمنين وعارفي الحق***" هل نفهم أنه لم يخلقها لغير المؤمنين؟ كيف ذلك أليس هم الذين ابتعدوا عنها بالشرائع التي وضعوها بأنفسهم؟ وكيف هل الحياة الشهوانية غير ممنوعة؟ وبشدة، لماذا والأطعمة مخلوقة لكي نستعملها؟ لأن الله خلق الخبر وحرّم الشراهة. وكذلك خلق الخمر وحرّم الإفراط ليس لأنها غير طاهرة في حد ذاتها، بل لأن الإفراط فيها يثبط النفس، "***لأن كل خليقة الله جيدة، ولا يرفض شئ إذا أخذ مع الشكر. ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً***" (تك 1: 31).

وبقوله خليقة الله، يقصد جميع الأطعمة، ومسبقاً يدحض هرطقة الذين يعتقدون بأزلية المادة. ولكن إذا كانت المخلوقات طاهرة لماذا يضيف "***لأنه يقدس بكلمة الله والصلاة***" ؟ والذي يقدس هو ما يكون أصلاً غير طاهر. ليس الأمر كذلك لأنه يتكلم هنا عن الذين يعتقدون أن بعض الأشياء دنسه في ذاتها. فالرسول يعرض صورتين، الأولى ليس هناك شئ من خليقة الله دنساً، والثانية إن كل شئ ما قد صار دنساً، فعلينا أن نقدسه برسم إشارة الصليب، مع الشكر لله وتقديم المجد له، فينزع عنه كل دنس.

قد يقال: هل يمكننا تحليل أكل حتى ما ذبح للأوثان؟ نعم إذا كنتم تجهلون أنه ذبح للأوثان، أما إذا كنتم تعلمون وتستعملونه تكونون غير طاهرين، ليس لأنه ذبح للأوثان، ولكن لعلكم بتحريم أية شركة مع الشياطين، ومع ذلك لم تقدسوا هذه التعاليم، عدم الطهارة ليس في الشيء ذاته، ولكنه ناتج عن حكمكم وعدم طاعتكم. إذن لحم الخنزير ليس غير طاهر؟ نعم إذا أخذناه مع الشكر ومع رسم إشارة الصليب، وهكذا كل طعام آخر. إن الإرادة هي التي ليست طاهرة عندما لا نقدم الشكر لله.

***إن فكرة الأخوة بهذا تكون خادماً صالحاً ليسوع المسيح متربياً بكلام الإيمان والتعليم الحسن الذي تتبعته***" ماذا يقصد الرسول؟ يقصد الرسول ما ذكره آنفاً عندما قال إن الامتناع عن هذه الأطعمة هو من عمل الشياطين، لأنها تقدست بكلمة الله والصلاة. "***متربياً بكلام الإيمان والتعليم الحسن الذي تتبعته، وأما الخرافات الدنسه العجائزية فارفضها وروض نفسك للتقوى***" (6، 7). "إن فكرة الأخوة" بهذا

تلاحظون أن الرسول هنا لم يستخدم قط السلطة المستبدة بل يستخدم الرقة في كلامه إذ يقول "إن فكرت" لم يقل إن أمرت، إن فرضت. بل إن فكرت قدمها لهم كما لو كنت تعرض رأياً وتثير مسامرة حول الإيمان. يقول أيضاً "متربياً" أي مظهراً التمسك. ودوام الحماس للتعليم الصحيح. لأنه مثلما نطلب خبزنا اليومي، هكذا نتلقى بصفة مستمرة كلمات الإيمان التي هي بالنسبة لنا غذاء أبدي، نتغذى بها ونهضمها، نرددها ونتأملها بدون انقطاع، فهي غذاء ثمين.

ثانياً: الطقوس اليهودية أدت دورها في حينه

"وأما الخرافات الدنسه العجائزية فأرفضها وروض نفسك للتقوى" ما هي هذه الخرافات؟ الملاحظات اليهودية يسميها خرافات، وهي بالتأكيد هكذا، سواء لأنها مضافة إلى كلام الله، أو لأنها لم تأت في حينها. الذي يأتي في حينه يفيد وغير ذلك لا يكون فقط غير مفيد، بل ضاراً.

تخيلوا رجلاً يبلغ من العمر أكثر من 20 سنة ويرضع من مرضعة، أليس هذا أمراً مضحكاً؟ هذا هو المعني الذي يقصده الرسول بقوله، إن هذه التعاليم هي عمل أثم وجدير بالنساء العجائز، لأنها من زمن آخر وتشكل عقبة في طريق الإيمان، وانحدار النفس إلى مخاوف هذه الخرافات بعد أن تسامت بالإيمان إلى أعلى، لهو أمر آثم ومؤسف حقاً.

"روض نفسك للتقوى" أي على الإيمان الطاهر، الحياة المستقيمة إذ هنا تكمن التقوى. إذن نحن في حاجة للترويض. ثم يواصل الرسول "لأن الرياضة الجسدية نافعة لقليل" البعض يظن أنه يتكلم هنا عن الصوم، ولكن هذه الفكرة بعيدة عنا، فالصوم ليس رياضة جسدية بل روحية لأنه لا يغذي الجسد. بل يعمل على إنهاكه وإضعافه. أما الرياضة الجسدية فنافعة للجسد "نافعة لقليل" على حد قول الرسول. إذن الرسول هنا في كلامه عن الرياضة الجسدية لم يقصد قمع شهوات الجسد والصوم، نحن في حاجة لترويض أنفسنا. الرياضة الجسدية لا ينتج عنها سوى بعض الفوائد للجسد فقط، وأما التي للتقوى فهي تعطي ثماراً للمستقبل. ونحن نجنيها في هذا العالم وفي السماء، ولذلك قال الرسول عن الرياضة الروحية أي التقوى ***"ولكن التقوى نافعة لكل شئ إذ لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة"***.

***"صادقة هي الكلمة"*** أي حقيقية لهذا العالم والعالم الآخر[1] تأملوا كيف يردد الرسول هذه العبارة، ليس لأنه في حاجة لإثبات بل للتأكيد، لأنه يراسل تيموثيئوس نعم نحن نعيش هنا على هذا الرجاء السعيد. الذي يعمل باستقامة وضميره بلا لوم، يشعر بالسعادة حتى في هذا العالم، كما أن الشرير لا

[1] يعلق بهذا النص على نص الفقرة السابقة: "التقوى نافعة لكل شئ إذ لها موعد الحياة الحاضرة والمستقبلة".

يعاقب فقط في الحياة المستقبلة، بل هنا أيضاً يعيش دائماً في خوف لا يجسر أن ينظر إلى أي شخص بارتياح، بل بارتباك وجزع. أليست حقيقة أن اللصوص والجشعين يعيشون في قلق أن يرفعوا أنظارهم دون قلق حتى إلى الشمس؟ وهل هذه حياة؟ كلا، بالتأكيد إنه موت مؤلم. ولذلك يقول الرسول ***لأننا لهذا نتعب ونعير لأننا قد ألقينا رجاءنا على الله الحي الذي هو مخلص جميع الناس ولا سيما المؤمنين***".

كما لو كان يقول لماذا نفرض على أنفسنا كل هذه الآلام إلا إذا كنا نرجو وننتظر الخيرات العتيدة؟ لماذا الكل يهيننا؟ كل ما قاسيناه أليس مرعباً؟ ألم نقاسي دون سبب الشتائم، والإهانات، والآلام من كل نوع؟ فإذا كنا لم نلق رجاءنا على الله الحي، فلماذا تحملنا كل ذلك؟ إذا كان الله يخلص غير المؤمنين في هذا العالم، فكم بالأكثر يخلص المؤمنين في العالم الآخر، أي خلاص يتكلم عنه الرسول؟ خلاص العالم الآخر، "الذي هو مخلص جميع الناس ولا سيما المؤمنين" أي أنه خصهم بعناية أكبر. وقد يقال كيف إن الله هو مخلص المؤمنين؟ أنه لو لم يكن هكذا لما حفظهم من الضياع عندما هوجموا من كل جهة. في هذه الحياة يشجع المؤمن على مواجهة المخاطر، وعدم الاستسلام أمام الضغوط، طالما أن له إله طيب بهذا المقدار، ولا يطلب معونة خارجية بل يحتمل كل شئ بقلب طيب ومتسامح.

وفي النهاية تأتي الأيام الأخيرة، يقول الرسول "***وفي الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان، تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين، في رياء أقوال كاذبة، موسومة ضمائرهم مانعين عن الزواج***" قد تقولون هل نمتنع نحن أيضاً عن الزواج؟ كلا، بالتأكيد حاشا لله، نحن لا نمنعه عمن يرغبونه، أما الذين لا يرغبونه فنشجعهم على البتولية. المنع شئ وترك الإنسان ليكون سيد اختياره شئ آخر "***وآمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق***" حسناً قال الرسول "عارفي الحق" في القديم لم يكن الوضع سوى رموزاً، إذ لا توجد لحوم غير طاهرة بطبيعتها، إنما تصبح غير طاهرة بالنسبة لضمير من يتناولها. ولماذا إذن حرم الله على اليهود الكثير من الأطعمة؟ لكي يردع شهواتهم وشراهتهم المفرطة. إنه لو كان قد قال لهم بدون تحديد. لا تصنعوا لكم وجبات شهوانية، لما كانوا قد امتنعوا عن أكل أي شئ لذلك وضع هذا النظام في صورة أوامر ووصايا ملزمة تفرضها الشريعة حتى يكون أكثر حذراً وخوفاً. ولكي تعرفوا كم كانوا فريسة لشهوات بطونهم. ويوجد أيضاً سبب آخر، الله إذ كان يعلم أن اليهود سيعيشون في بلاد متزمتة حرّم عليهم أن يأكلوا حيوانات معينة.

## ثالثاً: الإيمان والتقوى

ضعوا هذه الأمور تحت أعينكم وتأملوها، فهي التي يقصدها الرسول بهذه الكلمات "***متربياً بكلمات الإيمان***" تأملوها، ولا تكتفوا بأن تحثوا عليها الآخرين بل تأملوها بأنفسكم "***متربياً بكلام الإيمان والتعليم***

***الحسن الذي تتبعته، وأما الخرافات الدنسه العجائزية فارفضها"*** ولماذا لم يقل معلمنا بولس "امتنع عنها" وإنما قال "ارفضها" لا تتنازلوا وتجادلوا هؤلاء الأشخاص ولكن حثوا الذين وثقتم فيهم على رفض هذه التعاليم. لأنه ليست هناك آية فائدة من النضال مع الذين انحرفوا عن طريق الله، إلا إذا كان الأمر سيفضى إلى بدعة حتى لا يشك أننا نرفض المجادلة عن خوف وعجز. "***وروض نفسك على التقوى***" لأن التقوى تقود إلى الحياة الطاهرة والسلوك الممتاز. إن الذي يروض نفسه على المصارعات الرياضية يتصرف في كل شئ كرياضي حتى في غير الأوقات المخصصة للمصارعة، محتملاً متطلبات الزهد، وقادراً على بذل الكثير من الجهد. يقول النص "***روض نفسك على التقوى لأن الرياضة الجسدية نافعة لقليل ولكن التقوى نافعة لكل شئ إذ لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة"*** لماذا ذكر هنا الرياضة الجسدية؟ لكي يظهر بالمقارنة سمو الأخرى، لأن الرياضة الجسدية تتطلب متاعب كثيرة دون فائدة ذات قيمة، بينما رياضة الروح تأتي بالفوائد الأزلية التي بلا حدود. وبالمثل يقول للنساء أن يتزين لا بضفائر، أو ذهب أو لألئ أو ملابس كثيرة الثمن، بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة.

"***صادقة هي الكلمة ومستحقه كل قبول***" لأننا لهذا "***نتعب ونعير***" كان بولس يتحمل الإهانات، وأنتم تجدون أنها غير محتملة، كان بولس يتحمل المشقات، وأنتم تريدون أن تعيشوا في التراخي الذي لو كان عاش فيه لما كان قد حصل على هذه الخيرات الكبيرة. لأنه إذا كانت خيرات هذه الحياة الزائلة والقابلة للفساد ، لا يمكن الحصول عليها دون عمل وعرق فكم بالحرى الخيرات الروحية! قد يقال يوجد كثيرون يحصلون على خيرات هذه الحياة بالميراث، حتى في هذه الحالة، فإن حراسة وحفظ الثروة لا يتجرد من المشقة، والثرى لا يقاسى من المتاعب والأحزان أقل من الآخرين، وفضلاً عن ذلك كم من الناس بعد كثرة من المتاعب والهموم شاهدوا ثرواتهم تتلاشى حيث هاجمتها بعنف من مدخل الميناء عاصفة من الهواء مفاجئة أغرقتها ومعها أجمل أموالهم. بالنسبة لنا لا يحدث شئ من هذا لأن الله هو صاحب الوعد "***والرجاء لا يخزى***" (رو 5: 5).

ألا تعرفون يا من تهتزون بأمور هذه الحياة، كم من الناس بعد أعمال لا يمكن حصرها لم يجنوا ثمرتها، سواء بسبب الموت الذي سبق فاختطفهم أو حدوث نكبة، أو أمراض فتكت بهم أو مفترين هاجموهم، أو أي سبب آخر (الحوادث البشرية كثيرة) أضحوا بعدها فارغي الأيادي؟ قد تردون قائلين ألا ترى الذين ينجحون وبمجهود بسيط يحصلون على خيرات كثيرة؟ أية خيرات؟ الثراء، البيوت، قدر وقدر من مساحات الأراضي، قطيع من العبيد، وزن ثقيل من الذهب والفضة؟ هل هذه هي التي تسمونها ثروات؟ وأنت يا من تعلمت فلسفة السماء، ألا تعطي وجهك وتخجل من أن تتذوق الأشياء الأرضية

وتسميها خيرات وهي لا تستحق حتى الكلام عنها؟ لو كانت هذه الخيرات لكان بالتالي من يمتلكونها يدعون أخياراً، لأن الذي يمتلك الخير كيف لا يكون خيراً.

آه: قولوا لي عندما يكون هؤلاء الأغنياء ظلمة ولصوصاً هل نقول عنهم إنهم أخيار؟ فإذا كان الثراء المكدس غشاً تعتبرونه خيراً. فبقدر ما يزداد، يزداد الحكم معه على من يمتلكه بالصلاح وعلى هذا الأساس فإن الإنسان الشره الذي بلا مقود هو إنسان خير، وإذا كانت الثروة صالحة، فالذي ينميها يزداد صلاحه، بقدر ما يزداد غشه، ألا تلاحظون التناقض؟ قد تقولون وإذا كان لم يسلب أحداً؟ كيف يمكن ذلك والشهوة سيئة.

والسيد المسيح أوضح ذلك بقوله: ***اصنعوا لكم أصدقاء من مال الظلم***" (لو 16: 9) وإذا كان ورث عن أبيه؟ هذا حسن، فهو ورث ثمرة الظلم. إن أسرته لم ترث الثراء من آدم، والمحتمل أن الكثير من أسلافه عاشوا مجهولين، ثم وجد بينهم من أثرى مغتصباً خير الآخرين.

وهل إبراهيم أقتنى ثروة ظالمة؟ وأيوب الرجل الذي بلا لوم، عال وصادق، التقى الذي امتنع عن كل شر؟ ثروتهما لم تتكون من الذهب والفضة، ولا من العمارات، بل من الأغنام، وثروة أيوب كانت من الله، إنه أثرى في الأغنام ويظهر ذلك بوضوح من النص حيث عدد الكاتب ما حدث لهذا الشخص القديس قائلاً إن جماله، عبيده، وحميره فقدوا، ولم يقل أن اللصوص أتوا لينهبوا ذهبه، إبراهيم كان ثرياً في الخدم. ماذا إذن هل اشتراهم؟ كلا ولهذا يقول الكتاب إن خدمة البالغين ثلاثمائة وثمانية ولدوا عنده. وكان له أيضاً خراف وعجول، كيف إذن تمكن من إرسال حلى من الذهب لرفقة؟ هذا كان قد قدموه له في مصر. ولكنه لم يرتكب عنفاً ولا غشاً.

## رابعاً: ضد البخلاء

وأنتم قولوا لي كيف أصبحتم أثرياء؟ أنا ورثت هذه الخيرات، ومن ورثت عنه ممن استلمها؟ من جدي وذاك ممن تسلمها؟ من أبيه هل تستطيعون بصعودكم إلى عدة أجيال، أن تثبتوا لي أن ثرواتكم شرعية؟ كلا لن تستطيعوا ذلك. إذ يجب أن يكون الجذر والأصل غير ملوثين بالظلم. وكيف؟ لأن الله هو مصدر الأصل، ولم يخلق غنياً وفقيراً، ولم يعط واحد كتلة من الذهب، في غفلة من الآخر، بل سلم للجميع نفس الأرض. وإذا كانت الأرض مشاعة فكيف يمتلك الواحد الكثير من المساحات والآخر لم يحصل حتى على قطعة واحدة؟ سوف تجيب أبي الذي نقلها لي، وهو ممن أستلم؟ من أسلافه، إلا أنه يجب الوصول إلى أول استحقاق.

يعقوب أصبح غنياً، ولكن بالحصول على مكافأة المشاق التي تحملها. ومع ذلك أنا لا أريد أن أبحث في هذه الصعوبات، سواء كانت الثروة نقية من كل سلب أو غير مشروعة أنت غير مسئول عما ورثته من مكاسب غير مشروعة عن والدك. أنت تملك ثمرة السلب، ولكنك لم تسرقها بنفسك، وسأوافقك أيضاً أنه ليس والدك هو الذي سرقها، فقد وجد نفسه مالكاً لهذا الذهب الذي تدفق من باطن الأرض. فهل الثروة صالحة لهذا السبب؟ كلا، بلا شك سوف تقولون أن الثروة ليست رديئة على الإطلاق، هذا إذا كان صاحبها لم يحصل عليها ظلماً، وأعطى جزءاً منها للمحتاجين، ولكن إذا رفض ذلك فهي رديئة ومليئة بالفخاخ، ولكن طالما لم تسبب شراً، هي ليست رديئة حتى ولم تكن سبباً للخير. فليكن، أليس الشر هو الانفراد بأخذ ما يخص الله، والاستمتاع الفردي الأناني بما يخص الجميع؟ والأرض أليست هي ملكاً لله بكل ما تحتويه؟ فإذن مادامت ثرواتنا تخص رب العالم فهي تخص البشر الذين يخدمونه مثلنا، لأن كل ما يخص السيد فهو لاستعمال الجميع. ألا تلاحظون في البيوت الكبيرة، كل شئ موزع بنظام تام، فالغذاء موزع على الجميع بالتساوي، لأنه من مؤونة السيد، وبيته مخصص لرعاية الجميع. وكذلك بالنسبة لما يخص الدولة، فإن المدن والميادين والمتنزهات العامة فهي تخص الجميع، وكلنا لنا فيها نصيب متساو.

تأملوا التدبير الإلهي. الله لكي يخجل البشر، خلق بعض الأشياء للجميع معاً يستفيدون منها بالتساوي كأخوة، مثل الهواء، الشمس، المياه، الأرض، السماء، البحر، النور، النجوم. الخالق أعطى الجميع عيوناً، أجساداً، نفوساً، من نفس الطبيعة، ومع ذلك لا شئ من هذا كله يخجل جشعنا. كما وضع أيضاً أشياء أخرى عامة، الحمامات، المدن والميادين، والمتنزهات العامة. كلها أشياء لا تثير صراعات، الكل يستمتع بها في سلام، ومتى حاول شخص ما أن يأخذ لنفسه شيئاً ليحتكره هنا يبدأ الشجار، كما لو كانت الطبيعة نفسها تسخط لأن الله جمعنا لنعيش في شركة ونحن نتشاجر وننقسم ونجزئ هذه الأشياء لكي نمتلكها، ونتداول هذه العبارات: هذا يخصك وذاك خصني، حينئذ ندخل في مجال المصارعة والألم. وهذا لا يحدث بالنسبة للمنافع العامة، فلا نرى مصارعة ولا شجاراً، لماذا لم نسمع أبداً قضية موضوعها المكان العام؟ لأنه مشترك بين الجميع، بينما نرى في كل لحظة قضايا سببها التنازع على عقار أو نقود. فكل ما هو ضروري أعطى لنا جميعاً من الله مشتركاً، لكننا لا نعرف أن نحافظ على التمسك بروح الجماعة في أشياء قليلة الأهمية. الله سلم لنا كل هذا مشتركاً، لكي يعلمنا كيف نتمتع في شركة مع الآخرين، ومع كل هذا فنحن لم نتعلم بعد.

وكما قلت، كيف يمكن للذي يمتلك الثراء أن يكون صالحاً؟ هذا مستحيل، إلا إذا أعطى من ثروته للآخرين، وإذا تجرد منها فيكون حينئذ صالحاً. وطالما يتمسك بها فهو غير صالح. هل هو خير ذاك الذي يجعلنا في مصاف الأشرار عند الاحتفاظ به، وفي مصاف الأبرار عندما نتجرد عنه؟ إذاً فليس

الخير في امتلاك الكنوز، بل يظهر الإنسان خيراً عندما لا يمتلكها. إذن فإن الثروة ليست خيراً طالما أنك لا تصبح إنساناً باراً إلا إذا رفضتها وكان في إمكانك الحصول عليها أنت لست سيد ذهبك لأنك تعتبره خيراً، وتستسلم للإعجاب به. نق مفهومك، وليكن حكمك سليماً، وستصبح حينئذ إنساناً فاضلاً، تعلم معرفة الخيرات الحقيقية. وما هي؟ الفضيلة، الصلاح، هذه هي الخيرات وليست الثروة. باتباع هذه القاعدة تصبح أكثر سخاء في الصدقة، وإنسان الله بالحقيقة، وموضع احترام وتوقير البشر، على عكس ما لو احتفظت بثروتك. لنصبح فضلاء، حتى نحصل على الخيرات العتيدة في المسيح يسوع ربنا، الذي له مع الآب والابن والروح القدس المجد والقوة، والعزة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

www.orthodoxonline.org

الموعظة الثالثة عشرة

***"أوصى بهذا وعلّم لا يستهن أحد بحداثتك بل كن قدوة للمؤمنين في الكلام في التصرف في المحبة في الروح في الإيمان في الطهارة، إلى أن أجئ أعكف على القراءة والوعظ والتعليم، لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوءة مع وضع أيدي المشيخة"***

(4: 11-14 ؛ 5: 7)

التحليل

**أولاً:** واجبات الأسقف، السلوك الواجب نحو الشيوخ والشباب، نحو السيدات والمسنات والشابات، نحو الأرامل.

**ثانياً:** واجبات الأرملة.

**ثالثاً ورابعاً:** ضد الإفراط في الأكل تصوير مخيف.

**أولاً: واجبات الأسقف**

توجد موضوعات تحتاج لأوامر وأخرى لتعاليم. فإذا أمرت بما يجب أن تعلم به، سيسخرون منك، ونفس الوضع إذا علمت بما يجب أن تأمر به، فعلى سبيل المثال: لا تكن فاسداً، ليس موضوع تعليم بل أمر مشدّد بالتحريم، فهي مادة للأمر. ولكن إذا تحدثت عن بسط الخيرات، أو حفظ البتولية، أو ناقشت موضوع الإيمان، هنا يلزم التعليم. لذا بولس أسس النوعين: يقول "أوص وعلّم" وعلى سبيل المثال، إذا حمل أحداً أحجبة أو ما يشابه ذلك، وهو يعلم أنه يفعل شراً فالموضوع هنا يحتاج إلى صيغة الأمر، أما إذا كان يفعل ذلك بجهل، فهنا يلزم التعليم.

يقول: ***"لا يستهن أحد بحداثتك"*** الملاحظ هنا أن الآب الكاهن يجب أن يأمر ويتكلم بحزم، ولا يعلم في كل الأوقات، الشباب بالنسبة لحداثته دائماً مستهان به لسبق الحكم عليه من قبل العامة. ولهذا يقول ***"لا يستهن أحد بحداثتك"*** لأنه يجب أن يكون المعلم مكرماً. قد يقال: كيف يتفق التمسك بطول الأناة والترفق مع الاستهانة والتحقير؟ نرى أنه في الأمور التي تتعلق بشخصه وتخصه، عليه أن يحتمل معاناة الاستهانة به، لأنه بالتحلي بطول الأناة يكمل التعليم المسيحي. أما فيما يخص الغير، فالأمر على خلاف ذلك، إذ أن الأمر سوف لا يكون ترفقاً وإنما تراخياً وعدم اهتمام إذا أخذ بالثأر عن السفاهة والشتائم والإثارات الموجهة ضده، فمن الحق لومه، ولكن إذا كان الموضوع يتعلق بخلاص الآخرين. فعليه أن يتكلم بسلطة ويجمع ما بين القوة والفطنة، فهو محتاج في هذه الحالة للقوة وليس للوداعة، حتى يتفادى الخسارة العامة ***"لا يستهن أحد بحداثتك"*** لأنه في الواقع من يعيش حياة تتسامى فوق طياشة هذا السن،

فهو يكتسب وقاراً سامياً بدلاً من الاستهانة به "***بل كن قدوة للمؤمنين في الكلام في التصرف في المحبة في الروح في الإيمان المستقيم*** (الأرثوذكسي) ***في الطهارة. مقدماً نفسك في كل شئ قدوة للأعمال الحسنة***" (تي 2: 7) أي أن تكون نموذجاً كاملاً للسلوك، وكصورة مرئية أمام الجميع قانوناً حياً، مثالاً لحياة صالحة وإن يكن لكلامك طابع الرقة، لأن هذه هي صفات المعلم.

"***إلى أن أجئ أعكف على القراءة، والوعظ والتعليم***" الرسول يأمر تيموثيئوس أن يعكف على القراءة ليتنا نسمع هذا الكلام ونتعلم عدم الإهمال في التأمل في الأمور الروحية. يقول أيضاً: "***إلى أن أجئ*** " انظروا كيف يواسيه لأن هذا التلميذ اليتيم محتاج لسيده، ***أعكف على قراءة الكتب الإلهية***". والوعظ والتعليم، "***لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوة***" إنه يتكلم عن موهبة التعليم. "***مع وضع أيدي المشيخة***" وليس من قس بسيط، بل من أسقف، لأنه لم يكن الكهنة هم الذين يقيمون الأسقف، بل الأسقف هو الذي يقيم الكهنة.

***اهتم بهذا كن فيه***" انظروا كيف يعود الرسول ويقترب إلى تلميذه تيموثيئوس بنفس التوجيهات مظهراً له أن هذا هو الموضوع الرئيسي لحماس الذي يعلم.

***لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك***" أي لاحظ نفسك ثم علم الآخرين. "لأنك إذا فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً" لأن الذي يتربى بكلمات التعليم هو أول من يقطف الثمرات، إذ وهو يُعلم الآخرين يلمس بكلامه قلبه هو أولاً. ما قاله الرسول لم يقله لتيموثيئوس وحده بل للجميع، إذ كان الرسول يتكلم هكذا مع شخص كان يقيم الأموات فمن أين لنا أن نصل إلى هذا؟ قال السيد المسيح "***يشبه رجلاً رب بيت يخرج من كنزه جدداً وعتقاء***" (مت 13: 52). ويقول الطوباوي بولس بدوره: "حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاء" (رو 15: 24)، وخاصة أنه مارس هذا بنفسه، عندما كان يتعلم شريعة آبائه عند رجلي غمالائيل. فهو منذ ذلك الوقت كان يعكف على القراءة، وبلا شك كان يوجه لنفسه التحذيرات التي وجهها بعد ذلك للآخرين، أنتم ترونه دائماً يذكر شهادات الأنبياء فاحصاً معانيها الخفية. هكذا كان بولس يعكف على القراءة، والفائدة التي توجد في الكتب ليست بقليلة، ومع هذا فإننا نهملها.

***لكي يكون تقدمك ظاهراً في كل شئ***" هو يريد لتلميذه أن يصل بهذا التقدم والتفوق حتى يكون عظيماً وجديراً بالإعجاب، إذ أن تيموثيئوس كان في حاجة إلى هذا التوجيه. ***لكي يكون تقدمك ظاهراً في كل شئ***" ليس فقط في سلوكه بل أيضاً في أحاديث تعليمه.

"***لا تزجر شيخاً***" (5: 1) هل يقصد هنا الكاهن؟ لا اعتقد ذلك، هو يقصد كل من هو متقدم في السن. كيف ذلك! هل إذا كان محتاجاً للتقويم؟ اسلكوا تجاهه طبقاً لتوجيه بولس، كما تجاه أب ارتكب خطأ، كلموه بنفس الطريقة "***والعجائز كأمهات، والأحداث كأخوة، والحداثات كأخوات بكل طهارة***" الزجر في

طبيعته قاس، وأقول أنه لا يتخذ إلا للضرورة. وإذا وجه من شاب إلى شيخ يكون الخطأ مضاعفاً لكن يمكن أخذ الأمور دون تجريح إذا روعي الحذر في التطبيق باستخدام اللطف.

***الأحداث كأخوة***" ما سبب هذا التوجيه الذي يوجهه بولس لتيموثيئوس؟ لأنه يريد أن يفهمنا أن الشباب متكبر ومعتد، ويلزم أذن هنا تلطيف الزجر بأسلوب معتدل "والحدثات كأخوات" ويضيف "بكل طهارة" لا تتجنبوا فقط العلاقات الآثمة، بل كل ما يثير الشكوك، وحيث أن العلاقات مع الحدثات تثير دائماً الشكوك، ومع هذا لا يقدر الأسقف أن يتجنب التعامل معهن، لذا قال الرسول، "بكل طهارة" ولكن يا بولس لماذا توجه هذه التعليمات لتيموثيئوس؟ يجيب الرسول إنني أفعل ذلك لأن بمخاطبتي معه إنما أخاطب العالم كله، فإذا كان يتكلم هكذا مع تيموثيئوس فلكي يفهم كل منا ما يجب أن يكون عليه، رافضين كل ما يثير الشك غير معطين ظلاً من العذر للذين يريدون الافتراء علينا.

"***أكرم الأرامل اللواتي هن بالحقيقة أرامل***" لماذا لم يتكلم هنا عن البتولية، لم يقل حتى أكرم العذارى؟ على ما يظهر أن البتولية لم تكن قائمة وقتئذ، أو أنهن قد سقطن، إذ يقول: إبليس جذب الكثيرين إلى حاشيته. ***أكرم الأرامل اللواتي هن بالحقيقة أرامل***" لأنها ممكن أن تكون بلا زوج وليست أرملة، كما أن بتولية البتول ليست في عدم زواجها، بل يجب أن تكون بلا لوم مجتهدة في تطبيق واجباتها، هكذا أيضاً بالنسبة للترمل. فإن ما يجعل المرأة أرملة ليس هو فقد الزوج، بل حياة العفة وضبط النفس عن الشهوة والصبر والعزلة. أولئك هن الأرامل اللواتي يطالب الرسول بتبجيلهن بحق. في الواقع أنه يجب إكرام هؤلاء السيدات، بما أنهن وحيدات، ليس لهن رجل يحميهن، وفي المجتمع حالتهن معرضة للوم، ويظهرن سيئات الحظ، ولهذا يريد الرسول أن يكون أن يكن مكرمات جداً من الكاهن ليس فقط لأجل الأسباب التي ذكرت، بل لأنهن جديرات بالوقار.

"***ولكن إن كانت أرملة لها أولاد أو أحفاد فليتعلموا أولاً أن يوقروا أهل بيتهم ويوفوا والديهم المكافأة***" تأملوا حذر بولس في توجيهاته وكيف أنه في نصائحه يدعوا دائماً إلى العلاقات الإنسانية. هو لم يأتي هنا بفكرة كبيرة وسامية ولكن شيئاً في متناول الجميع: "***يوفوا لوالديهم المكافأة***" كيف ذلك؟ أنت تربيت، وكبرت وتمتعت بالكرامة التي تركوها لك، وهم فارقوا هذا العالم، وأنت لم تتمكن بدورك من السداد، لأنك لم تعطيهم لا الحياة ولا الغذاء، ردى لهم هذا المعروف في خلفائهم ، سددي دينك هذا في أولادك ***فليتعلموا أولاً أن يوقروا أهل بيتهم***" الرسول يوضح كل الواجبات في عبارة واحدة إذ يقول: ***لأن هذا صالح ومقبول لدى الله***". وعندما قال: ***اللواتي هن بالحقيقة أرامل***" يوضح ما هي الأرملة الحقيقية في قوله: ***التي هي بالحقيقة أرملة ووحيدة فقد ألقت رجاءها على الله وهي تواظب الطلبات والصلوات ليلاً ونهاراً أما المتنعمة فقد ماتت وهي حية***" كذلك يقول لنا الرسول: التي لم تختار الدنيوية والتي تعيش في

الوحدة، هذه هي الأرملة الحقيقية. وهي التي ألقت رجاءها على الله كما يجب، وانهمكت بالطلبات والصلوات ليلاً ونهاراً، هذه هي الأرملة، وهذا لا يعني أن التي لها أولاد لا تكون بالحقيقة أرملة، لأن الرسول يعجب أيضاً بالتي تربي أولادها. كما يجب عليها، إنما هو يتكلم هنا عن التي ليس لها أولاد، الوحيدة، فهو بعد ذلك يواسيها لحرمانها من الأولاد، يقول لها أنها بالحقيقة أرملة، لأنها ليس حرمت فقط من السلوى التي كان يعطيها لها زوجها، ولكن أيضاً من التي كان يعطيها لها أولادها، ولها الله الذي يعوضها عن الجميع. لأن المحرومة من الأولاد ليست أقل من الأخرى، بل يملأ الرسول بتعزياته الفراغ الذي تعانيه من جراء هذا الحرمان، يقول لها لا تحزني عند سماعك هذه العبارة الخاصة بتربية الأولاد، وأنت ليس لك أولاد، مما يجعلك تعتبري نفسك أقل استحقاقاً، لأنك بالحقيقة أرملة.

## ثانياً: واجبات الأرملة

"**أما المتنعمة فقد ماتت وهي حية**" في الواقع أن هناك كثيرات عندهن أولاد ويفضلن حياة الترمل، لا لكي يحرمن أنفسهن من متع الحياة، بل بالأحرى لكي يعشن أكثر استقلالاً ويعطين لأنفسهن فرصة أكبر للتعلق بالعالم، لذلك يقول لهن بحق "***أما المتنعمة فقد ماتت وهي حية***" لماذا هل يجب ألا تعيش الأرملة في التنعم؟ نعم بالتأكيد وكلام الرسول هنا يؤكد ذلك. لنرى ماذا يفعل الأحياء وما هي حالة الأموات، وفي أي الرتب يجب أن نضعها. الأحياء هم الذي يعملون للحياة العتيدة، أي الحياة الحقيقية. وما هي الحياة العتيدة التي يجب أن نشغل بها أنفسنا دون توقف؟ اسمعوا قول السيد المسيح: "***تعالوا إلى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني***" (مت 25: 34، 35)، هل الأحياء لا يتميزون عن الأموات إلا برؤية الشمس والسماوات، أقول لا ليس هذا هو الفرق، بل هو ممارسة الخير، فإن لم يمارسوه فهم ليسوا أفضل من الأموات.

## ثالثاً: ضد الإفراط

ولتعليمكم اسمعوا كيف يمكن أن نعيش ونحن أموات. يقول الإنجيل "***ليس الله إله أموات بل إله أحياء***" (مت 22: 33) قد يقال هذا لغز آخر. حسناً! فلنوضحهما هما الاثنين. هذا الذي يعيش في التنعم هو ميت مع أنه حي. وكيف؟ لأنه لا يعيش إلا ببطنه وليس بحواسه الأخرى، فلا ينظر ما يجب أن ينظره، ولا يسمع ما يجب أن يسمعه، ولا ينطق بما يجب أن يتكلم به، وما يجب أن يراه ويسمعه ويتكلم به الأحياء، مثل رجل ممدد على سريره، مغلقاً عينيه لا يرى شيئاً مما يمر به، هذه هي حالة الإنسان الذي يعيش في التنعم، أو أنه في حالة أسوأ بكثير. لأن الأول تتساوى عدم حساسيته في الخير

والشر، أما الآخر فلا يحس سوى بالشر، أما إحساسه بالخير فهو لا يزيد عما تحس به الجثة. لا يشغل نفسه بشيء عن الحياة العتيدة، إذن بهذا فهو ميت، إن شهوته تحضنه بين ذراعيها وتقوده إلى مأوى مظلم، في وكر دنس، وتجعله يبقى في الظلمات، كالأموات في قبورهم.

في الواقع عندما يمضي كل وقته على المائدة أو في السكر أليس هو في الظلمات؟ أليس هو ميتاً؟ وحتى في الصباح الذي يبدو فيه صائماً، فصراحة ليس هو بصائم، لأن الخمر التي شربها في المساء لازالت باقية معه، هو فريسة لرغبة عنيفة في الفساد الذي سيزاوله، إذ يمضي السهرة ونصف اليوم في الولائم، يقضي طول الليل وأجمل أوقات النهار في نوم ثقيل. قولوا لي هل يحسب هذا الإنسان في عداد الأحياء؟ وماذا يقال عن عواصف النفس الناتجة عن الشهوة. والتي تنتشر حتى تصل إلى الجسد؟ مثل كتلة من السحاب لا تسمح بشعاع الشمس أن يمر، هكذا الأبخرة الناتجة عن اللذة والخمر تشغل المخ، وتتكاثف به كسحابة عميقة، لا تسمح للعقل أن يظهر ويظل الذي في هذه الحالة في ليل عميق، يالها من عاصفة تعصف بصاحبها من الداخل.

وبالمثل كما يحدث في الفيضانات عندما تجتاز المياه أعتاب المنازل وتجتاحها، نشاهد السكان يسرعون مرعوبين يمسكون الأطباق والجرار، والإسفنج وأشياء أخرى حتى يمنعوا المياه من هدم أساساها، ويضعوا خارجاً كل الأشياء غير المستعملة التي يحتويها المنزل، هكذا الشهوة عندما تنزلق من كل ناحية في النفس تربك القدرات العقلية، وتعجزها من التخلص مما غزاها، لأن الغزو مستمر، والعاصفة مرعبة، لا تنظروا للوجه الضاحك والمضيء، بل ابحثوا الداخل وسوف ترون إنساناً محطماً بالحزن الذي يملأه. ولو كان في الإمكان إخراج النفس من الجسد وعرضها أمام أعيننا، لكنتم رأيتم نفس الشهواني كم هي كئيبة حزينة، مجهده، وبقدر ما يسمن ويغلظ الجسد، تضعف النفس وتجهد.

كما أن قرينة العين إذا غلظت، لا تتمكن الأشعة البصرية من النفاذ منها وغالباً ما يحدث العمى، بالمثل عندما يسمن الجسد فإنه يسد الطريق إلى النفس. وكما أن أجساد الأموات تفسد وتتعفن والدم الفاسد يخرج منها. هكذا نرى في الأشخاص المستسلمين للحياة الشهوانية إنهم يصابون بالزكام والالتهاب، والبلغم والقيء والتكرع، وسأترك الباقي الذي أخجل من ذكره، هنا نتيجة تحكم الشهوات التي تسبب لهم ما لا نجسر عن التعبير عنه. يفوح من أجسادهم أيضاً الفساد من كل جانب، لكنهم يأكلون ويشربون؟ هل هذه هي الحياة الإنسانية؟ أليست البهائم أيضاً تأكل وتشرب؟ فمتى ماتت النفس فما هي الحاجة للطعام والشراب؟ عندما يصبح الجسد جثة فالملابس المعطرة التي تغطيه لا تنفعه بشيء، وبالأكثر إذا ماتت النفس فإنها لا تستفيد البتة من عطر الجسد. إذا كان فكره لا ينشغل سوى بالطباخين ورؤساء الخدم وبالخبازين، إذا كان لا ينطق بعبارة فيها تقوى أليس هو ميت؟ ما هو واقع الإنسان؟

الفلاسفة الوثنيون يقولون لنا إنه حيوان عاقل. فإنه قابل للمعرفة والعلم، ولكن الأمر ليس بشهادتهم هم، بل الكتاب المقدس هو الذي يحدد طبيعته. كيف يحددها؟ يقول: "***وكان هذا الرجل كاملاً ومستقيماً يتقي الله ويحيد عن الشر***" (أي 1: 1)، ولكن الذين ليسوا كذلك حتى ولو كانوا موهوبين بالذكاء وصالحين للعلم ألف مرة فإن الكتاب المقدس لا يعترف بهم كبشر بل كلاب، أفاعي، حيات وثعالب. فإذا كان الكتاب المقدس قد حدد طبيعة الإنسان الكامل، إذن فالشهواني ليس إنساناً. كيف يكون إنساناً وهو لا يهتم بأي من هذه الصفات؟ لا يمكن لإنسان أن يكون شهوانياً ومعتدلاً. فالصفة الأولى تستبعد الثانية. والوثنيون أنفسهم يقولون ذلك.

**لا وجود للنفس الرقيقة إطلاقاً مع البطن الغليظة**

والكتاب بين جيداً الأشخاص المجردين من النفس بهذه الكلمات "***لأنه بشر***" (تك 6: 3) مع أنهم كانت لهم نفس إلا أنها كانت ميتة، مثلما تقول عن الناس الفضلاء، إنهم عبارة عن نفس، عبارة عن روح رغم أن لهم جسد فهذا أفضل من أن يقال عنهم إنهم عبارة عن جسد. وهكذا قال بولس الرسول "***وأما أنتم فلستم في الجسد***" (رو 8: 9)، لأنهم لم يكملوا أعمال الجسد. وبالمثل الشهوانيون هم ليسوا في الروح ولا في النفس.

**تصوير مخيف**

"***أما المتنعمة فقد ماتت وهي حية***" اسمعوا يا من تقضون كل أوقاتكم في الولائم والسكر، ولا توجهون أنظاركم قط للفقراء الذين يعيشون في الوهن ويموتون جوعاً، وأنتم تعيشون دائماً في التنعم، وبإفراطكم تسببون موتاً مضاعفاً، موت هؤلاء البؤساء وموتكم أنتم، ولو أضفتم فائضكم إلى بؤسهم لأوجدتم حياة مضاعفة، لماذا تتخمون معداتكم بإفراطكم وتتسببون في سقم ووهن الفقير من فرط حزنه؟ أنتم تفسدون معداتكم بتجاوز المعيار، وبتجاوزه أيضاً تعملون على جفاف معدة الفقير. فكروا فيما هي الأطعمة وكيف تتحول وماذا تصبح. آه هل كلامي هذا يجرح شعوركم؟ لماذا كل هذا الإسراع أثناء ابتلاع الغذاء، هل للحصول على أكبر قدر منه؟ الطبيعة لها حدودها. ومن يتجاوزها لا ينتفع من زيادة الغذاء، بل أن زيادته مؤذية وغير نافعة، غذوا جسدكم ولا تقتلوه. الغذاء ليس معناه القتل، بل ما يكفي للتغذية واعتقد أن الجهاز الهضمي معد هكذا، حتى لا نكون أصدقاء للإفراط. نحن شديد الشره أمام لذات المائدة وكثيراً ما ننفق في وليمة تركه بأكملها. نحن نفسد أنفسنا باستسلامنا لهذا الإفراط حيث يصبح جسدنا شبيهاً بقربة يتصاعد منها الخمر. شئ محزن، أننا نهتم بوقاية المجاري من الانسداد حتى لا تطفح ونهتم

كثيراً بتنظيفها بمخالب وفئوس، أما بالنسبة لأوعية المعدة فبدلاً من أن نتركها خالية فإننا نزحمها ونسدها. القاذورات تصعد إلى مقر الملك، أقصد المخ، ونحن لا نبالي نحن نتصرف كما لو كان لا يوجد هنا ملك يحب اللياقة، بل يوجد كلب نجس، إن الخالق عزل هذه الأعضاء بعيداً حتى لا تضايقه، ولكننا نربك وظيفتها ونفسد كل شئ بإفراطنا، ماذا يقال عن الأضرار الناتجة عن ذلك؟ اردموا قنوات البلوعات، وسوف ترون بعد فترة بسيطة تولد الطاعون.

أليس الذي يحجزه الجسد في الداخل ولا مخرج له ينتج عن آلاف الشرور للنفس والجسد؟ الشيء المخيف هو أن الكثيرين يتذمرون ضد الله من الضرورات الخاضع لها جسدنا، وهم أنفسهم ينمونها. الله أعطانا هذه الشرائع حتى نحيد عن الإفراط، وأنتم ليس فقط لا تتحولون عن الإفراط ، بل تغوصون فيه حتى السحر لطول فترة الوجبة، ألا تنتهي حاسة التذوق بمجرد تجاوز الأطعمة اللسان والحلق؟ إن الإحساس يختفي حينئذ ولكن التوعك يستمر لأن المعدة لا تعمل أو تعمل بمشقة.

إذن الرسول قال بحق ***أما المتنعمة فقد ماتت وهي حية*** " لأن النفس التي تعيش هكذا لا يمكن أن تسمع ولا تقدر أن تسمع، هي نفس مرتخية، عديمة السخاء والشجاعة والحرية، خجولة قليلة الحياء، ساقطة متملقة، جاهلة، غضوبة، شرسة، ومليئة بكل الشرور، ومجردة من كل الحسنات.

*"وأما المتنعمة فقد ماتت وهي حية. فأوص بهذا لكي يكن بلا لوم"* (1تي 5: 6، 7) إذن هذه شرعية فلا يتركهن لاختيارهن بل يقول له أوصيهن أن لا يعشن في التنعم، لأنه شر بالتأكيد، ولا يجوز للمتنعمات أن يشتركن في الأسرار الإلهية، ترون إذن أنه يضع هذا السلوك في عداد الخطايا.

فطاعة الرسول، نحن أيضاً ننذركم بأن الأرامل اللائى يعشن في التنعم لا يسحبن في عداد الأرامل لأنه إذا كان الجندي الذي يعطي كل وقته للحمامات والمسارح، والأعمال الخاصة به، ينظر إليه كهارب من الجندية، فكم بالحرى يجب أن يقال هذا عن الأرامل؟ ليتنا لا نبحث عن راحتنا هنا حتى نجدها في الحياة الأخرى، ليتنا لا نعيش هنا في التنعم، حتى ننعم في الحياة الأخرى بمتع حقيقية، مسرات حقيقية لا ينتج عنها أي شر، بل تمكننا من الحصول على الكثير من الخيرات، التي أتمناها لكم جميعاً على الكثير من الخيرات، التي أتمناها لكم جميعاً في المسيح يسوع ربنا الذي له مع الآب والابن والروح القدس المجد والقوة والعزة، الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

## الموعظة الرابعة عشرة

***"وإن كان أحد لا يعتني بخاصته ولا سيما أهل بيته فقد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن، لتكتتب أرملة إن لم يكن عمرها أقل من ستين سنة امرأة رجل واحد"***

(5: 8- 10)

التحليل

**أولاً:** الاهتمام بخلاص الأقرباء واجب دقيق.

**ثانياً:** عن الأرامل.

**ثالثاً ورابعاً وخامساً:** عن ممارسة الصدقة، حياة المتوحدين العجيبة.

**سادساً:** يوجد أيضاً قديسون في الحياة العامة المشتركة.

### أولاً: الاهتمام بخلاص الأقرباء

كثيرون يعتقدون أن فضائلهم الشخصية تكفي لخلاصهم وإنهم، إذا نظموا جيداً حياتهم لا ينقصهم شئ لإصلاحهم، هؤلاء هم مخطئون. ومثلهم مثل الإنسان الذي طمر وزنته الوحيدة وقدمها لسيده دون نقص أو زيادة. وهذا أيضاً ما يرينا إياه الطوباوي بولس بقوله: ***"إذا كان أحد لا يعتني بخاصته"***. هو يقصد بهذا النص كل أنواع العناية، العناية بالروح بقدر العناية بالجسد ***"بخاصته ولا سيما أهل بيته"*** أي أسرته ***"وهو شر من غير المؤمن"*** وهذا ما يقوله أشعياء النبي أكبر الأنبياء ***"لا تتغاضى عن لحمك"*** (أش 58: 7)، لأن الذي يهمل احتياجات أقربائه بالميلاد، المتحدين بصلة القرابة الدموية، كيف يكون حنوناً تجاه الآخرين؟ أليس الذي يوجه اهتمامه للآخرين وهو مهمل وعديم الشفقة تجاه خاصته يعتبر عمله من أعمال الزهو وماذا يظن في الذي يعلم الإيمان للغرباء، ويترك ذويه في الخطأ وخاصة إذا كان تعليمهم أكثر سهولة بالنسبة له، ومتى كان هذا العمل الصالح تقتضيه بالأكثر مطالب العدالة؟ فهل هذا إنسان خير بالحقيقة؟ قد يقال كلا بالتأكيد، إن المسيحيين الذين يتركون ذويهم دون عناية ليسوا خيرين. يقول الرسول: ***"هو شر من غير المؤمن"*** لماذا؟ لأن غير المؤمن إذا أهمل الآخرين فهو لا يهمل أقاربه. وهكذا فالذي لا يوفي بهذا الواجب، يخالف الشريعة الإلهية، والشريعة التي للطبيعة. فإذا كان الذي لا يعتني بخاصته قد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن، فكم بالحرى الذي أرتكب أخطاء ضدهم؟ وفي أي درجة سيكون؟ هو أنكر الإيمان، وكيف؟ لأنه طبقاً لقول الرسول: ***"يعترفون بأنهم يعرفون الله ولكنهم بالأعمال ينكرونه"*** (تي 1: 16)، وبما أوصى الله من جهة إيمانهم؟ أوصاهم بعدم إهمال ذويهم.

لنفهم نحن الذين كثيراً ما نهمل احتياجات أقاربنا، حتى نوفر ثرواتنا. أن الله أسس الروابط العائلية حتى يكون لدينا بواعث مضاعفة لفعل الخير لبعضنا البعض. فإذا كنتم لا تطبقون فضيلة يطبقها غير المؤمن ألستم تنكرون الإيمان؟ لأن الإيمان ليس أقوالاً تخرج من الفم، بل أن تعمل أعمالاً جديرة به. لأن الإيمان وعدم الإيمان يطبقان على كل شئ. فالرسول بعد أن تكلم عن حياة الرخاوة، وعن الأرملة التي تعيش في التنعم، يقول لنا إنها لا تهلك فقط بسبب شهواتها، بل أن شهواتها هذه تجبرها على إهمال أسرتها. وهذه حقيقة، لأنها تعيش لبطنها، وبذلك تهلك مادامت تنكر إيمانها. "***وهو شر من غير المؤمن***"، لأن الخطأ في إهمال احتياجات القريب والصديق لا يتساوى مع خطأ إهمال احتياجات الغريب وغير الصديق، إذ أنه مع الأقارب والأصدقاء يستوجب لوماً أكثر.

***لتكتتب أرملة إن لم يكن عمرها أقل من ستين سنة امرأة رجل واحد مشهود لها في أعمال صالحة***" كما سبق أن قال الرسول: "***ولكن إن كانت أرملة لها أولاد أو حفدة فليتعلموا أولاً أن يوقروا أهل بيتهم ويوفوا والديهم المكافأة***" (1تي 5: 4) كما قال أيضاً "***أما المتنعمة فقد ماتت وهي حية***" (1تي 5: 6) وأيضاً إن "***الذي لا يعتني بخاصته ولا سيما أهل بيته فقد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن***" (1تي 5: 8) لقد أوضح الرسول الأخطاء التي تجعل المرأة غير جديرة بأن تكتتب بين الأرامل. والآن يوضح الشروط الواجب عليها. ولكن ماذا؟ هل تختارها حسب سنها؟ وما هي الحكمة في ذلك؟ وهل الأمر يتطلب أن يكون سنها ستين سنة؟ كلا، فليس الأمر مرهوناً فقط بسنها، فحتى إذا بلغت هذه السن وهي لا تملك الفضائل التي يتطلبها الرسول، لا تكتتب مع الأرامل، ولكنه سيقول لنا لماذا يطلب سناً معيناً والباعث لذلك الأرامل أنفسهن.

اسمعوا ما سيأتي فيما بعد "***مشهود لها في أعمال صالحة***" أية أعمال؟ أن تكون قد ربت الأولاد وهذا العمل قيمته ليست قليلة، لأنه لا يتعلق فقط بتغذيتهم، بل بتهذيبهم كما سبق أن قال الرسول: "***إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل***" (1تي 2: 15)، تلاحظون كيف أن الرسول في كل مجال يقدم عمل الخير لأقاربها قبل الآخرين لأنه قال أولاً: "***أن تكون قد ربت الأولاد***" ثم "***أضافت الغرباء غسلت أرجل القديسين، ساعدت المتضايقين ابتعت كل عمل صالح***" وكيف يمكنها ذلك إذا كانت فقيرة؟ هذا لا يمنعها عن تربية أولادها وضيافة الغرباء ومساعدة المتضايقين، هل هي أكثر احتياجاً من تلك التي ألقت الفلسين (لو 21) وحتى لو كانت فقيرة فلديها مسكن، فهي لا تسكن في الهواء الطلق. "غسلت أرجل القديسين" فهذا لا يستوجب نفقات كثيرة. "***أتبعت كل عمل صالح***" بماذا يتعلق هذا الأمر؟ إنه يتعلق بالقيام بخدمات بدنية، لأن النساء على وجه الخصوص نظيفات ويجدن تنظيم الأسرة وتقديم ما يكفل الراحة.

## ثانياً: عن الأرامل

آه ! إن الرسول يطالب الأرملة بالمواظبة على واجباتها تقريباً بقدر ما يطالب الملتزم بالأسقفية. لأن هذه العبارة ***اتبعت كل عمل صالح***" تعني أنها حتى لو كانت لم تستطع بمفردها إتمام هذا العمل، فهي قد ساعدت فيه. بهذا يبعد عنها الرخاوة، فهو يريد أن تكون متيقظة، صالحة، مقتصدة، مداومة على الصلاة. هكذا كانت حنة تأملوا مدى الكمال الذي يطالب به الرسول الأرامل، إنه أكثر مما يتطلبه من العذارى أنفسهن اللائى يطلب منهن كمالاً سامياً.

لأنه عندما يقول: ***"كمن رحمة الرب أن يكون أميناً***" (1كو 7: 25)، عبارة تتلخص فيها الفضيلة كلها. تلاحظون أن عدم عقد الزواج الثاني لا يكفي لتكتتب ضمن الأرامل، بل هناك شروطاً أخرى، ولماذا لا يتزوجن ثانية هل الرسول يدين هذا الفعل؟ كلا: بل هذا القول يعتبر هرطقة، لكن الذي يريده الرسول أن تتفرغ للأعمال الروحية، وتكرس نفسها كلية للفضيلة. فالزواج ليس دنساً، إلا أنه يحول دون الاستخدام الحر للوقت، لذلك يقول الرسول لكي تتفرغ (للصلاة) وليس لكي تتطهر، لأن الزواج في الحقيقة يسبب مشغوليات متواصلة فإذا رفضت الزواج، لكي تعطي وقتك لمخافة الله، ولم تنفذي ذلك، فلن تستفيدي شيئاً، بإعطاء عنايتك للغرباء والقديسين. وحينئذ بإهمالك هذه الأعمال التي هي ثمرة مخافة الله تظهرين أنك بالأحرى قد ابتعدت عن الزواج لأنك تدينينه. وهكذا فإن البتول التي لم تطلب فعلاً، إنما امتنعت عن الزواج، لاعتقادها أنه آثم وغير طاهر.

تلاحظون أن الرسول يتكلم عن إضافة الغرباء وليس مجرد حسن الاستقبال البسيط، بل عن المحبة المندفعة بحماس الناتجة عن إرادة بشوشة، متممة عملها كما لو كانت تستقبل المسيح نفسه. والسيد المسيح لا يريد أن هذه العناية تسند للخدم، بل تتم بواسطتهن لأنهن قد تدربن على الضيافة: ***"فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض***" (يو 13: 14).

فمهما كانت المرأة ثرية، ومهما كان لها من اعتبار تنعم به، عندما تتباهى بنبالة أسلافها، فمع كل ذلك لا تصل إلى الفارق الذي بين السيد المسيح وتلاميذه. فإذا استقبلتن ضيفاً كما لو كنتن تستقبلن السيد المسيح نفسه، فلا تخجلن، بل لتكن بالحرى فخورات بالعناية التي تعطينها له، وإذا لم تستقبلنه كالمسيح، فلا يعد هذا استقبالاً "***من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني***" (مت 10: 40)، فإذا لم تستقبلن هكذا ضيفكن لن تحصلن على المكافأة إبراهيم اعتقد أنه يستقبل مسافرين في الطريق، ومع ذلك لم يترك كل شئ لخدمه، بل أمر زوجته أن تعجن الدقيق، وهو الذي كان عنده ثلاثمائة وثمانية عشر خادماً وبالتأكيد كان بينهم خادمات، لكنه أراد أن يحصل بنفسه وهو وزوجته على المكافأة ليس فقط عن النفقات بل أيضاً عن الخدمات.

هكذا يجب أن تكون الضيافة، أن نعمل كل شئ بأنفسنا، حتى نكون مكرسين وتكون أيادينا مباركة إذا أعطيتم الفقراء لا تهملوا أن تعطوا بأنفسكم لأنكم لا تعطونهم هم بل المسيح. وليس هناك من هو أسوأ حالاً ممن لا يمد يده ليعطي المسيح. هذه هي الضيافة، هنا العمل الحقيقي لله. وإذا أردت أن تكرم ضيفك بالجلوس في الصف الأول فلتحرص أن يكون ذلك بلطف وليس بأمر. لتراع كيف تقلل بقدر إمكانك من حرجه وخجله، لأن خجل الضيف من حسن استقباله هو أمر طبيعي، ولكي تقلل من خجله من كرم استقبالك له فلتشعره أنك أنت الذي سعدت وأخذت أكثر مما أعطيت. أما الذي يعتقد أنه تكبد خسارة أو أنه محسن، فقد فُقد كل شئ، والذي ينظر في نفسه أنه سعيد بما قدمه قد أخذ أكثر مما أعطى. ***المعطي المسرور يحبه الله***" (2كو 9: 7). أنتم ملتزمون قبل الفقراء بالاعتراف بالجميل أكثر من التزامهم قبلكم، لولا الفقراء لما تمكنتم من محو كثرة خطاياكم، هم أطباء جراحاتكم وأياديهم الممتدة هي الدواء الذي يعطونه لكم. اليد التي يمدها الطبيب للمريض، والأدوية التي يقدمها له لا تكون سبباً في شفائه وإزالة آلامه أكثر من يد الفقير الممتدة لك لأخذ صدقتك. مثل الكهنة "***يأكلون خطية شعبي***" (هو 4: 8) وهكذا أنتم تأخذون أكثر مما تعطون، الفقير هو بالأحرى المحسن وفاعل الخير. أنتم تفرضون الله وليس الإنسان بفائدة مضاعفة أنتم تنمون ثروتكم بدلاً من أن تخفضونها، سوف تنقصونها إذا لم تأخذوا منها شيئاً للعطاء.

## ثالثاً: ممارسة الصدقة

يقول الرسول: "***أضافت الغرباء غسلت أرجل القديسين***" أي قديسين؟ الذين يعانون من محنة وليسوا مجرد قديسين، لأنه يمكن للقديس أن يحظى بإكرام عالمي. لا تكن صلتكم بالذين في رخاء، بل بالذين هم في محنة، مجهولين أو معروفين من قلة. يقول السيد المسيح: ما فعلتموه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم، لا تكلف الذين على رأس الكنيسة أن يوزعوا صدقتك، بل اخدم بنفسك الفقراء حتى تأخذ المكافأة ليس فقط عن تقدماتك، بل أيضاً عن خدماتك، أعط بيديك، أبذر بنفسك، فالأمر لا يحتاج هنا إلى محراث وتعليق البقر في العربة، وانتظار الفصول، وشق الأرض، ومقاومة الجليد، كل هذه العناية المضنية لا تحتاج البذور إليها. لأنك تبذر في السماء حيث لا يوجد جليد، ولا شتاء ولا أي شئ مشابه، أنت تبذر في النفوس حيث لا يوجد من يغتصب الحبة فهي محفوظة بالتأكيد. أبذر لماذا تحرم ذاتك من المكافأة؟ وهي كبيرة، حتى لو تمت بتنظيم ما أعطى بواسطة الآخرين. فالمكافأة ليست فقط بإعطاء ما يخصنا، بل أيضاً بتدبير صدقات الآخرين، لماذا لا نحصل على الجزاء؟ نعم هذه الخدمة لها جزاء، اسمعوا: الرسل كما يعلمنا الكتاب، أقاموا استفانوس لخدمة الأرامل، كونوا مدبري أنفسكم. إن الإنسانية

ومخافة الله تؤهلكم لذلك. هذا العمل لا يلحقه المجد الزائل، يعطي راحة للنفس. يقدس الأيادي، يهدم الكبرياء يعلم المحبة والحكمة، ينمي الحماس ويؤهل للحصول على البركات. إنك ستترك الأرامل ورأسك محملة ببركاتهم. كن أكثر حماساً في الصلاة، أنشغل بالقديسين أقصد القديسين الحقيقيين، الذين يعيشون في البراري، ولا يستطيعون أن يطلبوا شيئاً، معتمدين على الله، لا تبخل في أن نسير طريقاً طويلاً وأن تعطى بيديك، لأنك بهذا العطاء تحصل على الكثير. إذا رأيت خيمة أو خلوة للضيافة، برية أو ديراً، فعند ذهابك أعط دائماً صدقات، أعط هناك نفسك كلها، أنت أصبحت أسير غريب في العالم، إن زيارة الفقراء لشيء عظيم، يقول الكتاب ***"الذهاب إلى بيت النوح خير من الذهاب إلى بيت الضحك"*** (جا 7: 2)، لأنه في بيت الضحك تنتفخ النفس فإذا استطعت مجاملتهم بالضحك ستصل إلى الرخاوة، وإذا لم تستطع ستسبب لهم ألماً، لا يوجد شئ من ذلك في مسكن النوح، فإذا كنت ممن لا يتهافتون على ارتياد أماكن المسرات سوف لا تُصدم وإذا كنت على عكس ذلك، فلتعمل على قمع رغبتك.

**رابعاً: الحياة العجيبة للمتوحدين**

البيت الحقيقي للنوح هو الدير، حيث يوجد الجوال والرماد، وهناك توجد الوحدة، حيث لا يوجد الضحك إطلاقاً ولا ضجة الأعمال العالمية، بل الصوم، وفراش من العشب الممتد على الأرض، هناك كل شئ نقي من دخان اللحم ودم الحيوانات. كل شئ خالٍ من الاضطرابات والقلق والهياج. إنه ميناء دائم الهدوء، والذين يسكنونه كالمنارات المرتفعة في الأعالي، يسطعون عن بعد أمام عيون ويجذبون الجميع إلى مياهه الهادئة لينجيهم من الغرق ويبدد لهم الظلمات.

اذهب إلى سكانه وأكرمهم، تقدم إلى القديسين وأسجد أمام أرجلهم، لأن لمس أرجلهم أكرم من لمس رؤوس الآخرين. قل لي، إذا كان البعض يقبل أرجل التماثيل، لمجرد أنها تمثل صورة الإمبراطور وأنت الذي تجد في هؤلاء الناس شخص المسيح، ألا تمسك بأرجلهم لتخلص؟ أقدامهم مقدسة، وإن كانت تظهر عادية أمام الآخرين، بل الرأس نفسها غير موقرة في نظر الدنيويين. أقدام القديسين لها قوة كبيرة، لأنها تجلب المجازاة بالعقوبة عندما ينفضوا عنها التراب، فعندما يوجد بيننا قديس، فلا نخجل أن نفعل معه هكذا كل هؤلاء هم قديسون يظهر في حياتهم الإيمان الأرثوذكسي، حتى لو لم يعملوا معجزات، أو يخرجوا شياطين. اذهبوا حيث خيام القديسين. القديس الذي لجأ إلى الدير كمن يفر من الأرض إلى السماء، هناك لا تشاهدون ما ترونه في مساكنكم، هذا المكان طاهر من كل دنس، هناك يسود السكون والهدوء، لا تسمع فيه عبارة "هذا يخصني وذاك يخصك" وإذا أقمت فيه يوماً أو أكثر سوف تشعر بسعادة أكبر. النهار يقبل أو بالأحرى قبل ذلك صياح الديك. إنه ليس مظهر منزل، حيث الخدم لازالوا يغطون في

النوم، حيث الأبواب مغلقة وكل السكان نائمون يشبهون الموتى وحيث سائق البغال يحرك أجراسه. هنا لا يوجد ما يشبه ذلك. بل الكل في خشوع دون تأخير يقطعون نعاسهم ويقومون عندما يوقظهم رئيسهم، وحينئذ يقفون مشكلين خورس مقدس، باسطين أيديهم، مرتلين بالتسابيح المقدسة، لا يلزمهم مثلنا ساعات كاملة يطردون فيها النعاس وثقل الرأس. فإننا لا نكاد نقوم من فراشنا حتى نسقط ثانية، لكي نبسط ذراعينا طويلاً وبعد فترة نغسل وجوهنا وأيدينا ثم نأخذ أحذيتنا وملابسنا، وبكل ذلك يمر وقت طويل.

هناك لا شئ من ذلك، لا يوجد خدم تنادي عليهم، كل واحد مكتف بذاته، لا حاجة للملابس الكثيرة، ولا لزمن لطرد النعاس، بل بمجرد ما تنفتح عيون سكان الدير الزاهدين، ينهضون كما لو كانوا استيقظوا من وقت طويل، لأنه عندما يكون القلب غير مثقل وغير مائل إلى الأرض بالأطعمة التي تملأ المعدة، فلا يلزم الراهب سوى زمن بسيط لكي يجمع أفكاره، كل شئ يتم بسرعة مع الاعتدال، الأيادي نظيفة، النوم بنظام تام، لا يسمع أثناءه غط ولا نهج، لم يقع أحد من سريره كما لم يكشف أحد عن غطائه أثناء النوم. ولكنهم كلهم يبدون في وضع أكثر حشمة من بعض ناس يقظين، وكل هذا بفضل النظام الدقيق الذي يسود في نفوسهم. هم حقاً قديسون وملائكة بين البشر، وخوفهم الكبير من الله لا يسمح لهم أن يغطوا في النوم ويدفنوا ذكائهم، أحلامهم ليست من صنع الخيال المشوش أو الغريب.

ولكن كما قلت، الديك صاح وقد استيقظ الرئيس وتمشي ليلمس بكل بساطة رجل كل راهب نائم، وأيقظ الجميع وحالما يستيقظون يقفون، مرتلين أناشيد الأنبياء في توافق تام وتلحين موزون، لا قيثارة ولا مزمار ولا أية آله موسيقية يمكن أن تنتج تلك الأصوات التي نسمعها عندما يرنم هؤلاء في وحدتهم في هدوء عميق، ترانيم شافية ينبعث منها حب الله. يقول الكتاب: ***"في بيت الرب بالليالي ارفعوا أيديكم نحو القدس وباركوا الرب"*** (مز 134)، وفي موضع آخر: ***"في الليل أيضاً بروحي في داخلي إليك أبكر لأنه حينما تكون أحكامك على الأرض يتعلم سكان المسكونة العدل"*** (أش 26: 9)، مزامير داود تنتج ينابيع من الدموع عندما نرتلها: ***"تعبت في تنهدي أعوم في كل ليلة سريري بدموعي أذوب فراشي"*** (مز 6: 6) ***"إني قد أكلت الرماد مثل الخبز"*** (مز 102: 9) ***"فمن هو الإنسان حتى تذكره"؟*** (مز 8: 4)، ***"الإنسان أشبه نفخه أيامه مثل ظل عابر"*** (مز 144: 4)، ***"لا تخش إذا استغنى إنسان إذا زاد مجد بيته"*** (مز 49: 16) ***"سبع مرات في النهار سبحتك على أحكام عدلك"*** (مز 119: 164)، ***"في منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برك"*** (مز 119: 62)، ***"إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية"*** (مز 49: 15)، ***"أيضاً إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معي"*** (مز 23: 4)، ***"لا تخشى من خوف الليل ولا من سهم يطير في النهار ولا من وباء يسلك في الدحى ولا من هلاك يفسد في الظهيرة"*** (مز 91: 5، 6) ***"قد حسبنا مثل غنم للذبح"*** (مز 44: 22) ***"وعندما يرنمون مع الملائكة، لأن الملائكة***

***أيضاً ترنم معهم سبحوا الرب سبحوه في الأعالي***" (مز 148: 1) وهذا في وقت نحن نتثاءب فيه، أو نغط في النوم، أو ممتدون على فراشنا حيث ندبر آلاف الخدع، وماذا عن هؤلاء الناس الذين يقضون لياليهم في قداسة كاملة؟

عندما يبدأ النهار في الظهور يستريحون قليلاً، وفي الساعة التي نبدأ نحن فيها أعمالنا، هي وقت الراحة بالنسبة لهم فمتى بدأ النهار وكل واحد منا ينادي الآخر، يحسب النقود الموزعة، يجرى إلى الميدان، يبحث عن قاض، يرتبك ويخاف من تقديم الحسابات، واحد يذهب إلى المسرح، والآخر إلى أعماله، أما بالنسبة للرهبان فبعدما ينتهون من صلواتهم الصباحية وأناشيدهم، يعكفون على قراءة الكتب، ومنهم أيضاً من تعلم نسخ الكتب. ينسحب كل واحد إلى حجرته المحددة له ويمكث فيها في هدوء دون أن يثرثر ولا حتى يتكلم. يصلون الثالثة والسادسة والتاسعة وصلوات المساء، يقسمون اليوم إلى أربعة أقسام، وفي نهاية كل قسم، يسبحون الله بأناشيدهم. فبينما الآخرون من البشر يناولون العشاء، يضحكون، يلعبون ويبتلعون الأطعمة، نجد أنهم يجتهدون في تلحين المدائح لا يوجد وقت مطلقاً للذات المائدة والحواس. بعد وجبة الطعام يستسلمون لنفس الأعمال بعد أن يستريحوا قليلاً. فبدلاً من أن أهل العالم بعد ضياع وقت طويل في النوم، يمشون متثقلين أما هم فدائماً متزنون، يمكثون وقتاً طويلاً دون غذاء، منهمكين في تلحين الأناشيد، عندما يأتي المساء، يذهب الآخرون للاستجمام والراحة، بينما هم بعد الانتهاء من أعمالهم، يقتربون من المائدة دون تشغيل قطيعاً من العبيد، دون ضجة بالمنزل، وبنظام تام، يكتفي البعض الخبز والملح، والبعض يضيف زيتاً، والبعض الآخر الأكثر ضعفاً يستعملون الأعشاب والخضراوات ثم بعد أن يمضوا وقتاً قليلاً جالسين يتممون يومهم بالأناشيد، كل واحد يذهب إلى فراش من الورق أعد للراحة وليس للترف.

**خامساً: هناك لا خوف من القضاء**

ولا وجود لكبراء أحمق من السادة، لا رعب للعبيد، ولا هياج للنساء، ولا ضجيج للأولاد، ولا مجموعة من الخزائن، ولا ملابس احتياطية دون استعمال، لا ذهب ولا فضة، ولا حارس ولا احتياطات، لا منصب ولا أي شئ مشابه ذلك، الكل تفوح منه رائحة الصلاة والأناشيد والرائحة الروحية الجميلة، لا يوجد ما يثير الشهوة، هم لا يخشون اللصوص، حيث لا يوجد ما يخشى عليه، لا ثراء، فهم لا يملكون سوى أرواحهم وأجسادهم. وإذا انتهت حياتهم فلا يجدون في ذلك خسارة بل بالحرى ربحاً "***لأن لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح***" (في 1: 21) حينئذ سيتخلصون من رباطاتهم حقاً "***صوت ترنم وخلاص في حياة الصديقين***" (مز 118: 15) لا تسمع شكوى ولا نحيب، سقفهم بعيد عن هذه المشقات والصيحات،

يموتون ولهم نفس الشعور، لأن أجسادهم لست خالدة، والموت في نظرهم ليس موتاً يرافقون الموتى بالأناشيد ويسمون هذه الشعائر توصيلاً وليس جنازات.

إذا علموا بموت هذا أو ذاك يفرحون، ولا يجسرون حتى على القول: بأنه مات بل بالأحرى أنهى مسيرة حياته. ثم يطوبونه بابتهاج، ويصلى كل منهم إلى الله لكي تكون نهايته مشابهة، فيخرج كذلك من المعركة، ليرى المسيح بعد نهاية معاركه وكفاحه، وإذا كان أحدهم مريضاً، فليس المجال مجال الدموع والنحيب بل الصلوات، وغالباً ليس هي عناية الأطباء، بل بالإيمان وحده يشفى المريض، وإذا احتاج الأمر للأطباء، توجد هناك فلسفة وثبات عظيمان فلا يرى بجانب المريض سيدة تشد شعرها، ولا أولاد يبكون مسبقاً لأنهم سيتيتمون، ولا خدم يتوسلون للمحتضر لكي يوصى بهم لسيد صالح، الروح متحررة من كل هذه المناظر، ولا تفكر سوى في اللحظة الأخيرة وكيف تظهر أمام الله في حالة مرضية، أما عن المرض فلا يكون سببه الشراهة ولا ثقل الرأس، ولكن أصل المرض جدير بالثناء وليس بالعار، فهو يرجع إلى الإفراط في السهر، أو الصوم أو أي شئ مشابه فلذلك هو سهل الشفاء، وعلاجه الراحة فهي الكفيلة بأن تخلص المريض من متابعة.

**سادساً: يوجد أيضاً قديسون في الحياة العامة المشتركة**

قد تسألون أين القديسون أمثال هؤلاء لكي نغسل لهم أرجلهم؟ يوجد منهم في الكنيسة أخشى أن يكون وصفنا لحياة المتوحدين يجعلكم تستصغرون القديسين الذين في الكنائس. كثيرون من القديسين أمثال هؤلاء يعيشون بين المؤمنين، لكنهم متوارون فلا نستصغرهم لأنهم يسكنون البيوت ويظهرون في الأماكن العامة يزاولون بعض الأعباء. الله نفسه هو الذي أمرهم ***"اقضوا لليتيم حاموا عن الأرملة"*** (أش 1: 17).

الفضيلة لها دروبها العديدة وصورها المتنوعة، مثل اللآلئ التي تختلف الواحدة عن الأخرى، ومع ذلك فكلها لآلئ واحدة مضيئة ومستديرة تماماً، والأخرى ليس لها نفس الجمال. بل جمال من نوع آخر، كيف ذلك؟ كالإبداع الذي نراه في شعب المرجان الطويلة بزواياها المنسقة تنسيقاً يكسبها لوناً أخضر جميلاً أبهى بكثير من اللون الأبيض، وكما أن هناك حجر كريم من الأحمر الدموي الساطع، والآخر أزرق وأكثر زهواً من أحجار البحر، وثالث يفوق الأرجوان في بهائه، وكما أن في الأزهار وألوان الشمس يمكن أن نجد ألواناً كثيرة مختلفة، فهكذا أيضاً بالنسبة للقديسين، البعض يسلك طريق النسك والبعض الآخر يشيد الكنائس.

***إذا كانت غسلت أرجل القديسين ساعدت المتضايقين***" فلنسرع، ونعمل ذلك حتى نستطيع أن نبارك في السماء لأننا غسلنا أرجل القديسين. وإذا كان يجب غسل أرجلهم، فيجب أيضاً وعلى الأخص أن تمتد لهم يدنا بالصدقة، يقول الإنجيل ***لا تعرف شمالك ما تفعل يمينك***" (مت 6: 3). لماذا كل هذه الشهود؟ لو كان في إمكانك فلا تعرف زوجتك ولا خادمك. وغالباً زوجتك مع أنها لم تكن يوماً عقبة أمام صدقتك، ولكنها قد تكشف عنها وتفشيها رغبة في المباهاة والزهو، أو لأجل أسباب أخرى.

إبراهيم الذي كان له امرأة ممتازة، أخفى عنها أنه سيقدم ابنه ذبيحة لأنه كان يجهل ما سيحدث وكان يعتقد أن الذبيحة ستتم فعلاً، أي رجل في مكان ذو عواطف غير سامية ماذا كان سيقول؟ سيقول، لم يحدث أن أحداً عمل مثل هذا العمل، يا للقسوة! يا للبربرية، هذا الرجل الصالح لم يفكر قط في مثل هذه الأمور، وحبه لابنه لم يدفعه إلى هذا الفكر ودون أن يسمح للأم أن تنظر لأبنها النظرة الأخيرة وتسمع آخر كلماته، وتلتقط آخر خفقاته، أخذ ابنه كأسير لم يكن أمامه سوى شئ واحد هو تنفيذ الأمر الإلهي. لا زوجته ولا ابنه كانا في ذهنه. الابن يجهل ما سيحدث له وإبراهيم بذل كل جهده ليقدم ذبيحة طاهرة، غير ملوثة بالتذمر والتمتمة. قال له أسحق" ***هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة يا أبي***"؟ (تك 22: 7)، وبماذا أجاب الآب؟ ***الله يرى له الخروف للمحرقة يا أبني***" (تك 22: 8) إنه كلام نبوي لأن الله في تدبيره مزمع أن يقدم ابنه محرقة وفدية، وذهب إبراهيم في طريقه.

قل لي يا إبراهيم لماذا تخفي عن ابنك أمر تقديمه ذبيحة؟؟: لأني أخشى من أن يضعف ويظهر بأنه غير جدير بها. تلاحظون أن إبراهيم نفذ بدقة هذا النص ***لا تعرف شمالك ما تفعل يمينك***" أي أننا لا نحاول دون ضرورة أن نُعرف ذوينا، إذ أن النتائج سوف تكون سيئة، فنجد أنفسنا منساقين نحو الزهو والغرور وكثيراً ما نقابل عقبات، فلنخف قدر استطاعتنا كل شئ داخل ذواتنا، حتى نحصل على الوعود الخيرة في المسيح يسوع ربنا الذي له من الآب والابن والروح القدس المجد والقوة والعزة، الآن ولكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

الموعظة الخامسة عشرة

***"أما الأرامل الحدثات فأرفضهن لأنهن متى بطرن على المسيح يردن أن يتزوجن ولهن دينونة لأنهن رفضن الإيمان الأول. ومع ذلك أيضاً يتعلمن أن يكون بطالات يطفن في البيوت ولسن بطالات فقط بل مهذارات أيضاً وفضوليات يتكلمن بما لا يجب. فأريد أن الحدثات يتزوجن ويلدن الأولاد ويدبرن البيوت ولا يعطين علة للمقاوم من أجل الشتم. فإن بعضهن قد انحرفن وراء الشيطان"***

(5: 11- 21)

التحليل

**أولاً:** الحذر من الأرامل الحدثات، الفراغ يعلم كل الرذائل.

**ثانياً:** كل عامل يستحق أجراً، عامل التبشير ليس أقل من الآخرين.

**ثالثاً ورابعاً:** عدم ثبات وفناء الأشياء البشرية.

## أولاً: الحذر من الأرامل الحدثات

يعطي بولس اهتمام كبيراً للأرمل، وقد حدد عمرهن بقوله: "إن لم يكن عمرها أقل من ستين سنة" وعرُف الصفات التي يجب أن يحلمنها بقول: ***أن تكون قد ربت الأولاد. أضافت الغرباء غسلت أرجل القديسين*** والآن يقول أيضاً ***أما الأرامل الحدثات فأرفضهن***".

من حيث العذارى على الرغم من أن وضعهن أكثر صعوبة، فإنه لم يتعرض لهن. لماذا؟ لأنهن جندن أنفسهن لجيش أرفع، لينفذن فكراً أسمى. هذه الكلمات ***أضافت الغرباء غسلت أرجل القديسين*** وما يتبع ذلك، قد تضمنه النص ***اتبعت كل عمل صالح*** وأيضاً النص الآتي: "***غير المتزوجة تهتم في ما للرب***" (1كو 7: 34) وقد قلت في مكان آخر إن فكراً سامياً هو الذي دفعهن لاختيار البتولية، زيادة على ذلك كانت قد حدثت سقطات لبعضهن، ويظهر هذا جلياً في النصين الآتيين ***لأنهن متى بطرن على المسيح يردن أن يتزوجن*** وأيضاً ***فإن بعضهن قد انحرفن وراء الشيطان***".

***أما الأرامل الحدثات فأرفضهن*** لماذا هذه الكلمات؟ ***لأنهن متى بطرن على المسيح يردن أن يتزوجن*** وماذا تعني لأنهن بطرن؟ عندما تكن أنيقات، مستسلمات للذات، تشبهن من تترك زوجها لتصير لرجل آخر. ويوضح الرسول هنا إنها اعتنقت الترمل بدون قرار مدروس. إن الأرملة الحقيقية هي التي تصبح زوجة للمسيح في ترملها. والكتاب يقول: "***هو أبو اليتامى وقاضي الأرامل***" (مز 68: 5، 6) يريد الرسول أن يظهر أنهن حقيقة لم يخترن حياة الترمل، بل استسلمن للرخاوة، ولكن في مكان آخر يقول للكورنثيين ***لأني خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح***" (2كو 11: 2)، وبعد أن أكتتبن في

قوائم الأرامل يردن أن يتزوجن ولهن دينونة لأنهن رفضن الإيمان الأول، الإيمان يقصد به العهد، لقد كذبن تركن المسيح، نكصن بتعهدين.

**الفراغ يعلم الرذائل**

"***يتعلمن أن يكن بطالات***" لأن العمل ليس للرجال فقط بل للنساء أيضاً، لأن البطالة تعلم كل الرذائل، وهن لسن مسئولات عن أخطائهن فقط بل عن أخطاء الآخرين. وإذا كان لا يليق بامرأة متزوجة أن تتنزه من منزل لآخر، فكم بالحرى الأرملة! "***ولسن بطالات فقط بل مهذارات أيضاً وفضوليات يتكلمن بما لا يجب***" أريد أذن أن الحدثات يتزوجن ويلدن الأولاد ويدبرن البيوت، ماذا يحدث لو أن امرأة لا تهتم قط بزوجها ولا يملأها الفكر الإلهي؟ طبيعي ستصبح في بطالة مهذارة وفضولية، لأن الذي لا ينشغل بما نعنيه، ينشغل دائماً بأمور تخص الآخرين، كما أن الذي يفكر فيما يعنيه، لا يهتم ولا يكون فضولياً بما يخص الآخرين.

"***يتكلمن بما لا يجب***" لا يوجد ما هو أكثر مخالفة للأدب من المباحثات التي تجريها المرأة بفضول لا طائل منه، وليس المرأة فقط بل الرجل أيضاً، لأن في ذلك برهاناً كبيراً على الوقاحة وعدم الحياء. "أريد أذن ما يردن ذلك، أريد أنا أيضاً ***أن الحدثات يتزوجن ويلدن الأولاد ويدبرن البيوت***" ويتمسكن بها هذا أفضل بكثير من سلوكهن هذا. كان يجب عليهن الانشغال بخدمة الله. في حياة أمينة له، ولكن طالما الأمر ليس كذلك، فمن الأفضل أن يتزوجن، إذ أن الترمل بهذه الكيفية لا يثمر ثمراً حسناً، بل على العكس الزواج في هذه الحالة له ثمار أفضل إذ أنه يشغلهن عن الثرثرة والكسل. ولماذا بعد علمه بسقوط الكثيرات. لم يطالب بتوفير عناية أكبر لهن حتى لا يسقطن في سقطة بائسة كهذه، وإنما ينصحهن بالزواج؟ لأن الزواج غير محرم "***ولا يعطين علة للمقاوم من أجل الشتم فإن بعضهن قد انحرفن وراء الشيطان***" يعترض الرسول إذن على هذه الصورة من الترمل، فهو لا يريد أرامل حدثات، يتعرضن للزنى، ولا بطالات يتكلمن بما لا يجب، ولا فضوليات يعطين فرصة للشيطان، فلو لم تكن هذه الظواهر حادثة، ما كان الرسول قد اعترض على بقاء هؤلاء الأرامل دون ذواج.

"***إن كان لمؤمن أو مؤمنة أرامل فليساعدهن ولا يثقل على الكنيسة لكي تساعد هي اللواتي هن بالحقيقة أرامل***" يعود الرسول ويسمى اللائى يعشن في الوحدة وليس لهن من يواسيهن أنهن بالحقيقة أرامل. النصيحة التي يقدمها الرسول هنا ممتازة، إذ أنها تؤدي إلى نتيجتين كبيرتين تتيح للبعض الفرصة لأن يقدموا خيراً بإعالة الأرامل كما أن الكنيسة لا تثقل بهذه المسئولية، ويضيف الرسول "***إن كان لمؤمن أو مؤمنة***" لأنه لا يليق أن يقوم غير المؤمنين بإعالة الأرامل المؤمنات. ويلاحظ أن الرسول لم يكن

متشدداً في طلبه، بل قال فقط: ***فلساعدهن ولا يثقل على الكنيسة لكي تساعد اللواتي هن بالحقيقة أرامل***" وصانع الخير سيكون له أجر مضاعف، لأنه بمساعدة الواحدة يساعد الأخريات أيضاً، وذلك بتوفير فرصة أكبر للكنيسة لتساعدهن بأكثر سعة ***أريد أن الأرامل الحدثات***" وماذا تريد؟ هل يعشن في الرخاوة وفي اللذات؟ كلاً "***بل يتزوجن يلدن الأولاد يدبرن البيوت***" كيف يدبرونها؟ فحتى لا يظن أنه يدعوهن إلى حياة رخوة يضيف: "***ولا يعطين علة للمقاوم من أجل الشتم***" (أي القدح والذم). كان يجب عليهن أن يكن فوق مستوى التفكير الدينوي، ولكن مادمن قد نزلن عن هذا مستوى، فليعرفن على الأقل أنه ينبغي أن يسلكن بحرص وتدقيق.

## ثانياً: كل عامل يستحق أجراً

***أما القسوس المدبرون حسناً فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة ولا سيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم***" لأن الكتاب يقول: ***لاتكم ثوراً دارساً والفاعل مستحق أجرته***" ومن كلمة كرامة تفهم العناية والاهتمام اللازمين لإمدادهم بما يسد احتياجاتهم، مثلما رأينا في النصوص السابقة التي توصي بإكرام الأرمل، عندما قال "أكرموا الأرامل" ويتكلم أيضاً عما يلزمهن لقوتهن إذ يقول: "***ولا يثقل على الكنيسة لكي تساعد هي اللواتي هن بالحقيقة أرامل***" أي اللائي يعشن في فقر لأنهن أكثر ترملاً. ويذكر كلمات من الشريعة ومن السيد المسيح وكلها كلمات تتفق مع بعضا البعض، لأن الشريعة تقول ***لاتكم الثور في دراسه***" (تث 25: 4). وبهذا التشبيه أراد الرسول أن يوضح مقدار المشقة التي يعانيها القائمون بالتعليم. هذا هو قول الناموس، أما السيد المسيح فقد قال: ***لأن الفاعل مستحق أجرته***" (لو 10: 7). فسبيلنا أن لا ننظر إلى الأجرة فقط ونتراضى والسيد المسيح وضح ذلك بقوله ***لأن الفاعل مستحق طعامه***" (مت 10: 10)، أي أن الذي لا يعمل بل يعيش في الرخاوة والكسل لا يكون مستحقاً.

فإذا كان الثور الذي لا يشتغل في الدارسة، ولا يسحب النير الثقيل. في جو خانق عبر الأشواك، ولا يثابر حتى يتمم عمله ويدخل الغلة إلى الأجران، لا يستفيد من الطعام الذي أعد له. فبالتأكيد أن الذين يقومون بالتعليم يجب أن تتوافر لهم احتياجات الحياة حتى لا يسقطوا من التعب، وحتى لا يكون انشغالهم بالأشياء الصغيرة، يصرفهم عن قيامهم بالأمور الكبيرة، وينبغي أن يكرسوا أنفسهم لرسالتهم الروحية، دون التفكير في احتياجات هذه الحياة.

هكذا كان اللاويون، لم يفكروا في وسيلة الحياة. فالشعب كان هو الملتزم بهم، والشريعة تأمر بدفع العشور من الدخل، وتقدمات عن الأشياء الذهبية، والبكور والنذور، وأشياء أخرى كثيرة. وهذه الميزات كانت مكفولة بأحكام الشريعة يوفرها لهم أناس آخرون يعملون وينتجون كافة ما تتطلبه هذه الحياة من

احتياجات، ولكنني لا أطلب للذين يدبرون شئون الكنيسة أكثر مما يكفل لهم القوت والكسوة، حتى لا يستغرقوا بأفكارهم في مباهج هذه الحياة. وما هي الكرامة المضاعفة؟ مضاعفة عن التي للأرامل، والشمامسة، أي كرامة كبيرة. لا نقف عند عبارة كرامة مضاعفة، بل إلى ما إضافة إليها الرسول: المدبرون حسناً، ومن هم هؤلاء؟ لنسمع قول السيد المسيح: ***أنا هو الراعي الصالح والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف***" (يو 10: 11). المدبر حسناً هو الذي لا يضن بشئ في سبيل العناية بقطيعه ولا سيما الذين يتعبون في الوعظ والتعليم، وأين هم الذين يقولون بعدم الحاجة إلى كلام ولا تعليم؟ أعطى الرسول هذه التوجيهات لتيموثيئوس قائلاً ***أهتم بهذا كن فيه***".

وفي موضع آخر: ***لاحظ نفسك والتعليم ودوام على ذلك لأنك إذا فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً*** " (1تي 4: 15). هؤلاء هم الذين يريد الرسول أن يكرمهم أكثر من الآخرين، ويذكر الباعث الحقيقي لذلك: هو أنهم يحتملون متاعب كبيرة. فكيف يتساوى الذي لا يسهر ولا يدرس بل يركن إلى الراحة والهدوء دون خوف، ولا هم، مع الذي يضني نفسه في الخدمة ألا يجب أن يكرم هذا كرامة كبيرة أكثر من الكل. لأنه يحمل نفسه الكثير من المشقات؟ هو تعرض لعدة ألسنة، الواحد تصدي له باللوم، والآخر مدحه، والثالث سخر منه، والرابع هاجم أسلوبه أو منهجه، فهو لزمه الكثير من القوة حتى يحتمل كل ذلك. إن إجادة التعليم هي أمر هام جداً لبناء الكنيسة وإدارتها، حتى لا تتعرض للهدم. لذلك مع الصفات الأخرى التي ذكرها، الضيافة والاعتدال، ومطالبة الأسقف أن يكون بلا لوم، يضيف الرسول: أن يكون "***صالحاً للتعليم***" معلم الحكمة يجب أن يطبقها أولاً في حياته فهذا أفضل الطرق للتعليم، وفي الوقت نفسه يعلمها بمناقشاته. لهذا يقول الرسول: "***ولا سيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم***" لأنه متى تعلق الموضوع بشرح العقائد أية حياة تغني عن الكلمات: أية كلمات؟ ليست الكلمات ذات الجاه والمسكونه بالزخرفة العالمية، بل الكلمات المملوءة بالقوة والنور والحذر، الذي يلزم ليس فن الأسلوب واللغة، بل يلزم التفكير في الطرق التي توضح بها، ليس فن الإنشاء بل فن الحكمة فقط.

***لا تقبل شكاية على شيخ إلا على شاهدين أو ثلاثة شهود***" هل يجب إذن قبول الشكاية ضد شاب حديث السن أو أي شخص آخر دون شهادة؟ هل يجب ألا يقام لهذه الشكايات وزن؟ وماذا إذن يقصد الرسول؟ إنه لا يجب قبول مثل هذه الاتهامات ضد أي شخص وعلى الأخص ضد أحد الشيوخ. وهو لا يتكلم هنا عن الوقار الكهنوتي، ولكن عن السن، لأن الشباب أكثر سهولة في الوقوع في الخطأ عن الشيوخ، الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع لكي يكون عند الباقين خوف، أي لا ترفضهم بسرعة، بل أفحص كل شئ بدقة كبيرة، وبعد أن تتأكد بوضوح من القضية حاسب بكل حماس، حتى يصبح الآخرون أكثر تحفظاً، لأنه إذا كان من الضرر أن تدين دون سبب، فلا تقف دون تصرف ضد الأخطاء

الواضحة، لأن هذا يفتح الطريق أمام الآخرين، فيتجاسرون ويعملون نفس الشيء. لا يقول فقط وبخهم، بل لتعمل ذلك بقسوة حتى يشعر الباقين بالخوف. لماذا إذا قال السيد المسيح ***إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه*** " (مت 18: 15)، بينما بولس سمح باتهامه أمام الكنيسة؟ ألا يكون هنا فضيحة أكبر؟ لماذا؟ قد تكون الفضيحة أكبر إذا عرف الخطأ دون أن توقع العقوبة، وإذا ظلت الأخطاء دون عقاب، فسوف يتضاعف المجرمون، كما أن الردع يصلح الكثيرين، وهذا هو ما فعله الله عندما عاقب فرعون، وبنوخذ ننصر وآخرين، أمام أعين الجميع، ونحن نرى مُدناً وأفراداً قد تحملوا قصاص جرائمهم.

يريد الرسول إذن أن الجميع يهابون الأسقف وأن تكون له السلطة فوق الجميع ويقول إن الاتهامات غالباً ما تنشأ نتيجة الضغينة، لذلك يجب أن يكون هناك شهود، أناس يدلون بمعلوماتهم عن المشكو ضده طبقاً للشرعية القديمة "***على فم شاهدين أو على فم ثلاثة شهود يقوم الأمر***" (تث 19: 15) "لا تقبل شكاية على شيخ" لم يقل لا تحاكم، بل وحتى لو هي شكاية لا تحولها إلى محاكمة دون سماع شهود، وإذا كان الشاهدان يكذبان؟ هذا يندر، والمحاكمة كفيلة بالكشف وإلقاء الضوء على الحقيقة.

ويجب أن نكون سعداء، بوجود شاهدين لأن الأخطاء ترتكب سراً وفي الخفاء، بحيث أننا نجد أن الموضوع يحتاج إلى دراسة مستفيضة. وماذا لو عرفت الأخطاء ولا يوجد شهود والرأي العام سيئ؟ سبق أن قال الرسول: "***يجب أيضاً أن تكون للأسقف شهادة حسنة من الذين هم من خارج***".

ليكن لدينا المحبة ومخافة الله. لا توجد شريعة للإنسان الصالح، ولكن الأغلبية يتبعون الفضيلة جبراً وليست اختياراً، ويجنون من خوفهم ثماراً كثيرة. وغالباً ما يقمعون رغباتهم السيئة، ولهذا السبب فلنسمع التهديدات التي توجه إلينا من جهنم لكي نجني الثمار الثمينة لهذا الخوف. وإذا كان الله الذي سوف يلقى بالخطاة فيها، لم يكن قد هددنا بها مقدماً لسقط فيها الكثيرون. ومع أننا الآن تهتز نفوسنا خوفاً منها، إلا أنه يوجد كثيرون يخطئون بكل سهولة. كما لو كانت جهنم ليس لها وجود، وأية جرائم كنا سنرتكبها لو لم يكن لدينا الوحي والمواعيد، ولذلك أقول ما أقوله دائماً إن جهنم بتهديدها ووعيدها إنما تبرز عناية الله بنا ومحبته لنا بصورة لا تقل عما تبرزه مواعيد ملكوت السماوات لنا. والمحصلة النهائية هي أن جهنم بوعيدها وتهديدها، والملكوت بوعوده ومواعيده يعملان معاً على نجاتنا من الهلاك.

لا تعتقدوا أن هذا عمل كائن قاس وعديم الشفقة، بل بالأحرى هو عمل الرحمة والصلاح الفائق، هو الحماس الذي يريد به أن يجذبنا إليه، لو لم تهدد نينوى وتنذر بالهلاك بواسطة يونان لهلكت بالفعل، لو لم نكن قد هددنا بجهنم لسقطنا جميعاً فيها، لولا الوعيد بالنار لما نجا أحد.

إن الله يهدد بغير ما يريد حتى يتمم ما يريد، فهو لا يريد موت الخاطئ، ويتكلم عن موت الخاطئ حتى لا يلقى بنفسه في الموت، هذا الكلام ليس بسيطاً هو يظهر لنا الحقيقة حتى نتحاشاها.

**ثالثاً: عدم الثبات والتغير في الأمور البشرية**

وحتى لا يظن أحد أن هذا الوعيد لا فائدة منه لمعرفة الحقيقة. فإن ما حدث في هذا العالم يجعله واضحاً. الطوفان الذي اهلك البشرية أليس هو صورة لجهنم النار؟ يقول الإنجيل: ***"كما كانت أيام نوح..... يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون..... كذلك يكون أيضاً"*** (مت 24: 27). قد تنبأ نوح بهذه الحادثة قبل وقوعها بزمن طويل، ولم يكترث أحد بتهديداته، الكل ينظر لها وكأنها قصة خرافية، وموضوع للسخرية، لم يخف أحد ولم يبك خطاياه، لم يقرع أحد على صدره، إن نهر النار يغلي واللهيب ترتفع. ونحن نضحك ونعيش في الملذات، ونخطئ بلا خوف، لا يفكر أحد في هذا اليوم الأخير، ولا في الحياة الحاضرة التي سوف تمضى، وإن كل ما نراه له وقت محدد، وها هي الأحداث كل يوم تنذرنا وتسمعنا صوتها. الذين يموتون قبل الأوان، والتغيرات التي تحدث في حياتنا، كل هذه لا تعلمنا، العناصر الطبيعية أيضاً يمكن أن نرى التغيرات التي تحدث كل شئ يعطينا فرصة للتأمل حتى في شبابنا، في كل مكان وفي كل شئ التغيير يعطي علاماته.

هل يتبقى شئ مما نرى؟ كلا، لا شئ سوى أنفسنا ونحن نهملها، نحن نهتم كثيراً بما يتغير، ولكن ما يبقى إلى الأبد لا نكترث به، فلان قوي، نعم، إلى حين، ثم سوف يهلك كأمثاله الذين كانوا أقوى منه ثم اختفوا. الحياة مسرح، حلم مثلها مثل الممثلين، عندما لا يزال المسرح تختفي الأدوار المتنوعة، وكالأحلام التي تنقشع عندما تظهر أشعة الصباح، هكذا نحن عندما ينتهي دورنا في الحياة العامة أو الخاصة الكل ينقشع ويختفي. الشجرة التي زرعتها، المنزل الذي شيدته، سيبقى بعدك، المهندس المعماري والفلاح وغيره زالوا وماتوا، ومع أننا نحن شهود لكل ذلك، إلا أننا لا نتغير قط، نحن نعد كل شئ كما لو كنا خالدين، ونعيش في الترف والرخاوة.

**رابعاً: اسمعوا ما يقول سليمان**

الذي اختبر بنفسه أمور الحياة الحاضرة ***"عظمت عملي بنيت لنفسي بيوتاً غرست لنفسي كروماً عملت لنفسي جنات وفراديس جمعت لنفسي فضة وذهباً اتخذت لنفسي مغنيين ومغنيات....."*** (جا 2: 4- 8). لم يتمتع أحد بهذا القدر من الملذات، لم يصل أحد إلى هذا الحد من الشهرة والحكمة، لم يبلغ سيد هذه السلطة. ولكن ماذا؟ ألم يرضيه كل ذلك؟ وماذا قال بعد أن تمتع بكل هذا؟ ***"باطل الأباطيل الكل***

***باطل***" (جا 1: 2) ليس باطل فقط، ولكن أفصح عن رأيه بحماس كبير. أتوسل إليكم أن تصدقوه، أنه إنسان مختبر، لنسمعه ولنتمسك بما هو غير باطل، حيث تكمن الحقيقة، حيث كل شئ ثابت ومستقر، حيث كل شئ مؤسس على الصخر، لا يشيخ شيئاً ولا يزول، كل شئ مزدهر وشباب، لا تأثير للزمن عليه ولن يختفي. أتوسل إليكم لتكن رغبتنا خالصة في الله، ليس خوفاً من جهنم، ولكن رغبة في الملكوت الأبدي.

قل لي: هل توجد سعادة تشبه تلك التي نحظى بها عند رؤيتنا للمسيح؟ بالتأكيد لا توجد سعادة تضارعها، هل يوجد ما يشبه المتعة بالخيرات السماوية؟ بالتأكيد لا شئ. "***ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه***" (1كو 2: 9).

فلنجتهد للحصول على الخيرات السماوية، ولنحتقر المباهج الأرضية ألا نشكو كثيراً من أن حياة الإنسان لا تساوي شيئاً؟ لماذا إذن هذا التهافت من أجل لا شئ؟ لماذا نرهن أنفسنا لأجل شئ لا قيمة له؟ أنتم تتأملون المساكن الفاخرة فهل هذه النظرة هي التي تخدعكم؟ ارفعوا أعينكم نحو السماء قارنوا جمالها بهذه الأحجار والأعمدة، وسترون أن الأخيرة ليست سوى عمل يصنعه النمل والبعوض، اعكفوا عن التأمل، ارتفعوا إلى الأشياء السمائية. ومنها تعرفوا قيمة المباني الفاخرة، وسوف ترون أنها ليست سوى لعب أطفال صغار ألا تعرفون أن الهواء بقدر ما يرتفع يصبح أكثر رقة وخفة، أكثر نقاء وشفافية؟ هكذا الذين يعملون أعمال الرحمة لهم مساكنهم وهياكلهم. كل مسكن أرضي سوف ينهدم في يوم القيامة، بل وقبل القيامة، إذ أن الزمن في مساره يهدمه، يذيبه ويجعله يختفي، وغالباً قبل فعل الزمن، وهو في بريق حداثته، هذه أرضية تهدمه، حريق يلتهمه، لأنه تحدث وفيات مبكرة للمباني كما يحدث بالنسبة للبشر، كثيراً ما يحث زلزال للأرض نجد أن المباني البالية بالزمن تبقى في توازن، والمباني المتينة والمشيدة حديثاً، تهتز وتنقلب.

الله وضع هذا النظام بلا شك حتى لا يدخلنا الغرور والكبرياء بسبب مبانينا. هل تريدون أن لا تثبط عزيمتكم؟ اذهبوا إلى المباني العامة حيث تستمتعون بها مثل الآخرين، لأنها ليست مسكناً قط، والمسكن مهما بلغت فخامته، لا يمكنه أن يتساوى مع هذه الأبنية العامة، امكثوا فيها بقدر ما يعجبكم، فهي لكم مثل ما هي للآخرين، هي عامة وليست خاصة. قد تقولون إن هذا لا يرضيكم، إنكم تقولون هذا بفعل شهوة الاقتناء والطمع إذ أن الطمع هو الذي يعطي اللذة بالشيء وليس جماله الخاص. اللذة في الطمع وتملك ما للآخرين.

آه! إلى متى سنظل مقيدين وملتصقين بالأرض؟ إلى متى سنستمر في الوحل مثل الديدان؟ الله صنع لنا جسداً من التراب حتى نسمو به إلى السماء. وليس لنخفض به أنفسنا إلى الأرض، حقاً أن

جسدي هو أرضى من التراب، ولكن إذا أردت، يمكن أن أصيره سماوياً. انظروا أية كرامة أعطانا الله إذا استأمنا على عمل عظيم كهذا.

يقول الرب: ***أنا الذي صنعت السماء والأرض وها أنا أجعلك شريكاً في الخلقة، أجل من الأرض سماء. فأنت قادر على ذلك، قيل عن الله أنه يصنع ويغير كل شئ***" (عاموس 5: 8) وقد أعطى هذه القوة للبشر كأب مملوء بالحنان ويجيد الرسم فيريد أن يعلم ابنه أيضاً هذا الفن. ويقول لنا ***قد أعطيتك جسداً جميلاً، وأوكلت لك تكملة عمل أكبر، أن تصنع نفساً جميلة، قد قلت: لتنبت الأرض عشباً.... وشجراً ذا ثمر***" (تك 1: 11) قل أنت أيضاً لتنبت الأرض ثمرها وكل ما تريد أن تعمل سوف يثمر. أنا أصنع الحرارة والضباب، أنا صانع الرعد وخالق الهواء، أنا كونت الوحش أي الشيطان لكي أسخر منه، أسخر أنت منه أيضاً إذا كنت تريد ذلك، لأنك تقدر على ربطه كعصفور صغير، ولن أحسدك قط على هذه السلطة.

أشرقت شمسي على الأبرار والأشرار قلدني أعط جزءاً من خيراتك للأبرار والأشرار. أنا صبور على احتمال الإهانة، وأردها خيراً لمن يوجهها إليَّ، تمثل بي فأنت قادر على ذلك. أنا أعمل الخير ليس بقصد أن يرد لي قلدني أوقدت مصابيح للسماء، أوقد أنت مصابيح أكثر لمعاناً منها لأنك قادر على ذلك. أنر للذين في الخطأ ، العمل الحسن الذي تعمله لتقود الناس إلى نور معرفتي، ورؤيتي لهو أبهى بالحق من رؤية الشمس ذاتها. أنت لا تستطيع أن تخلق إنساناً ولكنك تقدر أن تغييره ليصبح صالحاً ومرضياً لله، أنا خلقت جوهرة فأعمل أنت على تجميل إرادته. أنظر كم أنا أحبك، وكم أعطيتك من قدرات تتناسب مع الأمور الكبيرة التي أسندتها إليك، أنا أملك على الملائكة، وكذلك أنت تملك معي منذ أن أخذت طبيعتك وصرت أنت شريكاً لطبيعتي فقمت معي وأصعدت باكورتك معي وأجلستها عن يمين الآب في السماويات حيث جلست أنا "***وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع***" (أف 2: 6).

الشاروبيم والسيرافيم، وكل صفوف الملائكة، الأمراء والقوات العروش السلاطين ينحنون كلهم أمامك لأنك صرت فيَّ مكرماً وممجداً. لا تدين جسدك الذي يتمتع بمثل هذا الشرف والذي تبجله القوات الروحانية. ولكن ماذا أقول؟ ليس بهذا فقط ولكن أيضاً بآلامي لقد بُصق على وجهي من أجل، دبرت محبتي أن تربحك، صُفعت على خدي تركت مجدي وإني بنزولي من إقامة أبي، أتيت نحوك، أنت الذي أبغضتني وتحولت عني بعيداً غير راغب حتى أن تسمع أسمي، ركضت وراءك لأمسك بك، وربطتك بي قائلاً كل جسدي وأشرب دمي، إني أرفعك إلى السماء وأجئ لك على الأرض لأقبلك، لم أكتف بهذا بل اخترقت كيانك إذ أنت أكلتني وصرت فُتاتاً صغيراً، ليكون امتزاجي بك أكثر واتحادي بك أكمل وأبلغ حتى لا يكون انفصال فيما بعد، بعد أن صرنا أنا وأنت واحداً.

بمعرفتنا ذلك، وبإدراكنا كم كان حنان الله عظيماً نحونا، فلنعمل جاهدين حتى نكون مستحقين للحصول على هذه الهبات العظيمة في شخص المسيح يسوع ربنا الذي له مع الآب والابن والروح القدس المجد والقوة والعزة، الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

www.orthodoxonline.org

الموعظة السادسة عشرة

***"أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح والملائكة المختارين أن تحفظ هذا بدون غرض ولا تعمل شيئاً بمحاباة، لا تضع يداً على أحد بعجلة ولا تشترك في خطايا الآخرين احفظ نفسك طاهراً لا تكن فيما بعد شراب ماء بل استعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة"***

(5: 21- 23؛ 6: 1)

التحليل

**أولاً:** عن السيامات، يجب أن لا تتم بعجلة ودون فحص دقيق.

**ثانياً:** واجبات الخدام، التشجيع الأدبي لخدمة الله.

**أولاً: السيامات**

بعد أن تكلم الرسول عن الأساقفة والشمامسة، والرجال والنساء، والأرامل والشيوخ وعن الكل، وبعد أن أبرز سلطات الأسقف بصفته حاكماً، يضيف الرسول: ***أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح والملائكة المختارين أن تحفظ هذا بدون غرض ولا تعمل شيئاً بمحاباة***" يواصل الرسول أوامره بلهجة صارمة، وإن كان تيموثيئوس هو ابنه الحبيب، إلا أنه لا يتردد لهذا السبب.

فالذي لم يخشى أن يقول عن نفسه: ***أخشى بعدما كرزت للآخرين أصير أنا نفسي مرفوضاً*** " (1كو 9: 27) لم يتردد في إسداء النصح لتلميذه تيموثيئوس، وإذا كان يناشده أمام الآب والابن، فلماذا يضيف الملائكة؟ موسى قال نفس المعنى: ***أشهد عليكم اليوم السماء والأرض***". (تث 4: 26) حتى لا ينطق اسم الرب، وجاء أيضاً ***اسمعي أيتها الجبال ويا أسس الأرض*** " (مي 6: 2) بولس أتخذ الآب والابن شهوداً على كلامه مبرراً نفسه أمامهم لليوم الآتي. فإذا نتجت بعض المخالفات في الواجبات فكل مسئول عن نفسه ***أن تحفظ هذا بدون غرض ولا تعمل شيئاً بمحاباة***". أي تضع نفسك في مرتبة الذين حاكمتهم أنت، حتى لا يدركك أحد ويسبقك في أن يكون سيداً على حكمك، ولماذا يقول ***الملائكة المختارين***" لأنه يوجد غير مختارين. يعقوب أيضاً استشهد بالرب والتل، وهكذا نحن أيضاً كثيراً ما نستشهد بأشخاص بارزين وآخرين أقل منهم. حتى تكون الشهادة أكثر قوة. كما لو كان يقول، فأني استشهد بالله وبابنه وخدامه عن المبادئ التي أعطيتها لك، لأني أعطيتها لك في حضورهم وبذلك يوحي بالخوف لتيموثيئوس.

ثم يواصل الرسول حديثه متناولاً موضوعاً أكثر ملاءمة لسلام الكنيسة وهو السيامة (الرسامة) ***لا تضع يدك على أحد بالعجلة ولا تشترك في خطايا الآخرين***" ماذا يعني "بالعجلة" يعني أنه لا يكفي

الاختبار الأول ولا الثاني ولا الثالث، بل يلزم دراسة متكررة وامتحان عميق، لأنه عمل فيه خطورة، لأنك سوف تكون مسئولاً عن أخطاء الكهنة، الذين أقمتهم ورسمتهم، سواء عن تلك التي اقترفوها قبل رسامتهم أو التي تلت رسامتهم. لأنك كنت قد تساهلت معهم بالنسبة لأخطائهم السابقة لرسامتهم، والتي لم تكن لهم معك فرصة لكي يندموا ويتوبوا عنها، أما اللاحقة فستكون مسئولاً عنها، لأنك أنت في الواقع هو المسبب لها لأنك أقمتهم رعاة. لأنه كما لك نصيب في الفوائد الروحية التي يجنيها تلاميذك، فأنت تشاركهم أيضاً المحاسبة عن أخطائهم.

***أحفظ نفسك طاهراً*** " يتكلم هنا عن العفة، ***لا تكن فيما بعد شراب ماء بل استعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة***" وإذا كان الرسول يصف لتيموثيئوس الاعتدال وهو رجل مولع بالصيام، وكان يستعمل المياه بإفراط، مما سبب له أسقاماً كثيرة فالرسول هنا يأمره بالاعتدال.

وإذا كان تيموثيئوس لا يرفض ذلك فكم بالحرى يجب علينا ألا نمتعض إذا وجهت إلينا بعض التوجيهات. قد يقال لماذا لم يشف معدة تلميذه، وهو الذي كانت ملابسه تقيم الموتى وواضح أنه كان يستطيع ذلك؟ لماذا إذن لم يفعله؟ حتى إذا رأينا اليوم أناساً عظماء وفضلاء يصابون بالأمراض، لا نعثر لأن ذلك حدث لأجل فائدتهم، فإذا كان أحد ملائكة الشيطان لطم بولس لئلا يرتفع من فرط الإعلانات (2كو 12: 7). فالخوف الأكثر على تيموثيئوس إذ هو أيضاً كان يجرى معجزات قد تقوده إلى الارتفاع والكبرياء فتركه يخضع لقوانين الطب حتى تتضح أفكاره ولا يعثر الآخرون، بل يتعلمون أن بولس وتيموثيئوس كانا من نفس طبيعتنا، وهما اللذان أحرزا هذا التقدم في الفضيلة، لأنه يبدو أن تيموثيئوس كان سقيماً، وهذا ما يفهم من قول بولس "***من أجل أسقامك الكثيرة***" إذ أنه كان يعاني من سقم معدته وأسقاماً أخرى بجسمه، إلا أنه لم يسمح له أن يشرب من الخمر دون اعتدال فقد سمح له بالقليل فقط من أجل صحته، وليس من أجل الرخاوة.

"***خطايا بعض الناس واضحة تتقدم إلى القضاء وأما البعض فتتبعهم***" الرسول عندما تكلم عن وضع الأيدي (الرسامات) قال: لا تشترك في خطايا الآخرين قد يقال وإذا كنت أجهلها؟ خطايا البعض معروفة لأنها مقدمة للمحاكمة، والبعض الآخر من الخطايا غير معروفة لأنها خلفية. يريد الرسول أن يقول. أن بين الأعمال الرديئة، توجد المكشوفة والمستترة، ولكن يوم المحاكمة، لا يختفي شيئاً، صالحاً كان أم رديئاً.

"***جميع الذين تحت نير فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام، لئلا يفترى على اسم الله وتعليمه***" (5: 1) فليحسبوهم مستحقين كل إكرام لا تفتكر نفسك حر لأنك مؤمن، إذ أن الحرية الحقيقية هي أن تحب الخدمة، لأن غير المؤمن إذ رأى عبيده المؤمنين يسلكون بوقاحة، سوف ينطق بتجاديف، قائلاً. إن

الإيمان المسيحي يسمح بالتمرد على السلطة، أما إذا رآهم مطيعين، سوف يتحول بسهولة ويعد ذاته لكلام الله، وقد يقال وماذا إذا كان السادة مؤمنين؟ حينئذ تجب الطاعة أيضاً لأجل اسم الله "***والذين لهم سادة مؤمنون لا يستهينون بهم لأنهم أخوة بل ليخدموهم أكثر، لأن الذين يشتركون في الفائدة هم مؤمنون ومحبوبون***".

**ثانياً: واجب الخدام**

إذا كان لكم شرف الخدمة عند سادة مؤمنين فهذا يلزمكم بأن تكونوا أكثر خضوعاً لهم "سابقة للقضاء" يريد الرسول أن يقول: إن بين الأعمال الرديئة، توجد المكشوفة والمستترة، ولكن يوم المحاكمة لا يختفي شئ صالحاً كان أم رديئاً، ولماذا يقول الرسول ذلك؟ لأن بعض هذه الخطايا قد يتمكن أصحابها من إخفائها هنا في هذه الدنيا ولكنهم لن يمكنهم ذلك في يوم الدينونة العظيم حيث كل شئ سيكون عرياناً ومكشوفاً كذلك أيضاً الأعمال الصالحة واضحة ولا يمكن أن تخفى، هنا يوجد تشجيع كبير للصالحين، وبين الأوامر السابقة مثل. ولا تعمل شيئاً بمحاباة .... الخ وأيضاً. جميع الذين هم عبيد تحت نير ، فبين الاثنين تتابع طبيعي وضروري، والأخيرة تشرح الأولى. وهل الأخيرة تخص الأسقف؟ نعم وبلا شك وذلك أنه يجب عليه إصدار تعليماته للخدام.

ونلاحظ أن الرسول في كل مرة يوجه أوامره للعبيد أكثر من السادة. مبيناً لهم طرق الخضوع معطياً إياهم اهتماماً كبيراً. وللسادة يقول: "***تاركين التهديد***" (أف 6: 9) لماذا هذه التوجيهات؟ غير المؤمنين كانوا في حاجة لها، ولكنه لم يستطع سوى مخاطبة الذين اقتنوا الإيمان، وما هي حاجة السادة المؤمنين إلى ذلك؟ لأن السادة يعطون العبيد أكثر مما يعطي العبيد لسادتهم. السادة ملتزمون برعاية عبيدهم، وتدبير كل احتياجاتهم، من ملبس ومأكل وغيره، بمعنى أن السادة هم بالأحرى الذين يخدمون عبيدهم، وهذا ما يريد أن يوضحه الرسول بقول "***إن الذين يتشاركون في الفائدة هم مؤمنون ومحبوبون***" هم يتعبون ويتحملون المشقات من أجل راحتهم، ألا يجب أن يكونوا مكرمين من خدمهم؟

وإذا كان الرسول قد أمر العبيد أن يكونوا هكذا مطيعين، فكروا في كيف يجب أن نسلك نحن تجاه سيدنا الذي خلقنا من العدم، الذي يعطينا الغذاء والملبس. لنخدمه على الأقل كما يخدمنا خدمنا. أليسوا هم يبذلون حياتهم إلى النهاية لتحقيق ما يريح سادتهم؟ اهتماماتهم وحياتهم مكرسة لتحقيق منافع سادتهم. أليسوا هم ينشغلون طوال اليوم غير مبقين لراحتهم سوى جزءاً بسيطاً من الليل؟ نحن على العكس ننشغل بصفة مستمرة بمصالحنا، ولا نعطي سيدنا حتى جزءاً قليلاً من النهار، ومع ذلك هو لا يطالبنا بما هو علينا، كما يطالب السادة عبيدهم، رغم أن الذي نقدمه له ترجع فوائده ومكاسبه إلينا. السادة في العالم

يستفيدون من أعمال عبيدهم، أما في مجال الخدمة وعبادة الله فالمستفيد هو الخادم نفسه، أما الرب فلا ينتفع شيئاً. يقول المرتل ***أنت لست محتاجاً لصلاحي***" قل لي أية فائدة تعود على الله من كوني صالحاً؟ وماذا يخسر الله لو كنت غير صالح؟ أليس جوهره ثابتاً لا يتأثر ولا يتغير؟ أليس جوهره فوق كل آلم. أن العبيد لا يملكون شيئاً، كل شئ ملك لسيدهم مهما أصبحوا أثرياء، أما نحن فلنا أشياء كثيرة خاصة بنا، وليست هذه هي الكرامة الوحيدة التي نحصل عليها من ملك الكون. أي سيد أعطى ابنه الوحيد لأجل خادمه؟ لا أحد، بل بالأحرى الكل يعطون خدمهم لأجل أولادهم. هنا العكس تماماً الله لم يضن بابنه الوحيد، بل أسلمه من أجلنا كلنا، من أجل أعدائه، من أجل الذين يبغضونه، العبيد حينما نعطي لهم تعليمات قاسية لا يغضبون، بل يظهرون معترفين بالجميل، ونحن نعترض متعللين بألف سبب. السيد لا يعد خدامه بالمكافآت التي وعدنا بها الله. بماذا يعد السيد عبيده؟ بالحرية وهي غالباً ما تكون أصعب في تحملها من العبودية، وكثيراً تحت تأثير الجوع نجدها أكثر مرارة عليهم من العبودية،إذا ستتركهم يهلكون جوعاً، فلن تكون بالنسبة لهم هبة أو منحة بأي حال، أما في مجال الله فليس هناك شئ زائل ولا قابل للفساد. فبماذا وعدنا؟ ***"لا أعود أسميكم عبيداً بل سميتكم أحباء***" (يو 15: 15).

لنخجل ونخشى يا أحبائي، نحن ملزمون بخدمة سيدنا على الأقل مثلما يخدمنا خدمنا، ولكن في معظم الوقت لا نقدم له خدماتنا، هؤلاء هم فلاسفة رغماً عنهم، لأنهم لا يملكون سوى الملبس والغذاء، بينما نحن نهين الله برخاوتنا. إذا كنا لا نتعلم بعد الحكمة عن طريق آخر فلنتعلمها منهم. الكتاب المقدس يوجه الناس ليتعلموا ليس من العبيد فقط بل من كائنات غير عاقلة، مثلما يأمرنا بتقليد النحل والنمل، أما أنا فأحثكم على تقليد خدمكم، نعمل على الأقل بخوف من الله كل ما يعملونه هم بخوف من سادتهم، لأنني ألاحظ أنكم لا تعملون ذلك. هم دائماً بسبب الخوف يستسلمون للإهانة في هدوء أكثر من أي فيلسوف، يُشتمون بالحق وبالباطل دون تذمر، بل يطلبون العفو، وغالباً دون أن يكونوا قد اقترفوا ذنباً. لا يحصلون إلا على الضروري وغالباً على أقل منه ويصبرون، وينامون على حصيرة من القش، وغذاؤهم قاصر على الخبز، كل معيشتهم في فقر، ولا يطالبون بشئ ولا يغضبون، لأنهم يخشوننا، متى أودعناهم نقوداً يردونها لنا بالكامل: "لا تكلمونني عن الفاسدين بل عن الذين لم يتمادوا في الشر فهم يخضعون عند أول تهديد. أليست هذه فلسفة؟ لا تقولوا أنهم يفعلون ذلك بحكم الضرورة لأنكم أنتم أيضاً لديكم ضرورة، وهي تجنب جهنم، ومع ذلك غير حذرين ولا تقدمون لله كرامة بقدر ما هم يقدمون لكم. كل واحد منهم له مسكنه المحدد، ولا يعتدي على ما يخص زميله، حتى لو طمع فيه زميله فهذا لا يدفعه للوقوع في الخطأ. خوفهم من سيدهم يربطهم بالواجب، نادراً ما يحدث أن يسئ خادم منهم إلى الآخر ويسبب له خسارة.

ولكن بين الأحرار يحدث العكس، نحن نتقاتل، نفترس بعضنا البعض، لا نخاف سيدنا، نسلب ما يخص خدماً مثلنا، نسرق، نضرب، كل هذا تحت نظر الله لا يوجد عبد يفعل ذلك، إذا ضرب فبعيداً عن أعين سيده، وإذا شتم فبعيداً عن سمعه، ونحن نجسر على كل ذلك، مع أن الله يرانا ويسمعنا. إن مهابة السيد دائمة حاضرة في أذهانهم، أما نحن، أبداً ولذلك نرى في كل مكان الانقلاب والفوضى والفساد، ولا نفكر في خطايانا، وإذا أرتكب خدمنا أخطاء ولو صغيرة جداً نحاسبهم بشدة. لا أقول ذلك لكي أعلم العبيد الكسل، بل لنطرح عنا كسلنا، لنوقظ عدم اكترثنا، حتى نكون بالنسبة لله على الأقل مثل العبيد بالنسبة لنا، هم من نفس طبيعتنا ولم يحصلوا منا على خيرات تقارن بما قدمه الله لنا، هم أيضاً أحرار بالطبيعة، النص الوارد في سفر التكوين *"يتسلطون على سمك البحر.....الخ"* (تك 1: 26). قيل لأجلهم أيضاً العبودية لا تأتي من الطبيعة، بل من العقوبة والظروف السيئة، ومع ذلك هم يقدمون لنا احتراماً كبيراً. هم ينفذون بدقة كل ما يختص بخدمتنا، أما نحن فنختلس معظم الوقت الذي يخص الله، والذي ترجع فائدته كلها علينا. لأنه بقدر ما نكون متحمسين لهذه الخدمة بقدر ما يكون لنا سعادة وربح. ليتنا لا نحرم أنفسنا من هذه الفائدة، لأن الله مكتف بذاته، وليس في حاجة إلى أي شئ، المكافأة والمكسب سيعودان علينا. وفي الواقع إننا لا نخدم الله، بل نخدم أنفسنا، لنطيعه بخوف ورعدة، حتى نحصل على الخيرات الموعودة بواسطة المسيح يسوع ربنا، الذي له مع الآب والروح القدس، المجد والقوة والكرامة ، الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

www.orthodoxonline.org

الموعظة السابعة عشرة

***"علم وعظ بهذا إن كان أحد يعلم تعليماً آخر ولا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة والتعليم الذي هو حسب التقوى. فقد تصلف وهو لا يفهم شيئاً بل هو متعلل بمباحثات ومماحكات الكلام التي فيها يحصل الحسد والخصام والافتراء والظنون الردية. ومنازعات أناس فاسدي الذهن وعادمي الحق يظنون أن التقوى تجارة تجنب مثل هؤلاء. وأما التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة. لأننا لم ندخل العالم بشئ وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشئ"***

(6: 2-12)

التحليل

**أولاً:** المكلف بالتعليم يلزمه السلطة والرقة، الكبرياء تولد الجهل.

**ثانياً:** الطمع عدو الإيمان والخلاص.

**ثالثاً:** هو أصل لكل الشرور.

**أولاً: المكلف بالتعليم يلزمه السلطة والرقة**

الذي يعلم لا يحتاج فقط للسلطان، بل لقدر كبير من الرقة، كما أن الرقة وحدها لا تكفي، بل يلزم معها أيضاً السلطان. كل هذا يعلمه الطوباوي بولس بقوله تارة "***علم وعظ بهذا***" وتارة أخرى "***علم بهذا وشجع على إتمامه***" لأنه إذا كان الأطباء يحثون مرضاهم على الشفاء، هكذا نحن يلزمنا بالأكثر أن نحث الذين نعلمهم. الطوباوي بولس في الواقع لا يرفض الخدمة عندما يقول: "***فإننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع رباً لكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع***" (2كو 4: 5) وفي موضع آخر "***أبولس أو أبلوس كل شئ لكم***" (1كو 3: 22) هكذا هو يخدم بقلب كبير، لأن الخدمة ليست عبودية، بل هي حالة أفضل من الحرية، يقول الكتاب "***من يعمل خطية هو عبد للخطية***" (يو 8: 34).

"إن كان أحد يعلم تعليماً آخر ولا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة والتعليم الذي هو حسب التقوى فقد تصلف وهو لا يفهم شيئاً" إذن ليس العلم هو الذي يقود إلى الكبرياء بل الجهل. لأن الذي يعرف التعليم الصحيح الذي هو حسب التقوى، يعرف كيف يكون معتدلاً تماماً الذي يعرف التعاليم الصحيحة نفسه ليست مريضة، وكما تصاب الأجساد بالالتهاب هكذا تصاب النفوس بالكبرياء. وكما لا يمكننا القول عن إنسان مريض بالالتهاب إنه سليم هكذا لا يمكن القول عن المتكبر أنه سليم، ونرى هنا بوضوح أن الكبرياء ينشأ من الجهل. السيد المسيح بذل ذاته ومن يعرف ذلك لا ينتفخ أبداً. لأن كل ما يملكه الإنسان هو من الله. "***وأي شئ لك لم تأخذه***" (1كو 4: 7) المسيح نفسه غسل أرجل تلاميذه، من

يعرف ذلك وينتفخ بالكبرياء؟ لهذا قال: "***متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا أننا عبيد بطالون***" (لو 17: 1) مدح العشار لأجل تواضعه فقط، والفريسي هلك بسبب كبريائه، إذن الذي يستكبر لا يعرف شيئاً من ذلك. والسيد المسيح قال أيضاً: "***إن كنت قد تكلمت رديئاً فأشهد على الرديء وإن حسناً فلماذا تضربني***" (يو 18: 23).

يقول الرسول "***هو متعلل بمباحثات ومماحكات الكلام***" إذن الذي يتعلل بالمباحثات هو مريض، نعم بلا شك، لأن النفس المحمومة هي التي تتعلل بالبحث، أما إذا كانت بصحة جيدة تقبل الإيمان بثقة. المباحثات ومماحكات الكلام لا توصل لشيء. لأن الذي يعلنه الإيمان تعمل المباحثات على إخفائه عن شئ ليجده وهو مغلق العينيين يسقط في حفرة، ويفقد مكان البحث ولا يستطيع أن يجد شيئاً، هكذا من كان بعيداً عن الإيمان لا يكتشف شيئاً، ولابد أن تولد الاضطرابات.

"***الافتراء والظنون الرديئة***" أي الآراء والتعاليم الفاسدة الناتجة عن هذه المباحثات، وحينئذ نشك بالنسبة لله فيما لا يجب أن نشك فيه، "***منازعات أناس فاسدي الذهن***"، أي المشادات الكلامية غير المفيدة، أو ربما يريد أن يقول أيضاً: مثل الحملان السقيمة التي تنقل مرضها للصحيحة. فهكذا أيضاً بالنسبة للرجال الفاسدين: "***وعادمي الحق يظنون أن التقوى تجارة***" تلاحظون مدى المصائب التي يذكرها الرسول الناتجة عن مماحكات الكلام: الشراهة المخجلة للربح، الجهل، الكبرياء الناشئ عن الجهل. ابعدوا عن هؤلاء الناس لا تلتقوا بهم قط "***الرجل المبتدع بعد الإنذار مرة ومرتين أعرض عنه***" (تي 3: 10) يريد الرسول أن يوضح لنا أن جهلهم ناتج على الأخص عن عدم اكتراثهم، هل يمكنكم أن تجذبوا أناساً يكافحون من أجل الغنى؟ كلا لن تستطيعوا إلا بإعطائهم المزيد، ومع هذا لن تقدروا أن تشبعوا رغباتهم.

"عين الشره جشعة لا تسر بنتيجة جزئية" (يشوع بن سيراخ 14: 9)، يجب الابتعاد عن غير القابلين للإصلاح، وإذا كان الرسول ينبه من هو بالضرورة ملتزم بالنضال أن يتحاشاهم ولا يكون على علاقة بهم. فكم بالحرى ينبهنا نحن الذين في مرتبة التلاميذ البسطاء.

وإذا قال أن هؤلاء الناس عادمي الحق يظنون أن التقوى تجارة، وخشى أن تلميذه يخور ويقع في الوقت بسبب فقره، أضاف "***أن التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة***"، نعم هو نوع منها ولكن من طبيعة أخرى أسمى وأعظم، وعظمتها ليست بامتلاك الثراء، بل بعدم امتلاكه، وبذلك قد قلل من قدر الأولى ومزاياها، ممجداً الأخرى ورافعاً من شأنها. الغنى هنا لا يساوي شيئاً: هو يبقى على الأرض، لا يتبعنا ولا يرحل معنا. وما هو البرهان على ذلك؟ أننا دخلنا العالم بلا شئ وواضح أننا سنخرج منه بلا شئ عرياناً جاء جسدنا، وعرياناً سيذهب، إذن لسنا في حاجة لفائض، مادمنا لم نحضر للعالم بشيء

وسوف نغادره أيضاً دون شئ كما يقول الرسول: ***فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما*** " ويجب أن نأكل فقط ما يلزم لغذائنا ونلبس فقط ما يلزم لتغطية عرينا، ليس أزيد من ذلك.

## ثانياً: الطمع عدو الإيمان والخلاص

يدفعنا الرسول بعد ذلك إلى التخلص من الارتباطات الأرضية بقوله: ***أما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء*** "لم يقل الذين هم أغنياء، بل الذين يشتهون الغنى، لأنه من الممكن أن يمتلك شخصاً مالاً ويستخدمه استخداماً حسناً، دون أن يبالغ في تقييمه له، بتوزيعه على الفقراء، مثل هذا لا يلام، إنما يلام من يرغب في الغنى. ويقول عن الذين يريدون أن يكونوا أغنياء أنهم "***يسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تغرق الناس***" نعم تغرقهم بحيث لا يستطيعون أن ينهضوا. "في العطب والهلاك" في هذا العالم وفي العالم الآخر "***لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذا ابتغاه قوم ضلُّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة***" وهنا يشير الرسول إلى مصيبتين، ولكنه يضع في المؤخرة تلك التي تظهر لهم أكبر وهي الأوجاع الكثيرة. ولا يمكن معرفة مدى أنين وبكاء الأغنياء دون القرب منهم.

"***أما أنت يا إنسان الله***" هنا وقار عظيم لأنه إذا كان كل البشر يخصون الله بالخليقة، إلا أن الصالحين منهم لا يخصونه فقط بالخليقة، بل برابطة المحبة أيضاً يقول له: إذا كنت أنت إنسان الله، فلا تبحث وراء ما هو زائد عن حاجتك، ولا يقود قط إلى الله، ويضيف "***أهرب من هذا واتبع البر***" والاثنين أفعلهما بحماس: لأنه لم يقل له ابتعد ولا اقترب بل "***اهرب واتبع البر***" حتى لا ترتكب غشاً "والتقوى" في العقيدة "والإيمان" وهو على عكس المباحثات، "***المحبة والصبر والوداعة، جاهد جهاد الإيمان الحسن، وامسك بالحياة الأبدية***" (هذا هو الثمن). "***التي إليها دعيت أيضاً واعترفت الاعتراف الحسن***"، أملاً في الحياة الأبدية. "***أمام شهود كثيرين***" أي لا تخزن اعترافك الكريم. ولماذا كنت قد تكبدت متاعب لا فائدة منها؟

وما هي التجربة والفخ اللذان يقصدهما الرسول والمعرضون لهما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء؟ هي الشهوات التي تحولهم عن طريق الإيمان، حيث تحيق بهم المخاطر، وتصيرهم في خجل.

والرسول عبر عن ذلك بكل دقة: "***ضلوا عن الإيمان***" لأن الطمع جذب أنظارهم، ولم يسمح لهم أن يعرفوا طريقهم، وشيئاً فشيئاً أبعدهم عن الحق. كإنسان يسلك طريقاً سليماً، ثم انشغل فكره بشيء ما فأنحرف لا إرادياً وبلا شعور عن طريقه، هكذا يفعل الجشع متى أصاب إنساناً، "***طعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة***" تلاحظون ما يقصده الرسول بكلمة "طعنوا" كالأشواك. من يمسكها تجرح يديه وتدميها. هذا يبرهن على أن الذي يستسلم للطمع: يضع نفسه داخل شبكة مؤلمة مليئة بالأحزان. كم من الهموم والآلام يعاني

منها هؤلاء. ولذا يضيف الرسول ***"اهرب من هذا واتبع البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة"*** من المحبة تنشأ الوداعة. والرسول يمدح أيضاً الإخلاص الجريء وشجاعة تلميذه واعترافه الحسن أمام شهود كثيرين. ويذكره بتعليمه ويقول له ***"أمسك بالحياة الأبدية"***.

فلا يكتفي إذن بالاعتراف بالإيمان، بل بممارسته بالصبر والمداومة عليه وأن نحتمل من أجله الدخول طوعاً في معركة شرسة. نجاهد فيها بالعرق والكفاح. ونصمد حتى لا نرتد عن الإيمان، فالشكوك والعوائق والعثرات كثيرة. ولهذا فإن الطريق ضيق وكرب، فيجب أن يكون متاعنا فيه خفيفاً حتى تتسنى لنا سرعة الحركة، من كل جانب، آلاف اللذات وتُعرض لتغرى أعين النفس. لذات الحواس، الثراء، التكاسل، الرخاوة، الشهرة، السلطة، الغضب، الطموح كل هذه اللذات تظهر بشكل براق وجذاب يمكن أن يسحر ويستميل الذين لا تتوافر لديهم الرغبة الحقيقية للحق. والمحبة للحقيقة ذاتها. لأن الحقيقة في ذاتها جافة وليس فيها ما يجذب ويغرى لماذا؟ لأنها لا تعد راغبيها سوى بأمجاد بعيدة يتحقق نوالها في المستقبل. بينما هذه اللذات التي تنافسها تقدم لنا الشرف والكرامة والملذات والراحة، وإن كانت ليست حقيقية، بل مغطاة بألوان زائفة والإنسان اللين والضعيف ينجذب إليها ويرتبط بها تاركاً حياة الجهاد ورافضاً حياة العمل. هكذا في معارك عبادة الأوثان، فالذي لا يرجو بحرارة أن يحصل على الأكاليل يستسلم للولائم والخمر، وهذا ما يفعله الملاكمون الذين ليس لهم عزيمة ولا شجاعة. أما من كانت عينه مركزة على الإكليل فهو يفضل أن يحتمل ويتقبل الضربات الكثيرة من أجل المكافأة إذ أن رجاء المواعيد بهذه المكافأة المستقبلة يقويه وينهض به.

## ثالثاً: هو أصل لكل الشرور

لنبتعد عن أصل الشرور، ولنرفضها كلها يقول الرسول: ***"لأن محبة المال أصل لكل الشرور"*** إن بولس هو الذي قال ذلك أو بالأحرى السيد المسيح. ونرى أن الحياة نفسها تبرهن على هذا وتؤكده. وفي الواقع أي شر لا ينتج عن الغنى. أو بالأحرى ليس عن الغنى في حد ذاته بل عن الإرادة الرديئة للذين لا يعرفون كيفية استخدامه؟ كان من الممكن استخدامه في القيام بما هو عليهم من واجبات ويحصلون بواسطته على ميراث ملكوت السماوات. ولكن اليوم فإن ما أعطى لنا لمواساة الفقراء ومساعدتهم، ولتخفيف ثقل الخطايا عنا، ولإكرام اله ومرضاته، ونحن نستخدمه ضد الفقراء والبوساء، بل وضد نفوسنا، ولإهانة الله، الإنسان الذي يجرد قريبه مما يملكه ملقياً به في الشقاء، هو يلقى بنفسه في الموت، فالذي سلب يقاسي من البؤس، والسالب يعاقب بالهلاك الأبدي، أليس هو أيضاً بائس؟ وما هي الشرور التي لا تنشأ من ذلك؟ أليست العواقب هي الغش والاغتصاب والبكاء والكراهية والصراع والشجار؟ تمتد يده حتى

إلى الأموات، وإلى أبيه وأخيه، يحتقر وصايا الله وقوانين الطبيعة، كل شئ يصير منقلباً عنده، وباختصار أليس هو الطمع الذي يستبد بالناس هكذا؟ أليس هو السبب في قيام المحاكم؟ أزيلوا محبة الثراء وحينئذ ستنتهي الحرب والصراع والكراهية والمشاحنات والشجار كل هذا يصبح لا وجود له. إن مثل هؤلاء الناس يجب طردهم من الأرض، كالكوارث العامة والذئاب. كما أن الرياح العاصفة والمضادة التي تقع على بحر هادئ تثيره وتعكره إذ تخلط مياهه بالرمال الموجودة في قاعة هكذا المحبون للغنى يعكرون صفو العالم. مثل هذا الإنسان الطامع لا يعرف له صديقاً، ولماذا أقول صديقاً؟ وهو لا يعرف الله نفسه !! تحت سيطرة شهوته أصبح عديم الإحساس.

ما الذي يمكن عمله؟ كيف نطفئ هذا اللهيب؟ حقاً أنه قارب أن يصل إلى السماء، فإذا أردنا أن نتحكم فيه فالإرادة تكفي لذلك، فكما أن الإرادة هي التي أشعلت هذه النار فهي قادرة وحدها على إطفائها، أليست إرادتنا الحرة هي التي أوجدتها؟ فهي تقدر أيضاً أن تطفئها، فقط علينا أن نوقظها. ولكن كيف تتولد فينا هذه الإرادة؟ إذا فكرنا في تفاهة هذه الشهوة وبطلانها، وأن الغني سوف لا يتبعنا في الحياة الأخرى، بل قد يتركنا ونحن لا نزال في هذه الحياة، وأن هذه الشهوة سوف نتركها وراءنا هنا، ولكن الجراح التي تسببها لنا، سوف نحملها معنا في العالم الآخر، وأيضاً إذا قارنا غنى السماوات بغنى الأرض فسوف يظهر لنا أن غنى الأرض أكثر خسة من الطين وينطوي على مخاطر كثيرة، وأن الشهوة زائلة ومخلوطة بالاشمئزاز، وإذا تأملنا في غنى الحياة الأبدية، فسوف نحتقر غنى هذا العالم ولا سيما حينما نراه ضاراً بسمعتنا وصحتنا، وكثيراً ما يؤدي إلى الهلاك والدمار.

اللؤلؤة جميلة، ألا تفكرون أنها من مياه البحر، وكانت قبلاً مطروحة فيه؟ الذهب والفضة بشكلهما الجميل أما فكرتم في أنهما من التراب والرماد؟ الملابس الحريرية الزاهية ألا تفطنوا أنها من نتاج الديدان؟ إن هذا الإحساس وذلك التقدير لهذا الجمال يستوليان على أفكاركم، ويتأثرون بهما اعتباطاً، وبناء على أحكام مزيفة قد سادت على عقولكم بصورة زائفة مغشوشة رأيتم من خلالها هذا الجمال، وإذا رأيتم مثلاً قطع من النحاس مغشاة بقشرة رقيقة من الذهب فسوف تعجبون بها وتقدرونها. معتبرين إياها ذهباً خالصاً، ولكن متى نبهكم أرباب المهنة وكشفوا لكم عن هذا الغش سيزول إعجابكم وانبهاركم. وهكذا في حياتكم تبهرون بأمور كثيراً ما تكون غاشة ومخادعة على مثال قطعة النحاس هذه المطلاة بالذهب، ومثيلتها قطعة القصدير المطلاة بالفضة لذلك يجب أن تتفطنوا وتتعلموا حتى تعرفوا ما هو جدير حقاً بالإعجاب والتقدير، فالعيون بنظرتها السطحية، لا تكفي للمعرفة وللحكم الصائب على طبيعة الأشياء. ألا تلاحظون أن هذا الجمال الزائف والمخادع ليس له وجود في الطبيعة بصفائها ونقائها؟ فإذا شاهدتم مثلاً وردة أو زهرة، فأنتم لستم في حاجة إلى ن يعرفكم نوعها وأسمها، وتعرفون أن تميزوا جيداً وبحق بينها

وبين أي وردة أو زهرة أخرى، فهذه زهرة الربح وأخرى زهرة الياسمين وثالثة زهرة البنفسج، وهكذا دون أي لبس أو شك.

فلنفيق إذاً من هذا السكر، ونفكر، فيما هو حقاً جميل، ما هو جميل بطبيعته، التقوى ، الصلاح، حتى ننال الخيرات الموعودة التي أتمناها لكم جميعاً بنعمة ورأفة ربنا يسوع المسيح الذي له مع الآب والابن والروح القدس المجد والقوة والكرامة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

www.orthodoxonline.org

الموعظة الثامنة عشرة

***"أوصيك أمام الله الذي يحيي الكل والمسيح يسوع الذي شهد لدى بيلاطس البنطي بالاعتراف الحسن. أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح. الذي سيبينه في أوقاته المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب الذي وحده له عدم الموت ساكناً في نور لا يدني منه الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه الذي له الكرامة والقدرة الأبدية آمين"***

(6: 13 إلى آخر الإصحاح)

التحليل

**أولاً:** الرسول يلجأ إلى الله ليعطي وزناً أكبر لنصائحه ولكي يكون لها أثر أكبر على ذهن تلميذه.

**ثانياً:** الالتصاق بالإيمان لا بالعلم البشري عدم ثبات الأشياء هذا العالم.

**أولاً: الرسول يلجأ إلى الله ليعطي وزناً أكبر لنصائحه**

الرسول هنا أيضاً يشهد لله كما فعل من قبل، حتى يجعل كلامه أكثر خوفاً، ويؤكد أكثر لتلميذه، أن هذه الأوامر ليست أوامر بشرية، يريد في الواقع أن يشعره أن هذه الوصية من السيد نفسه، ***"أوصيك أمام الله الذي يحيي الكل"***. هنا تشجيع له لمواجهة المخاطر وتذكره له برجاء القيامة ***"والمسيح يسوع الذي شهد لدى بيلاطس البنطي"*** هنا أيضاً تشجيعاً مشتقاً من السيد المسيح نفسه. إنه يريد أن يحثه أنه كما سلك السيد ينبغي هكذا أن نسلك نحن مقتفين آثاره. وهذا يطابق ما قاله الرسول في رسالته إلى العبرانيين ***"ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي فجلس عن يمين عرش الله" "فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلوا وتخوروا في نفوسكم"*** (عب 12: 2، 3). والذي كان الرسول يسير بمقتضاه، كان يلقنه لتلميذه تيموثيئوس، كما لو كان يقول له، لا تخف من الموت لأنك خادم الله الذي يحيي الكل.

***"أجاب يسوع لهذا أتيت إلى العالم لأشهد للحق"*** (يو 18: 37) وما هي هذه الشهادة العظيمة؟ لما قال له بيلاطس: ***"أفأنت إذاً ملك"*** (يو 18: 37) أجاب يسوع: ***"لهذا قد ولدت أنا"*** (يو 18: 37) وقال لرئيس الكهنة: ***"إسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم"*** (يو 18: 21)، ولما سأله عما إذا كان هو ابن الله كان يجيب ***"أنت قلت"*** (مت 26: 64) توجد أشياء كثيرة أكدها وأعلنها.

***"أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح"*** أي حتى موتك، حتى خروجك من هذا العالم لكنه لم يوضحها له هكذا بل قال: ***"إلى ظهور"*** حتى يحفز تلميذه بالأكثر. وكيف تحفظ الوصية بلا دنس؟ أي لا ينكمش لا في الإيمان ولا في سلوكه: ***"إلى ظهور ربنا يسوع المسيح الذي***

***سيبينه في أوقاته، المبارك، العزيز، الوحيد، ملك الملوك ورب الأرباب الذي له وحده عدم الموت، ساكناً في نور لا يدني منه"*** عمق يقول الرسول هذا؟ هل عن الآب؟ هل عن الابن؟ نعم عن الابن: ***"الظهور الذي سيبينه في أوقاته، المبارك، العزيز، الوحيد"*** هذه الأقوال لتعزية تيموثيئوس حتى لا يوحي له ملوك الأرض بالخوف ولا الرهبة "وفي أوقاته" أي في الوقت المناسب، واللازم حتى لا يحزن تيموثيئوس حينما يرى أن هذا الظهور لم يتم بعد. "المبارك" الذي هو مُطلوب وسعيد بذاته، لأنه لا يوجد في السماء أي شئ مؤلم أو متعب ***"المبارك العزيز الوحيد"*** خلافاً لوضع الناس، لأنه لا بداية له ***"الذي له وحده عدم الموت"*** هل الابن يملك ذلك وبذاته كيف لا يمتلكه وهو من جوهر الآب؟ ساكناً في نور لا يدني منه، وهل النور الذي يسكنه مخالفاً لنوره هو؟ هل هو محدد في مكان ما؟ كلا، وهذه الفكرة بعيدة عنا. والرسول بكلامه هذا لا يوحي لنا بها، وإنما يريد أن ندرك عمق الله، لهذا قل معبراً: ***"ساكناً في نور لا يدنى منه"*** الرسول يتكلم عن الله بقدر ما تسمح له إمكانياته البشرية، أنتم تلاحظون كيف أن اللسان يعجز وتنقصه القوة حينما يتكلم عن الأمور السامية غير المدركة، ***"الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه الذي له الكرامة والقدرة الأبدية، آمين"***.

إنها فلسفة لاهوتية جميلة كان لابد أن تذكر هنا. وبما أنه اتخذ الله شاهداً، فالرسول يحيل إلى هذا الشاهد، حتى يكون لحديثه تأثير قوي على تلميذه، المجد لله، هذا كل ما نقدر أن نقوله ونعمله، دون أن نبحث بفضول ما هو. إذن مادامت قوته أبدية، لا تخافوا لو أن ظهوره لم يتم بعد، له الكرامة والقدرة الأبدية.

***"أوص أغنياء الدهر الحاضر أن لا يستكبروا"*** الرسول قال بحق "الدهر الحاضر" لأنه يوجد أيضاً أغنياء في الدهر الآتي. لا يوجد شئ قدر الغنى سبب التشامخ وجنون الكبرياء، والغطرسة. وفي الحال يحط من قدر الغنى بقوله: ***"ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى"*** لأن من هنا يأتي جنون الكبرياء، لأن الذي يضع رجاءه في الله لا يستكبر قط. كيف يضع الإنسان رجاءه في الغنى الذي يتغير ويتنقل باستمرار؟ كيف نلقى رجاءنا على ما لا يوحي بالثقة؟ وكيف يتسنى للأغنياء ألا تنتفخ قلوبهم؟ يمكنهم ذلك إذاً أيقنوا أن الغنى متقلقل وسريع الزوال، وأن الرجاء بالله أفضل، إذ هو الذي منحهم هذا الغنى..... ***"بل على الله الحي الذي يمنحنا كل شئ بغنى للتمتع"*** نعم كل شئ للتمتع، يريد أن يتكلم عن مختلف فصول السنة، عن الهواء، عن النور، عن المياه، وعن كل ما يتبقى. أنتم ترون عظمة وسخاء هباته، إذا بحثتم عن الثراء، ابحثوا عن الثراء الدائم، الراسخ الذي نحصل عليه بالأعمال الحسنة.

وما هي هذه الأعمال؟ يلخص الرسول هذه الأعمال بقوله: ***"إن يصنعوا صلاحاً وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة وأن يكونوا أسخياء في العطاء كرماء في التوزيع مدخرين لأنفسهم أساساً حسناً***

***للمستقبل***" حيث كل شئ مؤكد وثابت وأساسه متين، وله الرسوخ والدوام. ***لكي يمسكوا بالحياة الأبدية***" لان ممارسة الأعمال الصالحة هي التي تجعلنا نمسك بالحياة الأبدية ونتمتع بها.

## ثانياً: الالتصاق بالإيمان لا بالعلم البشري

"يا تيموثيئوس احفظ الوديعة" لا تتهاون ولا تفرط فيها، فهي ليست ملكك وحدك، إنما هي وديعة تخص الآخرين أودعت بين يديك فاحرص عليها واحفظها كاملة. "***معرضاً عن الكلام الباطل الدنس***" ***مخالفات العلم الكاذب الاسم*** " نعم فحيث لا يوجد الإيمان لا يوجد العلم الحقيقي، لأن كل ما ينتج عن أفكار بشرية ليس هو بالمعرفة الحقة، ومثلنا على ذلك أولئك الناس الذين يعتقدون أن الخلاص يُكتسب بالمعرفة فقط دون الحاجة إلى الإيمان. ومع ذلك يلقبون أنفسهم بالعارفين كما لو كانت معرفتهم مميزة عن معرفة الآخرين: ***الذي إذ تظاهر به قوم زاغوا من جهة الإيمان***" تلاحظون أنه يأمر أيضاً بعدم التلاقي بهم، أو الدخول في مجادلات معهم، إذ أن مناقشتهم قد تعود علينا بالأضرار، فقد تفقدنا إيماننا، وتهز يقيننا وسلامنا، ليتنا لا نتصل بهذه المذاهب بل نلتصق بصخرة إيماننا الذي لا يتلاشى. لا تصادم الأنهار، ولا عواصف الهواء تقدر على إتلافه، نحن راسخون على هذه الصخرة. فإذا اخترنا في حياتنا هذا الأساس الحقيقي نثبت راسخين دون مخاوف، لأن الهدف من هذا الأساس إنما هو غنى ومجد وعظمة الحياة الأخرى، وهذه كلها ثابتة ومؤكدة، وغير قابلة لأي تغيير خلافاً لملذات هذه الحياة القابلة دائماً للتغيير والتبديل. إذن فما الذي ترغبونه فيها؟ المجد؟ يقول الكتاب ***لأن عند موته كله لا يأخذ ولا ينزل وراءه مجده***" (مز 49: 17) وغالباً ما يكون هذا المجد الدنيوي غير وفيّ لصاحبه حتى في حياته، ولكن ليس الأمر كذلك فيما يختص بالفضيلة حيث كل شئ ثابت ودائم.

الغني تهاجمه اللصوص والخونة فيصبح فجأة فقيراً، ولكن في وجود الفضيلة ليس الأمر كذلك. الرجل الساهر على حياته يعيش معتدلاً قانعاً لا يستطيع أحد أن يسلبه اعتداله، أو أن يحرمه من أن يكون سيداً لنفسه، وبالفحص الدقيق قد تدركون أن هذه السلطة أعلى من الأخرى. قولوا لي ما هي الفائدة في أننا نتسلط على شعب بأكمله، ونعيش مستعبدين لرغباتنا؟ أية خسارة تصيبنا إذا نحن تخلينا عن أن نكون سادة آمرين وناهين غيرنا، وألا نكون مستبدين؟ أنها ليست خسارة على الإطلاق إنما هي الحرية والسلطة، والملك، والقوة، أما هناك فإنها العبودية حتى لو كانت الرأس محملة بالتيجان لأنه عندما تسيطر على النفس حشود من الطغاة. أقصد محبة المال، ومحبة الذات والغضب والشهوات الأخرى. فما هي فائدة التيجان؟ إن استبداد الشهوات هو الأقوى. وحتى التاج لا يمكنه أن يخلصنا من تسلطها. مثل رجل صار عبداً عند البرابرة، وهؤلاء إمعاناً في إذلالة والسخرية منه، تركوا له لباسه الأرجواني والتاج، في

الوقت بكافة أعمال العبودية الأخرى، وذلك لكي يضاعفوا من كرامتهم ويزيدونه خجلاً، إن مثل هذا الرجل لهو أقل استعباداً من عبوديتنا نحن حينما نكون خاضعين لنير شهواتنا ومستعبدين لسلطانها. الذي يحتقر الشهوات سيسخر أيضاً من البرابرة، أما الذي يخضع لها سيقاسي من وضع أفظع بكثير مما كان البرابرة سيخضعونه له. ولكن مهما كانت قوة هؤلاء البرابرة فهي لا يمكن أن تمس سوى الجسد، أما الشهوات هي التي تعذب النفس وتمزقها من كل ناحية، ومهما بلغت قوة البربري فإنها لا يمكن أن تؤدي سوى إلى الموت المؤقت، أما الشهوات فهي تؤدي إلى الموت الأبدي. كل من يتحرر من عبودية هذه الشهوات ولا يخضع لها يتمتع حقاً بالحرى الحقيقية. مهما كان السيد عديم الإنسانية فلن يستبد بعبيده بالقدر الذي تستبد به هذه الشهوات التي تقودنا إلى كل ما هو بذئ وفي سفاهة تقول: أهتك نفسك دون سبب أو باعث، أهن الله تمرد على الطبيعة بإهانتك لأبيك وأمك ضعهما تحت قدميك.

كن معادياً للكل وعدوا للجميع، للطبيعة نفسها ولله، قدس الذهب، ليس لكي تتمتع به، بل لاكتنازه ولزيادة العذب، لأنه لا يمكن للإنسان أن يكون بخيلاً وأن يتمتع بثروته، فالبخيل يخشى دائماً أن ينقص ذهبه، وتنضب كنوزه، والبخل يوسوس قائلاً: أطرد النعاس، ألق الشكوك على الكل أصدقاء وخدم، أقتن لنفسك ما للآخرين، وإن رأيت فقيراً يموت من الجوع لا تعطيه صدقة، وإن أمكنك جرده من جلده، اكذب، أحلف، اتهم، لا ترفض السير في النار، ولا ما يعرض نفسك للموت، ولا الموت من الجوع، ولا الكفاح ضد المرض، أليست هذه هي الشرائع التي يسنها البخل؟ وكن وقحاً وقليل الحياء دون خجل، جريئاً خبيثاً، وشريراً، بلا وفاء أو إحساس غير ملتزم بصداقة كن بلا إيمان، بلا قلب، قاتلاً، حيواناً متوحشاً، أفضل من أن تكون إنساناً، كن أكثر شراً من الثعبان، أكثر افتراساً من الذئب، وأكثر نفوراً من هذه الحيوانات، لا ترفض إذا لزم الأمر أن تحاكي فساد الشيطان، تنكر لمن صنع معك خيراً. أليس هذا ما يقوله وما نسمعه؟

أما الله فيقول العكس تماماً: كن صديقاً للكل ومحبوباً من الجميع. لا تهن أحداً، أكرم أباك وأمك أحرص على اقتناء السمعة الحسنة، لا تكن إنساناً بلا ملاكاً، لا تنطق بلفظ كاذب أو بذئ بل أطرده من فكرك، ساعد الفقراء، لا تعتقد بأنه للحصول على الثراء يلزم النهب، لا تكن ظالماً ولا سفيهاً ولكن لا يستمع أحد إليه.

أليس هؤلاء المخالفين مستحقين لعذاب نار جهنم التي لا تُطفأ وبدودها الذي لا يموت؟ إلى متى سنجرى إلى الهاوية؟ إلى متى نستمر في السير على الأشواك، وفي تثقيب أنفسنا بالمسامير ونرغب في هذه الآلام؟ إلى متى نظل خاضعين للطغاة المتوحشين ونرفض سيدنا الطيب الذي لا يعرف اللغة

البغيضة قط، وليس عنده غضب ولا استبداد ولا بربرية متعسفة، وخدمته دائماً مثمرة لحياتنا، وتعود علينا بفوائد وخيرات جزيلة.

لنستيقظ ونهتد ونعد أنفسنا لحياة أفضل، لنحب الله كما يليق به أن يُحب، فنحصل على مواعيده الخيرّة التي وعد بها الذين يحبونه، بنعمة وصلاح ربنا يسوع المسيح الذي له مع الآب والابن والروح القدس المجد والقوة والعزة الآن وكل آوان إلى دهر الدهور آمين.

www.orthodoxonline.org

الفهـرس

الاســم الصفحـة

تقديم الكتاب
الإهداء
كلمة شكر وتقدير
مقدمة للمترجمة
نبذة عن القديس بولس الرسول
لمحة سريعة عن القديس يوحنا ذهبي الفم
مقدمة
الموعظة الأولى
الموعظة الثانية
الموعظة الثالثة
الموعظة الرابعة
الموعظة الخامسة
الموعظة السادسة
الموعظة السابعة
الموعظة الثامنة
الموعظة التاسعة
الموعظة العاشرة
الموعظة الحادية عشرة
الموعظة الثانية عشرة
الموعظة الثالثة عشرة
الموعظة الرابعة عشرة
الموعظة الخامسة عشرة
الموعظة السادسة عشرة
الموعظة السابعة عشرة
الموعظة الثامنة عشرة

www.orthodoxonline.org